

الدكتور رفعت السعيد

الصحافة اليسارية في مصر

١٩٢٥ - ١٩٤٨

الناشر مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية
١٩٧٧

الناشر : مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب بالقاهرة
تليفون ٩٧٥٤٢١

الصحافة اليسارية في مصر

... عام ١٩٢٥

- الحساب
- روح العصر
- شمرا
- التطور
- الفجر الجديد
- الضمير
- الجماهير ... عام ١٩٤٨

الطبعة الثانية

الى .. جدى لامي

عوض سلامة

تاجر بسيط ، كل علاقته بالصحافة انه منحها حياته دفاعا
عن حريتها .

ففي عام ١٩٣٠ ، عندما ألقي الطاغية صدقي الدستور
وصادر كل صحف المعارضة ، قام هو بقيادة أبناء بلدتنا
«المنصورة» في مظاهرة تهتف للدستور ، وللحرية ، وللصحافة
الحرية .. وأطلقوا عليه الرصاص واستشهد .

وبقي بدلا منه لوح رخامي شامخ أقاموه وسط حديقة ،
كثيرا ماوقفت أمامه وأنا طفل ، أحاول في خشوع ان أفسك
طلاسم كلمات حفرت على رخام أبيض .. «استشهد في سبيل
الوطن والحرية ...»

وفي عام ١٩٤٦ جاء الطاغية صدقي من جديد ..
واستشهد جدى مرة أخرى ، فقد دمروا لوحه الرخامي
وألقوا به بعيدا .

اليه .. رمزا للانسان الذي يرفض الطغيان حتى ولو لم
يمسه مباشرة ، الانسان الذي يمجّد الكلمة الحرة حتى ولو
دفع حياته ثمنا لها .

اليه .. رمزا لصراع دائم لم ينته ، سيظل الانسان العربي
قادرا فيه ... دوما - على أن يبذل حياته ثمنا لحريته .

اليه .. مضطهدا على الدوام .. ، مطاردا .. منسيا . .
مقتولا على الدوام ، .. تماما كالحرية في أرضنا .

.. بدلا من المقدمة

لم تكن الصحيفه بالنسبه لليسار مجرد منبر اعلامى ..
كانت اكثر من ذلك بكثير .

ففى بعض الاحيان كانت الوجه العلنى لتنظيم سرى ، وفى احيان اخرى كانت - فى نظر البعض - بديلا عنه ، وفى حالات نائه كانت اكثر من اداة تجميع وتنظيم وتعبئة وانما محورا يمارس التنظيم نقساطه من خلاله .
لكننى اعترف ان هذا كله لم يكن الدافع لاعداد هذه الدراسة الان ..
فلقد كان منطقتى ان امضى قدما فى انجاز الجزء الثالث من دراستى المطبوعه عن تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر والتي وقفت بالجزء الثانى منها عند مشارف الاربعينات .. وبدأت استجمع كل قواى كى اقتحم ميدان المحاولة الجديدة ، وهو ميدان صعب ، مليء بالتعقيدات ، بقدر ما هو مليء بالتوقعات ، فهنا .. فى الاربعينات ولد كل شئ .. نحولت الاجنحة التى ظلت تنمو فى احضان مصر منذ العشرينات الى حركة عارمة .. غامرة ، لعل مصر لازالت تعيش - حتى الآن - فى الظلال الوارفة لهذه الحركة التى هزت أعماقها ..

هنا .. فى الاربعينات ، كان التضج ، وكان ميلاد الحركة الشيوعية الجديدة ، ولادة طبيعية وفى موعدها تماما .
وهنا .. فى الاربعينات ، تبلورت التنظيمات الشيوعية ، ونمت وتصارعت وصارعت ، وعاشت - كائى كائن حي دافق الحيوسوية - الحياة بطولها وعرضها ، وأقامت مصر وأقعدتها معلنة وبأعلى صوت .. راية البروليتاريا المصرية المستقلة .

ولم يكن قد مضى على بداية الاربعينات سوى ست سنوات ، حتى كانت مصر كلها تنفجر ثورة ضد الاستعمار وضد الرجعية ومن أجل الديمقراطية وحقوق الشعب ، وقد تفجرت - ولاول مرة - فى ظلال قيادة جديدة نواتها الاساسية هم الشيوعيون وهى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال .
وبعدها بأشهر قليلة كان الطاغية صدقى يقف امام مجلس الشيوخ

مستحثا الاعضاء على اغماض أعينهم ، والموافقة على مشروع قانون غير دستوري لمكافحة الشيوعية ، وتلملج البعض بسبب الخرق الغاضب للدستور ، ولم يجد صدقي من وسيلة لاقتناعهم سوى أبيات من قصيدة «اصرار» لكمال عبد الحليم .. كانت كافية ليرتعد الشيوخ جميعا وارتفع صوتهم بالموافقة على مشروع القانون .

ان الاربعينات هي محور تاريخ حركة اليسار المصري المعاصرة ، انها سنوات ولادتها ، وحضانتها ونموها .
وكان لابد من عمل مضن ، كبير ، يتهيب المرء أن يقحم نفسه فيه .
.. ومع ذلك فقد بدأت ..



وكالعادة .. تلمست طريقى الى صحف اليسار في هذه الفترة ، وعشت معها لفترة طويلة ، أسجل ، وأدون ، وأقتبس ، كل ذلك تجميعا لبعض المواد اللازمة للبحث الكبير .

وفجأة .. أدركت أن كمية المواد التي تتضمنها هذه الصحف ، كثيرة وهامة وضرورية الى درجة انها تستغرقنى وتستحثنى على الانغماس فيها ..
بشكل تفصيلي .. بحيث تعوقنى عن التقدم نحو الدراسة الأساسية .

أحسست انى أمام أحد أمرين أما أن اركز الضوء على هذه الصحف فأتخم بها دراسة تستهدف شيئا آخر ، أو أن أتجاوز عن الشيء الكثير الذى تضمنته بما يعنى من خسارة لقيمة تاريخية هامة .

أقول .. - فجأة - وانا انغمس فى الدراسة الرئيسية .. لمعت هذه الفكرة فى رأسى لماذا لاأغير ترتيب مشروع دراسائى ..
كنت قد رتبته أمرى على استكمال دراسة تاريخ الحركة اليسارية .
ثم أبدا بأعداد كتاب عن صحافتها .

وأحسست ان الترتيب الأكثر معقولية هو ان أبدا بالصحافة . .
كمحاولة لتقديم الوجه العلنى ، والفكر ، والمواقف السياسية ، والصراع الظاهر ، ثم يصبح متاحا بعد ذلك - ان انتنى الى الصورة الداخلية للعمل الحزبى .. تناقضاته .. صراعاته .. تاريخه .
وفى بادى الامر ، راودتنى شكوك كثيرة ، قلت لنفسى ربما كنت تبعد عن مهرب من العمل الأكثر مشقة ، وطرحت الفكرة .. ومضيت قدما فى دراستى الأصلية .

ومرة ثانية ، وثالثة ، أحسست انه لابد لى من أن أنتهى من دراسة صحافة اليسار كتمهيد ضرورى لاستقصاء الحقيقة عن «تنظيمات اليسار» .
وهكذا قررت أن يصدر هذا الكتاب أولا .



« والصحافة اليسارية » كلمة مطاطة .. فتمة محاولات عديدة لصحافة متقدمة او مستنيرة او ليبرالية لعل خير مثال لها صحف سلامة موسى : «المستقبل» • «المفيد» • «المجلة الجديدة» .. الخ •

وثمة محاولات أخرى تمثلت في نجاح كاتب يساري ، او كتاب يساريين في الانضمام الى مجلة او مجلات والكتابة فيها بقدر لا بأس به من الحرية ، الى درجة انه يمكن اعتبار أن صحيفة كهذه كانت «نصف يسارية» والنصف هنا يعنى المناصفة العملية والفعلية بمعنى ان بعض صفحات الجريدة كان يميل يسارا والصفحات الاخرى تميل في اتجاه آخر .. وثمة حالات نجح فيها بعض كتاب اليسار ، في (تغيير مسار) صحيفة ما ، لفترة من الوقت، معلنين سيطرتهم عليها مثل مجلة (الشعاع) .. ومجلة (الطلیعة) التي كانت تصدر عام ١٩٤٦ عن اتحاد خريجي الجامعة •

وكانت هناك صحف أخرى تمثل جناحا يساريا في حزب برجوازي مثل «رابطة الشباب» و«المعش» وكانتا تمثلان لفترة ما يسار حزب الوفد • كل هذا لم يكن قصدي عندما استخدمت تعبير «الصحافة اليسارية» • فقد أردت به بالتحديد الصحف التي كانت منبرا لتجمعات او منظمات يسارية او كانت بذاتها «مشروعات» لتنظيم يساري .. أقصد - بوضوح أكثر - صحافة المنظمات الماركسية المصرية •



وثمة مجلتان كانتا يساريتين بغير ماشك ، وكانتا صادرتين أيضا عن تنظيم شيوعي مصري هو الحركة المصرية للتححر الوطني (ح.م) ، لكنهما كانتا تصدران عن «قسم السودانيين» في هذا التنظيم وبهدف محدد • • هو حشد القوى الوطنية والتقدمية السودانية سواء في مصر أو في السودان من أجل ان ينمو هذا القسم الذي ولد في أحضان ح.م ، ليزهر في أرض السودان الحسبة تنظيما «استقل فيما بعد تحت اسم «الحركة السودانية للتححر الوطني» (حستو) والذي أعلن نفسه بعد ذلك (الحزب الشيوعي السوداني) •

والمجلتان • • (حرية الشعوب) • (١٩٤٢ - ١٩٤٣) و «أم درمان» (١٩٤٥ - ١٩٤٦) حصرتا نفسيهما سواء في موادهما أو في تحريرهما بشكل أساسي في محيط السودان • • ومشاكله •

وحتى في الاعداد الاخيرة من (أم درمان) التي حاولت فيها ان تثير بعض القضايا التي كانت تنفجر في مصر فان الطابع الغالب كان بشكل واضح سودانيا صرفا •

ثمة عدد وحيد من (أم درمان) فتح صفحاته أمام كتاب مصريين وهو العدد الصادر في ١ يناير ١٩٤٦ وتقول عنه (أم درمان) انه (عدد خاص) وتعتذر لقراءها قائلة «تقدم مجلة أم درمان لقراءها هذا العدد الذي حرره

شباب الجامعة المصرية الحر ، وتعتذر في نفس الوقت الى القراء الكرام الذين
تعمدوا أن يقرأوا على صفحاتها أخبار السودان ومعالجة مشاكله فالى العدد
القادم ٠٠ وحتى هذا العدد لا تجد فيه سوى مقالين اثنين عن مصر أما بقية
العدد موادا ومحررين فكلها سودانية صرفة .

ومن هنا فانه يمكن القول ان حرية التعبير و«أم درمان» كانتا مجلتين
يساريتين سودانيتين (سواء من حيث المادة أو من حيث المحررين) لكنهما
صدرتا في القاهرة بحكم الاوضاع الخاصة التي سادت العلاقات بين مصر
والسودان في ذلك الحين .

وانهما كانتا تعبرا عن اهتمام الشيوعيين المصريين بالسودان . .
وبمستقبل الكفاح الثوري فيه .
ودراستهما تنتمي الى دراسة تاريخ الحركة الشيوعية السودانية بأكثر
مما تنتمي الى دراسة تتعلق بالوضع في مصر .



وكان لابد ٠٠ ان يبدأ من البداية الحقيقية ، من أول محاولة لاصدار
منبر صحفى ماركسى ، كلسان حال للحزب الاشتراكي المصري «الاول» .
لكن هذه المحاولة وثبتت سريعا .

وننظر «الاهرام» : « كان الحزب الاشتراكي قد طلب من الحكومة
رخصة لاصدار جريدة اشتراكية خاصة به ، فرفضت وزارة الداخلية هذا
الطلب ، لاسيما على أثر ما نشره الحزب من الاحتجاجات والاعتراضات المتعلقة
بالسياسة المحلية ، ولما لم ينجح في أخذ الرخصة جعل يبحث عن جريدة
موجودة فوجد «جريدة الشبيبة» وهي جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية
للشيخ عبد الحميد النحاس ، فاتفق وإياه على تحويلها الى جريدة اشتراكية .
وحولها الحزب الى شكل جديد ، وألغى عدد ماصدر منها ، وجدد نشرها
بالعدد «١» . وقد صدر عندها الاول في هذا الاسبوع الغائب وفيها مقالة
عن لينين ومعالاة اشتراكية متعددة ، وقد جعل شعارها المنجل والمطرقة .
ويظهر ان وزارة الداخلية لم توافق على هذا الابدال ، فأصدرت اليوم
أمرا بإغلاق (جريدة الشبيبة) ومنع نشرها . وكان الحزب قد شرع في توزيع
نسخها على أعضائه باعتبار انهم مشتركون وجعل الاشتراك ٣٠ قرشا في
السنة (١) .

ومرة أخرى يحاول الحزب الاتفاق مع صاحب جريدة أخرى ، لكن
«الاهرام» يلاحق المحاولة ناشرا الخبر ، وتقنيه وزارة الداخلية للامر وتعبط
المحاولة الثانية (٢) .

(١) الاهرام ١٢ - ٧ - ١٩٢٢ .

(٢) الاهرام ١٣ - ٧ - ١٩٢٢ .

وإذا كان هذا العدد الوحيد من مجلة «الشبيبة» هو أول صحيفة شيوعية تصدر علناً في مصر ، فلقد بذلت جهدي للعثور عليه ، لكنني فشلت ، فدوريات « دار الكتب القومية » تحتوي على كل مجموعة « الشبيبة » باستثناء هذا العدد .

لكن الكثيرين من الرعيل الأول للشيوعيين قد تحدثوا معي طويلاً عن هذا العدد وأفاضوا في مديحة .
وليس أمامنا سوى التعلق بالأمل ، فلعلنا يوماً ما نعرش على نسخة منه .



... ووفقاً لقانون المطبوعات ، كان يتعين الحصول على «رخصة» من وزارة الداخلية لإصدار أي مطبوع دوري ولله إجراءات خاصة أخرى بالنسبة لقبول «رئيس التحرير المسئول» . وكثيراً ما كان الحصول على مثل هذا الترخيص مسألة بالغة الصعوبة بالنسبة لشخصيات معروفة بنشاطها الشيوعي أو اليساري ، كذلك كان الأمر يتطلب دفع تأمين مالي ، أو إيجار «ضامن» مالي مقبول .

ومن هنا فقد اضطرت الكوادر اليسارية - في أغلب الأحيان - إلى التحايل « باستئجار » رخصة ما ، بمعنى أن تصدر الجريدة حاملة اسمها القديم واسم صاحب الامتياز ، ورسم الاسم رئيس التحرير ، بينما يتولى الشيوعيون مسئولية تحريرها وإصدارها وكان ذلك يتطلب تسديد إيجار شهري لصاحب الرخصة ، بالإضافة إلى سلسلة من التحايلات القانونية لتغطية حدود المسئولية عن التحرير أمام السلطات .

لكن وزارة الداخلية كانت تملك حق إلغاء الترخيص . . وقد فعلت ذلك في كثير من الأحيان .

فعلته مع «الشبيبة» بعد العدد الأول ، ومع جرائده أخرى عديدة .
لكن المحاولات لم تتوقف ، فقد كان ذلك هو السبيل الوحيد - في معظم الأحيان - لإصدار منبر علني يساري .

وقد خلقت مسألة استئجار الرخص هذه بعض المشاكل أمام هذه الدراسة ، فالجريدة تتحول من جريدة عادية إلى جريدة شيوعية ، لكن متى بدأ هذا التحول ، ومتى انتهى ؟ قد يبدو الأمر سهلاً في أول الأمر ، لكنه يصبح أكثر صعوبة عندما تصاحبه تلك التعقيدات القانونية والسياسية التي كانت تـلـازم عملية استئجار رخصة جريدة ، خصوصاً وأن الكوادر الشيوعية كانت تبدأ - في كثير من الحالات - بالتواجد . . الذي يتزايد تدريجياً ، حتى يتحول إلى مشاركة ، ثم يتوج رويداً رويداً ودون ضجة بأن يفرضوا ظلمهم على المجلة كمنبر ، ثم لا يلبث هذا الظلم أن ينكمش ويتلاشى .

أو تغلق المجلة أبوابها .
وهكذا فقد تبين علينا أن ندرس في كل حالة على حدة تطور علاقة
الكوادر اليسارية بهذه الجريدة أو تلك ، ومتى يمكن القول بإطمئنان ، إلى
أنها قد أصبحت جريدة يسارية .

أقول ذلك أيضا — لأننى عندما أقول أن (الحساب) أو (شبرا) أو (حرية
الشعوب) . . . كانت صحفا يسارية ، فإننى أعنى أنها كانت كذلك في فترة
محددة بالذات ، بذلت أقصى جهدي في تحديد بدايتها ونهايتها تحديدا قاطعا .
ذلك أن تقليب صفحات عدد سابق على هذه الفترة أو عدد لاحق لها سوف
يعطى انطبعا مختلفا تماما .



ولما كان الحصول على «رخصة» لإصدار مجلة دورية مسألة غير سهلة ،
فقد لجأت المنظمات اليسارية في كثير من الأحيان إلى إصدار «نشرات غير
دورية» فهي لا تحتاج إذن خاص ، وكان أول مطبوع «غير دورى» وعلنى —
فيما نعلم — هو النشرة التي كان يصدرها الحزب الاشتراكي المصري «الأول»
في أواخر عام ١٩٢١ وكانت تباع بخمسة مليمات، ويوزعها الأعضاء بأنفسهم
علنا في شوارع مدينة الإسكندرية (١) وكان الحزب يلجأ في مختلف المناسبات
إلى إصدار نشرة مطبوعة بعنوان «خطاب مفتوح إلى . . .» يقوم أعضاؤه ببيعها
إلى الجمهور . . . ومن هذه السلسلة من «النشرات غير الدورية» نجد «خطاب
مفتوح إلى سعد زغلول» ، «خطاب مفتوح إلى أعضاء لجنة التوفيق» (وهي
اللجنة الخاصة بالفصل في المنازعات العمالية) ، «خطاب مفتوح إلى عمال
القطن المصري» و «خطاب مفتوح إلى المثقفين» (يدعوهم فيه إلى
الاتجاه إلى الريف والاهتمام بمشاكله) (٢) .

ثم نجد بعد ذلك «مجلة الفن والحرية» وقد صدر منها عددان مطبوعان
بالرونيو كل منهما يتضمن مقالات باللغتين العربية والفرنسية معا ، وتاريخ
العدد الأول مارس ١٩٣٩ وغلافه مكون من لوحة تشكيلية سيرالية وقمها
«التلمساني» وعنوانها «أم الشعوب» ، أما العدد الثاني فقد صدر في مايو
١٩٣٩ وعلى غلافه لوحة تشكيلية سيرالية أيضا ولكن التوقيع غير واضح .
ولعلها المرة الأولى التي يرسم فيها فنان مصري لوحة تشكيلية متكاملة على

(١) راجع محضر النقاش مع حافظ سند ، وحيثيات الحكم الصادر عن محكمة جنائيات
الإسكندرية عام ١٩٢٤ في «د. رفعت السعيد — تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر — ١٩٠٠—١٩٢٥»
الطبعة الثالثة — دار القارابي — بيروت . ص ٢٦٧ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق . ص ٢٢٣ وما بعدها .

« الاستنسل » لتسهم في اصدار نشرة مطبوعة بالرونيو * .
 لكن ذلك كله كان محدود الاثر والتاثير ولا يقارن مثلا بالنشرة غير
 الدورية التي كانت تصدرها « دار الابحاث العلمي » (منظمة ايسكرا) عام
 ٢٦ - ١٩٤٧ والتي صدرت منها اعداد كثيرة متناولة موضوعات ودراسات
 شتى وكانت تصدر في شكل كتيب مطبوع بعنوان « نشرة دار الابحاث
 العلمية » ولم يتمكن من العثور الا على نسخته وحيدة من هذه النشرة وهي
 منزوعة الغلاف ومخصصة كلها لدراسة القضية الفلسطينية وأبعادها .
 وهناك أيضا « مجله كفاح العمال » وكانت تطبع على المطابع السرية
 للحركة المصرية للتحرير الوطني وتباع بشكل نصف علني بخمسة مليمات ،
 وكانت تصدر عام ١٩٤٦ عن (قسم العمال) بالحركة المصرية للتحرير الوطني .
 وقد انتظم صدور هذه المجلة واتسع نطاق توزيعها بحيث اكتسبت طابع
 الجريدة العلنية الواسعة الانتشار .

وهناك أيضا (صوت الطالب) وكانت تصدر في أواخر ١٩٤٦ كلسان
 حال لرابطة الطلبة المصريين وكان يتولى اصدارها (قسم الطلبة بايسكرا)
 ويشرف على تحريرها (عبد المنعم الغزالي - سعد زهران - جمال شلبي)
 وكانت تطبع بأحد مطابع الجيزة العلنية وتوزع ما يقرب من ستة الاف نسخة
 وصدور منها ثلاثة أعداد ، ولاحق البوليس المطبعة ، فصدر العدد الرابع
 بالرونيو تم توقفت عن الصدور (١) .

ولقد لعبت هذه النشرات (غير الدورية) و (نصف العلنية) دورا
 اعلاميا ودعائيا بالغ الاهمية ، لكنها تخرج عن نطاق هذا البحث ، كما انه لم
 يمكن العثور على مجموعات متكاملة منها بحيث يمكن اخضاعها للدراسة
 تحليلية .

وغنى عن القول انه الى جانب ذلك كله ، كانت المنظمات الشيوعية
 المصرية تصدر عدیدا من نشراتها السرية الخاصة بها ، وقد اكتسب بعضها
 أهمية تاريخية وجسامة خاصة ، بحيث كانت أرقام توزيعها ترتفع في
 بعض الاحيان الى ما يزيد عن توزيع مجلات علنية معروفة ، ولعل أهم هذه
 المجلات وأكثرها شهرة وتوزيعا واستمرارية هما « مجلتا «الكفاح» و «صوت
 الفلاحين» وكانتا تصدران عن تنظيم «الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني »
 (حدثو) . وهناك أيضا مجلة «راية الشعب» التي كانت تصدر في منتصف
 الخمسينات عن منظمة الحزب الشيوعي المصري والتي فرضت اسمها حتى
 على اسم التنظيم نفسه بحيث اسميت المجموعة كلها باسم مجموعة
 « الراية » .

لكن البحث في هذا المجال غير وارد أيضا - هنا - ، فنحن نعالج

* يتوجب على ان اقول الصديق « البير ارييه » حقه من الشكر فقد اهداني مجموعة من
 وثائق هذه الفترة تتضمن هاتين النشرتين .
 (١) مناقشة أجريت مع عبد المنعم الغزالي .



وإذا كنا قد حددنا نقطة البدء لهذا الجزء من الدراسة بصدور مجلة الحساب ، باعتبارها أول منبر يعبر بشكل متكامل ورسمي عن «الحزب الشيوعي المصري» عام ١٩٢٥ فإن نقطة التوقف بهذا الجزء الأول كانت محل ترجيحات واحتمالات عدة •

وطرحت في ذهني احتمال أن أتوقف عند ١١ يوليو ١٩٤٦ باعتباره تاريخ أشهر مذبحة تعرضت لها الصحافة اليسارية والتقدمية ، حين عصفت قرار من الطاغية صدقي بكل صوت معارض ابتداء من (أم درمان) • • إلى (البعث) و (البراع) •

لكن هذه الفكرة رغم وجاهتها تترك أهم مجلة يسارية صدرت في الأربعينات وهي (الجماهير) معلقة في غير ما موضع • ذلك أن الموجة التالية من الصحف اليسارية لم تبدأ إلا مع بداية الخمسينات ، بينما عاشت (الجماهير) فترة ١٩٤٧ وبعض ١٩٤٨ • وأحسن أن مثل هذا التقسيم سوف يفسد السياق التاريخي للحدث وسوف يفقد الجزء الأول وحتى الجزء الثاني — عندما نتاح فرصة إصداره — اتساقهما • خصوصاً وأن (الجماهير) تتميز بالنسبة لصحافة اليسار في الأربعينات القمة والتتويج من حيث الفن الصحفي والانتشار والتأثير والنجاح السياسي •

وسمة خاطر آخر ألح علي بشدة •

إذا كانت صحافة يسار النصف الأول من الأربعينات مزيجاً من محاولات تنظيمات وتجمعات وشخصيات متعددة ، فإن الصحافة اليسارية ابتداء من الجماهير — ١٩٤٧ — وحتى مجلة الغد — ١٩٥٦ — مروراً بالبشير والملايين والواجب كانت جميعاً حاضرة بتأثير مباشر أو غير مباشر من منظمة (حدثو) فهي التنظيم الوحيد الذي استمر مدركاً لأهمية المنابر الصحفية العلنية •

إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نخصص الجزء الأول للصحافة التي لم نخضع لتأثير (حدثو) تاركين الجزء الثاني تماماً لدراسة صحافة ح • م • تم امتدادها التاريخي (حدثو) •

وكان ذلك يتطلب أن نفتطح من هذا الجزء مجلة (الجماهير) • لكنني — أيضاً — استبعدت هذا الاحتمال باعتبار أنه يشتمل السياق التاريخي للدراسة إذ لا يمكن دراسة تاريخ جريدة ما بشكل منعزل عن الأطار التاريخي العام لفترة صدورها • • كذلك فإن مثل هذا التقسيم قد يعطي انطباعاً خاطئاً بأن «حدثو» ليست كغيرها من المنظمات امتداداً — يفترض أنه طبيعي — لنشاطات العشرينيات والثلاثينيات •

• • وبعد تردد طويل بين ترجيحات عدة رأيت أن أتوقف بالجزء الأول من هذه الدراسة عند عام ١٩٤٨ • • أي عندما أوقفت مجلة «الجماهير» وهكذا تمتد دراستنا هذه لتغطي الفترة من ١٩٢٥ حتى ١٩٤٨ •



ولم تكن هذه الدراسة مجرد بحث عن مجموعات هذه الصحف ونقليب لصفحاتها ، وتحديد أهم ما تردد فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، لكن الامر كان فى الأساس بحثا تاريخيا عن «الحديث الداخلى» ، عن القصة التى تمكن خلف صدور كل جريدة والتى لم تنشر - وما كان لها أن تنشر - على صفحات الجريدة ذاتها . كيف تأسست ؟ من كان صاحب المبادرة ؟ ولماذا ؟ من الذى مولها ؟ ولماذا ؟ الصراعات الداخلية وبواعثها ، الاسماء الحقيقية التى توارت فى أغلب الحالات خلف أسماء مستعارة . الخ . وباختصار - كان الامر بحثا عن تاريخ المجلة ، وليس مجرد استعراض لما دون بها من مقالات ودراسات ، وان كانت الدراسة التاريخية ذاتها - تتطلب بالضرورة تسليط الضوء على المواقف السياسية والفكرية التى رددتها الصحيفة . . . ومقارنتها بموقف التنظيم و المجموعة التى تصدرها . . . وربط ذلك كله بالاطار التاريخى العام لحركة اليسار المصرى ككل .

وقد تطلب الامر مقابلات عديدة مع كل من تيسرت مقابلاته من المشاركين فى اصدار أو تحرير هذه المجلات . . . وهؤلاء - بطبيعة الحال - مجرد رواية ، يرددون ذكريات قديمة ، بعضها صحيح ، وبعضها الآخر مختلط بحوادث أخرى ، وبعضها تلونه مواقف أو نزعات شخصية ، وكان لابد من عملية مستمرة للمطابقة بين الروايات وبعضها البعض وبينها وبين الحقائق التاريخية ، وأيضا بينها وبين ما يمكن استنتاجه من خلال النظرة المتأنية لصفحات هذه المجلات .

لكننى فى نهاية الامر لم أرد أن أثبت هنا غير الحقائق المتيقن من صحتها ، وبقيت بعض المسائل المعلقة بشير ايضاح كاف ، تصورت أن تركها معلقة أفضل من فرض تفسير قد يكون غير صحيح لها . ولقد بذلت كثيرا من الجهد فى استقصاء الاسماء الحقيقية لهؤلاء الذين آثروا لسبب أو لآخر استخدام أسماء مستعارة وهم كثيرون . . . وخاصة فى مجلتى «الفجر الجديد» و«الجماهير» .

ولقد نجحت فى معظم الحالات بالنسبة «للفجر الجديد» ، ذلك ان عدد كتابها كان محدودا ، وكان أكثرهم يكتب باسمه الحقيقى ، ثم باسمه المستعار لسبب فنى بحث . وهو تلافى تكرار اسم واحد أكثر من مرة فى العدد الواحد . . . وعلى أية حال فإن مقابلاتى مع اثنين من أصحاب «الفجر الجديد» ، كانتا كافيتين تماما فى هذا الصدد .

غير أن الامر يختلف بالنسبة «لـ«الجماهير» ، ذلك انها كانت تصدر عن تنظيم متسم بالنشاط ، جم العلاقات ، والاسماء كلها مستعارة تقريبا ، والاسباب هنا متعلقة بالامن وجماعية العمل وحزبته معا ، فصفحة الطلبة يحررها مكتب الطلبة ، وصفحة العمال يحررها مكتب العمال . . . وهكذا بالنسبة للنساء أيضا ، ويتم التوقيع على العمل سواء أكان فى دبا أم جماعيا باسم مستعار . ولقد قمت بمحاولات متعددة لترجمة الاسماء المستعارة الى أسماء حقيقية ، نجحت فى بعضها وفشلت فى البعض الآخر .



ولقد كانت النظرة المتأنية على كل هذه الصحف ، والانغماس لفترة طويلة من الوقت في صفحاتها ومشاكلها ، فرصة رائعة أمكنها أن تجسد في ذهني صورة متكاملة الخطوط لكل تنظيم من التنظيمات ، أسلوبه في العمل .
منهجه الفكري . . خطه السياسي . . الخ .
إن الفارق بين (الفجر الجديد) و (الجماهير) واضح تماما يمكن تلخيصه في أنه فارق بين عقليتين ومنهجين مختلفين . . وأدركت أن دراسة «الجريدة» كانت سبيلا لدراسة «الوجدان الداخلي» للتنظيم السياسي .
وهكذا - يمكن القول - بأن دراستنا هذه كانت مقدمة ضرورية لدراسة تاريخ المنظمات . . أنها مجرد أعداد للمسرح ، نوع من ضبط قواعد الحوار الداخلي في العمل الفني ، رسم ملامح الصورة . . تحديد معالم الديكور .
وباختصار أنها تمهيد ضروري كي يمكن للعرض الأساسي أن يبدأ . .

القاهرة - أغسطس ١٩٧٤

السنة الاولى	العدد الحادى عشر
الاعلانات تخاير الادارة بشأنها رأسا	الاشتراك عن سنة
بشارع الدولوين رقم ٤٤	٣٥ قرشا للعمال والفلاحين
	٥٠ لسواهم
مدير سياسة الجريدة المسئول	الاشتراك عن سنة خارج البلاد
ابراهيم الصيحي	٤٥ قرشا للعمال والفلاحين
	٥٠ لسواهم

الحساب

صحيفة سياسية اجتماعية اقتصادية يومية
تصدر مؤقتا مرة في الاسبوع
للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين

القاهرة في يوم الجمعة ٦ مارس ١٩٢٥

.. في عام ١٩٢٥ كانت ماكينة الارهاب تدور بأقصى سرعتها ، ليس ضد الشيوعيين وحدهم وإنما ضد كل القوى الوطنية والتقدمية .

وسعد زغلول بعد ان أنجز مهمة ضرب الحركة العمالية بأقصى عنف ممكن وبعد أن حل حزبها السياسي ، وطارد قادته وكوادره وأغلق دوره ، وبعد أن بذل كل جهده محاولا أن يقدم البديل للعمل الشيوعي وسط العمال بتأسيس اتحاد عمال وفدى برئاسة عبد الرحمن فهمي . واستخدم كل ثقل زعامته الجبار ، وكل جماهيرته ، وجماهيرية حزب الوفد في المعركة ضد الحزب الشيوعي ، بعد ان أنجز هذه المهمة أصبح هو أيضا عنصرا غير مرغوب فيه من قبل الاحتلال والسراي .

وإذا كانت محكمة جنايات الاسكندرية ، قد أصدرت أحكامها القاسية بالسجن على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ٦ أكتوبر ١٩٢٤ . فقد تلتها مباشرة - في ١٩ نوفمبر - حادثة السردار المسروقة واستقال سعد مرغما .

وجاءت حكومة زيور التي واصلت حملة تصفية الحزب الشيوعي في هيستريا واضحة ، فأصدرت قرارا بمنع دخول السفن السوفيتية الى الموانئ المصرية . وتنشر «الاهرام» قصة عن وصول سفينة بلشفية الى المياه المصرية .. «وصلت الى الاسكندرية أمس باخرة روسسية بلشفية تدعى «تشيشيرين» تنقل بضاعة الى هذا القطر ، وربما كان عليها بعض الركاب أيضا ، فلم تكد تصل الى الميناء الخارجى حتى أصدرت السلطة المحلية أمرا الى البوليس بمراقبتها وحراستها ومنعها من الدخول الى المرفأ . فأوقفت في الخارج ولا تزال حتى الآن تحت حراسة الشرطة . والمفهوم ان الحكومة ستأذن بتفريغ مشحونها حيث هي راسية ، ثم تأمرها بالانصراف غدا ، ويظهر أن الباخرة «تشيشيرين» هذه لا تدري ما نحن فيه من الانهماك في قضية الشيوعية البلشفية في هذه الايام» (١) .

كذلك أصدرت الحكومة قرارا بمنع السماح ببيع أو تداول الكتب الاشتراكية ، أو جلبها من الخارج ، وأصدرت قرارا بمنع دخول جريدة

«الامانيته» الفرنسية ، وجريدة « الانسانية » التي كانت تصدر في بيروت
أو أية جريدة أو مجلات شيوعية أو اشتراكية » .

ويعلق (الاهرام) على ذلك قائلا : «عزمت السلطة عزمًا ثابتًا على مكافحة
الشيوعية ، ومبادئها ودعاتها في هذا القطر ، وغدا هذا العزم يتضح من
اتساع نطاق المساعي المبذولة لاستئصال شأفة ذلك الداء الاجتماعي الخطير .
وقد صادر البوليس مؤخرًا بالاسكندرية بعض كتب اشتراكية وجدت عند
شاب يوناني يقول عنه أصحابه انه لا علاقة له بالحركة الشيوعية مطلقا ،
وقد أرسل هذا الشخص الى القاهرة للبحث في أمره » (١) .

وكان كل ذلك يجري في ظل حملة عنيفة من الكتابات المعادية للفكر
الاشتراكي أسهمت فيها معظم الصحف والمجلات وصدرت من أجلها عشرات
الكتب .

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة . . فحتى أحمد الصاوي محمد الذي
كان أحد متزعمي الحملة المعادية للشيوعية . . اضطر إلى أن يقول ان الشيوعية
قد أصبحت « شوكا دق جذوره العميقة في الأرض » .

وفي نفس اليوم الذي أصدرت فيه محكمة جنايات الاسكندرية حكمها
على أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . . أي في ١٦ أكتوبر ١٩٢٥ .
تكونت لجنة مركزية جديدة . . وبدأت تمارس قيادة العمل السري في
ظروف بالغة الصعوبة . . وكان أحد سكرتيري اللجنة المركزية رفيق جبور .
الذي رأس تحرير مجلة (الحساب) .



ولسنا نريد أن نتابع هنا نشاط الحزب ومسيرته في هذه الفترة ،
بل نريد أن نلقى بعض الضوء على منبره العلني مجلة «الحساب» ، أردنا
بالإسطر السابقة أن نصور الجو العام الذي صدرت فيه ، حتى يستطيع
القارئ أن يتصور مدى الشجاعة التي احتاجها محرروها كي يواصلوا
المسيرة في طريق صعب .

ورفيق جبور رئيس تحرير هذه المجلة شخصية فريدة ، صحفي لبناني
منضم أحد قادة جماعة لبنان الفتى بمصر ، لعب دورا هاما في صحافة الرأي
المصرية وخاصة في جريدة «النظام» الوفدية الميول ، وقد ظل منذ ١٩١٨
وحتى ١٩٢٥ محررا بهذه الجريدة ، ومن ثم فقد كان القبض عليه في قضية
شيوعية مثارا لأقاويل كثيرة حول علاقة الوفد بالحركة الشيوعية ، متهمه
الوفد الذي استخدم كل القسوة ضد الحزب الشيوعي عام ١٩٢٤ ، بأنه
على علاقة بالحزب الشيوعي ، وينقل الاهرام عن الدليل تلجراف «وأعظم
ما يلفت الانظار فيما اكتشفه البوليس هو ما يدل على العلاقة الوثيقة بين

دسائس البلاشفة وحملة القتل ، وعلاقتهم أيضا بالوفد ، لانه يوجد بين المقبوض عليهم طاهر افندى العربى المحرر بـ «كوكب الشرق» احدى الصحف الوفدية الكبرى ، ورفيق جبور المحرر بجريدة «النظام» وهى من الصحف الوفدية ايضا (١) .

ويتضح من مذكرات طاهر العربى ان رفيق جبور هو الذى قدمه الى «كونستانتين فايس» وهو الشخصية الشيوعية الشهيرة (أفيجدور) (٢) ، يقول طاهر العربى حول ظروف علاقته بالنشطاء الشيوعى فى عام ١٩٢٥ «كنت أعرف زميلا صحفيا يعمل فى جريدة (النظام) هو الاستاذ رفيق جبور ، وكنت أتردد عليه من وقت لآخر فى محل عمله ، وذات يوم عرفنى بصديق له كان زلرا فى مكتبه ، قال أنه (مستر كونستانتين فايس) مكاتب جرائد عمالية دولية حضر لمصر لدراسة حالة العمال والفلاحين وقدمنى اليه قائلا : هذا صديقى طاهر ضحية من ضحايا الاستعمار البريطانى ، قضى فى السجن اثنى عشر عاما فى محاربة الانجليز فهو بكرههم ويكره كسل ما يتعلق بهم» (٣) .

... وقدم قرار الاتهام فى قضية الشيوعية الصادر عن النيابة العامة فى ٨ سبتمبر ١٩٢٥ المتهم السادس - رفيق جبور - سن ٤٣ سنة مولود بجبل لبنان محرر بجريدة «النظام» ، واتهمه هو وغيره من المتهمين بأنهم «نشروا وهم متفقون جميعا على ذلك أفكارا ثورية مغايرة للمبادئ الأساسية لدستور الدولة المصرية ، وحبلوا تغيير لنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية فى البلاد المصرية بالقوة والارهاب وبوسائل أخرى غير مشروعة ، وذلك علنا بطريق بيع وتوزيع كتب وجرائد ونشرات مطبوعة ، وإلقاء مقالات فى المحال والمحافل العمومية وبواسطة اشهار رسوم وتصاوير ، وهذه الكتب والجرائد والنشرات والمقالات والرسائل تحوى أمورا وأفكارا تخالف مبادئ الدستور المصرى الأساسية .. ومن شأنها تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية مثل إلغاء نظام الملكية الفردية المقرر فى دستور الدولة واستبداله بنظام شيوعى بطريق الثورة والقوة والتهديد ، وذكر فيها أن النظم التى يسعون إليها أفضل من النظم الحالية ، وأنها حرية ان تحقق ، وأنه يجب العمل والسعى لتحقيقها وقد ألفوا حزبا لهذا الغرض سموه بالحزب الشيوعى المصرى» (٤) .

وعلى أية حال فقد حوكم رفيق جبور باعتباره عضوا فى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب وخلال المحاكمة نسبت اليه كل المقالات التى نشرت

(١) الاهرام ١ - ٨ - ١٩٢٥ .

(٢) للمعلومات عن شخصية أفيجدور راجع : والتر لاكور - الاتحاد السوفياتى والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجارى بيروت - ١٩٥٩ ، ص ١٥٥ .

(٣) محمود طاهر العربى - هذا المجتمع النظام - الطبعة الاولى - دار المستقبل ص ١٨٠ .

(٤) الاخبار - ٩ - ٩ - ١٩٢٥ .

فى مجلة «الحساب» والموقعة باسم محمد صديق عنتر . . وكذلك كتيباً سرىاً
موقماً باسم محمد عنتر المصرى ، وحكم عليه بالسجن ، والراجع انه أبعد عن
البلاد بعد وفاء مدة العقوبة .

وقد شارك فى تحرير «الحساب» أيضاً الشاعر محمود رمزى نظيم الذى
نشر عديداً من القصائد بعنوانه «من الشعر الفلاحى» ووقعها بامضاء فلاح . .
كذلك نشر بعض المقالات السياسية . . وكان نظيم على علاقة وثيقة بالحزب
فى ذلك الحين .

ومن محررى «الحساب» أيضاً الشيخ شاكى عبد الحليم ، وكان أيضاً
واحداً من كوادى الحزب ، وكان المتهم السابع فى قرار الاتهام المشار اليه
سابقاً وذكر فيه انه يبلغ من العمر ٢٦ سنة - وانه طالب بالازهر وحكم
عليه بالسجن هو الآخر ، وأيضاً محمود ابراهيم السمكرى وهو عضو قديم
باللجنة المركزية للحزب .



وفى ظل السرية الشديدة والمطاردة المتواصلة كانت «الحساب» منبرا
علنيا وكانت أيضاً مجالا تمارس كوادى الحزب عملاً سرىاً نشيطاً فى إطاره ،
فالشيخ شاكى عبد الحليم الذى كان مسئولاً عن نشاط الحزب فى الوجه
البحرى ، كان يستند فى حركته الواسعة عبر قرى ومدن الوجه البحرى الى
صفته كوكيل متجول للحساب فى الوجه البحرى . فقد نشرت «الحساب»
الاعلان التالى فى العدد ١٨ «من ادارة الجريدة» : انتدبت جريدة (الحساب)
حضرة الاستاذ الشيخ شاكى عبد الحليم وكيلها متجولاً فى الوجه البحرى
وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة بها اعتماداً فى كل الشئون
الخاصة بها . الادارة . وفى نفس العدد اعلان آخر (وكيلنا فى الاسكندرية :
تعلن ادارة جريدة «الحساب» ان وكيلها العام فى الاسكندرية هو حضرة الأديب
أحمد الهندى حشمت حماد ، وهى ترجو العمال والنقابات وكل من له علاقة
معه فى الاسكندرية باعتماد حضرة فى كل أعمال الجريدة) (١) .



ولكن الحصول على ترخيص باصدار جريدة ليس بالمسألة السهلة
بالنسبة لى واحد من الكوادى الحزبية ، وتجربة الحزب فى ذلك لم تزل مائلة
فى أذهان كل كوادىه عندما طلب ترخيصاً باصدار جريدة فرفضت الداخلية،
فاستأجر مجلة (الشبيبة) وأصدر منها عدداً واحداً ثم أصدرت الداخلية أمراً

بإغلاقها . . ثم عاد فطلب ترخيصاً من جديد دون جدوى .
وعلى أية حال فقد طلب رفيق جبور ترخيصاً من الداخلية لإصدار
مجسلة ، وقبل منه التسامح تم عادت وزارة الداخلية فرفضت منحه
الترخيص (١) .

ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد هو استئجار رخصة جريدة . .
وهكذا استأجر رفيق جبور رخصة جريدة «الحساب» من صاحبها
إبراهيم الصيحي . وشخصية (الصيحي) غير معروفة ، لكننا يمكن أن نعلمها
من الأعداد التي أصدرها بنفسه من جريدته قبل أن يؤجرها للحزب . .
فشعار الجريدة كان الآية القرآنية «ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب» ثم «الحساب صحيفة يومية ، سياسية ، تعنى
بنوع أخص بالشئون الداخلية ، وفي صدر الصفحة الأولى من العدد الأول
صورة الملك فؤاد وتحتها «جلالة ملكنا المفدى فؤاد الأول» ثم تنبيه بأن
«المكاتبات ترسل الى إبراهيم الصيحي - صاحب ومدير جريدة «الحساب»
الإدارة مؤقتاً بدرب الجماهير لمر ١٥» .

ومن الواضح ان إبراهيم الصيحي قد فشل في مواصلة إصدار جريدة
يومية ، ذلك أنه أصدرها أسبوعية ، ثم توقفت «الحساب» عن الصدور بعد
العدد العاشر الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ ، حتى عادت صدورها على يد
رفيق جبور وكوادر الحزب في ٦ مارس ١٩٢٥ .

كذلك فانه من الراجح ان علاقة الحزب بالحساب لم تبدأ في هذا
التاريخ لان مراجعة الأعداد العشرة التي أصدرها الصيحي توحى بأن الحزب
ورفيق جبورا بالذات ، كان يمارس نوعاً من العلاقة مع الجريدة قبل أن يتولى
جبور مسئوليتها بشكل كامل ومباشر .

لمنذ العدد الرابع من الترقيم الاصل، وهو العدد الذي أصدره إبراهيم
الصيحي في ١١ نوفمبر ١٩٢٤ ، يمكننا أن نلاحظ بسهولة بصمات صحفى
قديم مثل رفيق جبور ، كذلك فائنا نلمس بشكل واضح اتجاهاته
السياسية .

ولسوف نشر - فيما بعد - الى مقالات ثلاث نعتقد أن كاتبها هو
رفيق جبور ، الأولى بعنوان «ما بشغلنا» وقد نشرت بالعدد ٤ (الترقيم الاصل)
١١ نوفمبر عام ١٩٢٤ ، والثانية بعنوان «الاحزاب والشقاق» (العدد ٩
الصادر في ١٦ ديسمبر ١٩٢٤) ، أما الثالثة فبعنوان «السياسة اليوم -
مسئولية الوزراء - يوم البرلمان» العدد ١٠ الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ .
وهو آخر عدد صدر تحت مسئولية إبراهيم الصيحي ثم توقفت المجلة بعد
ذلك . . ليصدر العدد رقم ١١ في ٦ مارس ١٩٢٥ تحت اشراف رفيق
جبور .

وقد آثرنا أن نؤجل الكاء نظرة على هذه المقالات الثلاث حين الحديث

بشكل متكامل عن النهج السياسى للمجلة باعتبار انها امتداد أو بالدقة
نمهد للنحل السياسى العام الذى رسمه الحزب للمجلة والذى سنتحدث
عنه تفصيلا فيما بعد ..

وقد غير جبور من قطع المجلة فجعله « كوارتر » كما غير شعارها الى
« الحساب صحيفة سياسية اجتماعية ، اقتصادية ، يومية » تصدر مؤقتا مرة
فى الاسبوع - للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين » .

واخذت الجريدة مقرا جديدا لها فى شارع الدواوين رقم ٤٤ . ثم
عادت فغيرت مقرها ابتداء من ٨ مايو ١٩٢٥ . (العدد ١٧) الى شارع كامل رقم
٩ مقابل فندق شبرد .

وظل اسم ابراهيم الصيحي باعتباره «مدير سياسة الجريدة المسئول» .
وقد يبدو ذلك غريبا لكن الحقيقة تتكشف عندما تغلب صفحات الحساب فنجد
أن رفيق جبور قد طلب من الداخلية الاذن بتولى رئاسة تحرير «الحساب»
لكن الداخلية رفضت ومن ثم فقد كان من الضروري ابقاء اسم «الصيحي»
حيث لا يستطيع الصحيفة الصدور بدون اسم رئيس تحرير مسئول . وحول
هذا الموضوع نقول (الحساب) : «لم يصدر هذا العدد والعدد الماضى فى موعدهما
نظرا لما لاقيناه ونلقاه من رجال الادارة من المعاكسة فقد رفض قلم المطبوعات
اعطاء مدير هذه الجريدة رخصة لاصدار جريدته الخاصة بعد أن كان قد سمح
له بذلك ، وقبل منه التأمين المعتاد .. ثم حرم قلم المطبوعات على مدير هذه
الجريدة وضع اسمه عليها ، انه فى أقل ما يقال فيه انه مثل كثيرين ممن
الذين سمح لهم باصدار الصحف أو بوضع أسمائهم على ما يشاءون
منها » (١) .

ومع ذلك فانه رفيق جبور يتحدى .. ويتولى مسئولية المجلة .. وفى
الوقت الذى يبقى فيه «ابراهيم الصيحي» شكلا - على الصفحة الاولى - مديرا
لسياسة المجلة .. فان المجلة تعلن التنبيه التالى فى صدر الصفحة الثانية
من العدد ١٣ (الترقيم الاصلى) «من الادارة الى القراء : نرجو ادارة جريدة
«الحساب» حضرات القراء والمكاتبين ، وكل من له علاقة معها مخاطبة حضرة
رفيق جبور (ادارة جريدة «الحساب» بشارع الدواوين رقم ٤٤) فى كل شأن
من شئون الجريدة . وجميع المراسلات يجب أن تكون باسمه لا باسم
آخر » .

ويتكرر هذا التنبيه فى هامش الصفحة الثامنة من نفس العدد «جميع
المراسلات تكون باسم رفيق جبور ، بادارة جريدة «الحساب» بشارع الدواوين
رقم ٤٤ القاهرة » .

ويبدو ان ثمة مشكلات معقدة قد اعترضت اصدار العدد الاول من
المجلة (تحت اشراف رفيق جبور) أى العدد (١١) بالترقيم الاصلى) فقد صدر
متأخرا ٣٦ ساعة عن مواعده المحدد ، كذلك لم تكن هناك مواد كافية أو

(١) الحساب ، ١٠ - ٤ - ١٩٢٥ .

بالدقة حذفت منه مواد كثيرة ولم يتمكن المحررون من كتابة غيرها فلم يجدوا حلا سوى طبع العدد كله ببسط ٢٤ وهو بنط كبير بهدف شغل مساحة الصفحات بأقل عدد ممكن من المقالات . وفي اعتقادنا أن السبب في ذلك قد يكون أن إبراهيم الصيحي الذي يظل مسئولاً من الناحية القانونية عن كل ما يصدر بالمجلة ، طالما يضع اسمه عليها كمسئول عن تحريرها قد اعترض في آخر لحظة على بعض المقالات . . . وعلى أية حال فإن «الحساب» قد اعتذرت لقرائها على الوجه التالي «تصدر جريدتنا «الحساب» صباح يوم الجمعة من كل أسبوع، وقد تأخر صدور هذا العدد إلى مساء السبت لأسباب قاهرة . وقد اضطررنا كذلك إلى حذف بعض المواد المهمة منه . وصف أحرفه بحجم ٢٤ وهو حجم كبير سنبذله بأصغر منه كلما اتسع معنا المجال في المستقبل .

وسبب هذه المسائل التي ما كنا نود أن تحدث هو إصدارنا هذا العدد على عجل ، إذ لم يتفق على إصداره إلا مساء يوم الخميس ، فلم نشأ أن نؤخره إلى يوم الجمعة المقبل ، وسيرى القراء التحسين بإدخال بوضوح في جريدتهم في كل عدد من الأعداد المقبلة - الإدارة» (١) .

ومع صدور العدد الأول بدأت مضايقات البوليس . . . وبعدها طبعنا العدد قامت مشكلة أخرى حول السماح للمطبعة بطبع «الحساب» . وبينما كنا نطبع العدد الثاني صادره البوليس وهو على الطابع وثقل اعداده إلى القسم حيث حجز ثلاثة أيام ثم سلم لمدير «الحساب» ومعظم الأعداد مقطعة فكانت الحسارة مزدوجة . فعسى أن وزارة الداخلية وما يتبعها من الإدارات تكف عن معاكستنا وتلتفت إلى سوانا لحظة نتمكن في أثنائها من التنفس بحرية» (٢) .

وهكذا فقدنا العدد الثاني فلم نجد أي نسخة منه ، أما العدد الثالث (١٣ بالترقيم الأصلي) فيبدو أن صدوره قد تعثر طويلاً لأنه لم يصدر إلا في ١٠ أبريل بينما كان الموعد المفترض لصدوره ٢٠ مارس . لكن المجلة انتظم صدورها بعد ذلك .

ولم تكف وزارة الداخلية مطلقاً عن مطاردة «الحساب» ولا حتى للحظة واحدة تتمكن في أثنائها من التنفس بحرية . . . كما كان يتمنى محرروها . ومع ذلك واصلت «الحساب» المسيرة . . . تقاوم كي تصدر ، وتصدر كي تقاوم .



ولنحاول الآن أن نتابع كيف واصلت «الحساب» سيرتها فوق الشوك . . .

ولنبداً بالمقالات الثلاث التي نعتقد أن كاتبها هو رفيق جبور والتي

(١) الحساب ، ١٠ - ٤ - ١٩٢٥ .

(٢) الحساب ، ١٠ - ٤ - ١٩٢٥ .

نشرت في الأعداد السابقة على تولى جبور رئاسة تحرير «الحساب» . ونعتقد أن هذه المقالات تنسجم مع موقف الحزب تجاه قضية هامة في الموقف من حزب الوفد .

والمقال الأول وما يشغلنا كتب قبيل استقالة سعد على أثر مقتل السردار وجاء فيه «مالت كفة المعارضة عندنا للبحث عن الشئون الخارجية وتصوير ضعف سعد في محادثاته أمام بريطانيا ، بعد أن أعلن دولته الرجوع لنظرية استقلال مصر في عقر مصر (التي هي نظريتنا) فعلت الأصوات واشتدت الضوضاء من أجل إهمال السياسة الخارجية مؤقتا . نحن لانلوم معارضا على معارضته فلجميع آراؤهم . ونحن نظرب للمعارضة في حدود المصلحة البريئة ، ونحییها مادامت شريفة لا يدنسها غرض ولا يشوبها سوء النية» .

لكن المقال لا يكتفى بتأييد سعد بل هو ينتقده أيضا . . بل هو يلمح إلى خطأ سعد في توجيهه «الضربات للحزب فيقول : «ولقد عارضنا سعدا في تصرفاته يوم أن افتتح جهاده في داخلية البلاد بما افتتحه . واقلنا له خير من هذا أن تلثم شمل قومك ، وتعرف متى يومك ، وعارضنا الوفد على سكوته أمام حوادث السودان ، والتزام الصمت ، فليس الصمت في مثل هذا الظرف لغة لامة» .

.. ويمضي المقال وعارضنا ومازلنا نعارض في كل عمل لا يتفق مع المصلحة التي عاهدنا النفس على احترامها والفاء فيها . ولكننا لانرى من المصلحة أن نقبل سعدا بالفاظ السخرية والتشفي على مسمع من العدو الرابض في منزلك مما يضر بقضيتنا .. وذلك ما يريد أعداؤنا (١) . وهكذا فإن أسباب قليلة لم تكن قد مضت على الاحكام القاسية التي أصدرتها محكمة جنايات الاسكندرية ضد قادة الحزب ، ومع ذلك فإن الحزب كان قادرا على أن ينتهج سياسة موضوعية تماما تجاه الوفد وزعيمه . ويستقيل سعد .. وتبدأ معارك كلامية حامية على صفحات الجرائد ، بينما يواصل الانجليز انتهاكهم الصارخ لاستقلال مصر .. ويدعو الحزب إلى نبذ الخلافات وإلى توحيد الصفوف الوطنية كلها ضد الاستعمار ، لكن الدعوة للوحدة تأتي من باب النقد المر والعنيف والتهكم الصارخ على المتاجرة بالكلمات .. وتحت عنوان «الاحزاب والشقاق» كتبت «الحساب» تقول : «لانعرف ولا المنجم يعرف ماهي مهمة الاحزاب في مصر ! ولا إلى أية ناحية يقصد أعضاؤها ! انها لغيرة كبيرة .. نعترف مصر كثيرة الجمعيات كثيرة الهيئات ، ثم نستعرض برامج أحزاب مصر ، وهيئات مصر ، وجمعيات مصر فنجد العجب العجيب ! نجد كل هيئة فتشت في حال البلد تفتيشا دقيقا فعرفت مواضع الضعف فيها وجعلت اصلاحها أول مقاصدها وصدر برنامجها ! الا أننا مع الاسف نبحث عن العمل ونحدث عن التنفيذ فلا نجد

له أثرا ولا خيرا ، كانما تلك البرامج انما جعلت أحابيل وشبائك لسكسب الجمهور .

وختام المقال «والآن فقد خسرنا كل شيء تقريبا ، ولم يبق أمامنا غير خيط من خيوط الرجاء ، وهو خيط إيمان الشعب بحقوقه وتقديسه لبلاده، ولا يزال زعماء الأحزاب ولا تزال صحف الأحزاب تنسئ الفارات بعضها على بعض ويكدح كتابها ويجهدون قرائهم في التباري في السب والنسب والنقد البارد ، وكل واحد يتكلم باسم الأمة ، ويدعى المحافظة على حقوق الأمة ، وأغرب من كل هذا أن يكون هذا لسان الصحف في الوقت الذي يدعو فيه بعض أعضاء الأحزاب للاتحاد» (١) .

والحقيقة أن الموقف تجاه حزب الوفد كان بالغ التعقيد ، بل كان يتعين عليه أن يكون كذلك ، فسعد زعيم وطني ما في ذلك شسك ، وكان يتعرض لهجمات الاحتلال والسراي وأعوان الاحتلال والسراي ، لكن للوفد ولسعد نفسه أخطاء كثيرة ... من وجهة نظر الحزب على الأقل -وهكذا كتبوا يقولون: ولم يخطر ببالنا أن نعيد على أذهان النواب حديث مسئولية الوزراء ، وأن نطالبهم بعقد محكمة لمحاسبه من ضحوا بمصلحة الأمة في عهد دستورها ، وفي عهد أول نواب دستوريين من أبنائها ، لم نشأ ذلك ، ولم نشأ أن نثير حديثه ، لأن مصر كما قدمنا عجيبه في تكوينها ونظامها .. فحديث مسئولية الوزراء الذي كان يلذ للكاتب أن يكتب فيه أجس ويلذ للنواب أن يسمعه في إبان عهد وزارة زغلول باشا ، أصبح اليوم مقبوتا عندنا ، وثقيلا على الأذان لأن المسئولية القضائية ، ولأن المحكمة النيابية إذا وجدت بالفعل فلا بد أن تتناول سعدا كثيرا بتهمة التقصير في الواجب الوطني المقدس ، لأنه كغيره لم يسلم من التقصير» (٢) .

وفي نفس الوقت تنشر «الحساب» تعليقا قصيرا بعنوان «هنيئا للورد» يقول «قامت اليوم حرب بين صحف الوفد وصحف المعارضة حول الزيارات الخفية التي كثر التحدث عنها اليوم ، فصحف المعارضة تقول ان الوفد أرسل رسلة خفية لترضية اللورد اللنبي ، على أن يعود الوفد للحكم بشرط أن يسلم البضاعة ، وصحف الوفد تقول ان الدستوريين والوطنيين هم الذين تحالفوا على تسليم البضاعة نكاية في الوفد . وسواء صحت الدعوى الاولى أو الثانية فالبضاعة مسلمة لا محالة، ولهذا فلانجد من نهته بذلك غير فخامة اللورد» (٣) .

والشعر العامي يستخدم أيضا لتأكيد نفس الخط السياسي . وعندما يذهب برلمان الوفد وتبدأ الانتخابات لبرلمان جديد تنشر «الحساب» قصيدة بعنوان «بين البرلمانيين» بتوقيع فلاح . . والمعتقد أن صاحبها هو الشاعر

(١) الحساب ، ١٦ - ١٢ - ١٩٢٤ .

(٢) - الحساب ، ٢٣ - ١٢ - ١٩٢٤ .

(٣) - المرجع السابق .

محمود رمزي نظيم ، الذي كان الوحيد من القادرين على ابداع مثل هبنا
المستوى الفني وله علاقة مباشرة بالحزب . .

ونقول القصيدة . . (١) .

دوشتوني ولا شيء جديد
جمستى شركة العملة وجحشى
وزعبوطى المقطع من زمان
ثم يوجه كلامه لنواب الوفد قائلا:
أدى حلتى مطينة تيكى
خمشستوا البرلمان فكان حربا
خنقتونا وزدتوها هبابا

فلا غلب ولا حال سعيد
بتاع الشيخ والغفرا شهود
هو الزعبوط والزفت العتيد

فايه الى عملتوه يفيد
على كم قرش ياخذها العميد
على الفلاح هل هذا حميد ؟



ودنتم قد وقعتم تحت ايدينا
وانتم يا جنود اذا انتخبتم
شفونا يا خلائق احنا منكم

ولسلايام تصريف مجيد
فماذا تعملوا؟ ماذا تريدو
ومن مصر وما احناش هنود .

ويبدو أن هذا الحديث المستمر عن الاحزاب البرجوازية والاقطاعية
وعن فشلها في التعبير عن ارادة الشعب أو تحقيق مطالبه كان تمهيدا لابد
منه لاثارة قضية أكثر أهمية ، هي قضية الحاجة الماسة الى تأسيس حزب
للطبقة العاملة .

واذا ما بدأت «الحساب» معالجة موضوع كهذا ، فقد كان يتعين عليها
أن تبدأ بحذر شديد ، - وكالعادة - يبدأ الامر بنشر رسالة يقال انها وردت
من قارىء اسمه «محمد صديق عنتر» (وقد اتهمت النياية رفيق جبور بأنه
كاتب هذا الخطاب (٢) . وتقول هذه الرسالة « إن جهودنا ستبقى ناقصة
وغير متمرة مادام لا يوجد حزب يتدرج ويقوى مع الزمن ويستلم بيديه
الحديديتين حقوق ومطالب العمال . . »

وترد «الحساب» بسلسلة من المقالات كتبها رفيق جبور . . وكان
لابد في هذه المقالات من الاشارة الى دور الوفد وعجزه عن تمثيل ارادة
ومصالح جماهير العمال والفلاحين .

« . . ان زعماء الحركة الوطنية أنفسهم ، لم يحسنوا التصرف عندما هبت
هذه الامة النشيطة مطالبة بحقوقها ، مدافعة عن استقلالها وحريتها ، فهم
اغتنموا فرصة نهوضها ليضعوا أنفسهم في مقدمة الصفوف وعلى رأس
القيادة ، ولكن أين الخطط التي وضعوها لاستمرار الجهاد والتقدم شيئا
فشيئا في سبيل الغاية القصوى وهي الاستقلال التام ؟ أين ما وعدوا به
الفلاح الذي حمل عبء النهضة المصرية على كتفيه القويتين ، وأين وعودهم

(١) الحساب ، ٦ - ٣ - ١٩٢٥ .

(٢) كذلكهم رفيق جبور بترجمة « كتاب في الشيوعية » باسم محمد عنتر المصري

« الاهرام » ١٧ - ٦ - ١٩٢٥ نقلا عن تحقيقات النياية العامة .

للعامل الذى قذف بنفسه فى أتون ثورة ١٩١٩ فالتهمته نيرانها ٠٠ ٩ «
وتمضى «الحساب» قائلة «ولولا جبن الوفد وخوفه ، ولولا معرفة الانجليز
بجبنه وخوفه لما تجاسروا قط بل لما فكروا قط بامتهان حقوق مصر ، بعدما
وجفوا من عملها المدمر عام ١٩١٩ ، (١) »

لكن ماذا كان الهدف الاساسى الذى حددته «الحساب» لنفسها ؟
نعتقد أن الهدف الاول كان تأكيد اهمية تواجد حزب يمثل الطبقة
العاملة المصرية ، وحق العمال فى أن يمارسوا نشاطهم الطبقي من خلال
حزب يمثل ارادتهم .

وفى افتتاحية العدد الاول (١١ بالترقيم الاصلى) تتحدث «الحساب»
عن الطبقة العاملة قائلة « لاجل الطبقة العاملة من فلاحين وعمال أنشأنا هذه
الصحيفة ، لاجل اسماع السلطات الحاكمة وباقي الطبقات فى مصر صوت
هذه الطبقة البائسة المظلومة ، أقدمنا على هذا العمل الشاق الذى طالما عجلت
النفس الى خوض أمواجه المتلاطمة فصدمتها العقبات والموانع ، فأقدمت قارة
بضغ خطوات الى امام ، وتراجعت طورا الى الوراء بضغ خطوات ٠٠٠ ان
الطبقة العاملة فى مصر هى أكثر الطبقات عددا وبؤسا وشقاء ، وأقلها نصيبا
من اعناء الحكومة والعمل على رفع مستواها وازالة المظالم عنها .

ثم تمضى (الحساب) فى دراسة ممتعة للطبقات فى مصر والظروف
الاجتماعية التى تعيشها كل منها ٠٠ مدافعة فى ذلك كله عن الفقراء مركزمة
هجومها على الاغنياء وعلى أصحاب الاعمال الذين لو أن الواحد منهم « طحن
الذهب وعجنه بدل الدقيق ، وأكله خبزا ابريزا لما تمكن أن يأكل هو وآله
وأقاربه وخدمه وحشمه ورفيقاته وسراريه عشر دخله اليومى ٠٠ »

ومنذ البداية فإن (الحساب) لاتخفى وجهها ، بل هى تلمح فى المقال
الافتتاحى الى انها امتداد لنضال حزبي قديم ٠٠ كنا ممن اندمج فى حركة
العمال منذ تجدد نهضتهم الى الآن ، وجاهدنا معهم وتمشينا واياهم. درجة
درجة فاخترناهم واختبرونا »

وأىضا تؤكد (الحساب) « ستخصص جريدتنا هذه لمجرد خدمة العمال
لتكون (صوت العمال) فلا يسمع من على صفحاتها صوت آخر ، ولا تخدم هيئة
غير هيئاتهم ، ولا شخصا غير أشخاصهم وأشخاص الذين يعطفون عليهم
ويسعون فى منفعتهم وفى سبيل الوصول الى حقوقهم ٠٠ » (٢)

ومع خط التأكيد على ضرورة قيام حزب سياسى للطبقة العاملة المصرية .

(١) الحساب ، ٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

(٢) الحساب ، ٦ - ٢ - ١٩٢٥ .

يمضى عبر أعداد المجلة خط آخر هو تقديم خبرة العمل النقابي للعمال المصريين ، فعبر أعداد «الحساب» كانت تمضى سلسلة مقالات حول حزب الطبقة العاملة .. وسلسلة أخرى بعنوان «كيف يجب أن تكون نقاباتنا» ، وهي تتحدث تفصيلا عن النقابات ودورها كمناير نضالية للطبقة العاملة ، وكيفية تأسيسها وممارسة العمل النقابي ، وأساليب إدارته بما في ذلك تبسيط للإجراءات الإدارية والمالية والقانونية الواجب اتباعها .
وبين هذين الخطين الرئيسيين تمضى (الحساب) لتدافع في كل سطر من أسطرها عن حقوق العمال والفلاحين ، وخاصة حقهم في المشاركة النشيطة في الحركة الانتخابية التي كانت تجرى في ذلك الحين لانتخاب برلمان جديد .

وهي تنشر «بيان لجنة الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين» وهو برنامج مرحلي تقدم به الحزب للمرشحين والناخبين .. وهي توجه نداءها في نهاية البرنامج إلى الفلاحين والعمال قائلة «لا تعطوا أصواتكم لأي شخص لا يقبل هذا البرنامج ويعد بتنفيذه» (١) .

وعندما تضع الحكومة العقوبات أمام مشاركة العمال والفلاحين في الانتخاب في محاولة لقصر منح حق الانتخاب على دافعي الضرائب العقارية وحملة الشهادات تنشر «الحساب» التعليق التالي موقعا باسم رفيق جيسور «الوزارات تريد ٩٠٠,٠٠٠ جنيه من أموال العمال والفلاحين لزيادة مرتبات كبار موظفيها ، ثم تفكر الحكومة في حرمان الطبقة العاملة من الانتخاب ..» ويقول التعليق «قد يظن أننا مبالغون . إذا قلنا أن الحفير إذا قتل وهو يقوم بوظيفته في الدفاع عن الأرواح والأمن العام لا تجد الحكومة لديها مائة قرش كل شهر تدفعها معاشا لأرملته أو - أرملته - ولأولاده العديدين ، ولكنها تجد في كل ساعة ودقيقة ١٢٠٠ جنيه معاشا لأحد كبار موظفيها متى أراد سعادته أو معاليه أن يتقاعد عن العمل .»

والآن تريد الحكومة ٩٠٠,٠٠٠ جنيه لتزيد مرتبات حضرات كبار الموظفين زيادة أخرى .. ثم تفكر الوزارة بسن قانون انتخاب جديد يحرم الطبقة العاملة من حق الانتخاب ، هذا الحق المقدس لا توجد حكومة دستورية في العالم يمكنها أن تفكر بحرمان دافع الضرائب منه ، والطبقة العاملة في مصر ٩٥ بالمئة من مجموع السكان ، وكل الضرائب تجبى من عرق جبين الفلاح وثمره إنتاج يمين العامل والفلاح المسكين» (٢) .
وشعرا تشن (الحساب) - أيضا - حملتها دفاعا عن حقوق العمال والفلاحين في الانتخاب .. وفي قصيدة رائعة من شعر محمود رمزي نظم

(١) راجع النص الكامل للبرنامج ، د . رفعت السعيد - اليسار المصري ١٩٢٥ - ١٩٢٠ ،

دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثانية - ص ١٧٦ .

(٢) الحساب ، ١٧ - ٤ - ١٩٢٥ .

تدعو (الحساب) الفلاحين الى (لم عزالهم) والهجرة من مصر :

« وسيبوا مصر للملاك تسكنها
وسيبوا النيل للاسياد نحرسه
ودوروا لنا على العمال اخوتنا
يسيبوا الشغل للملاك تعمله
وساعدوهم على لم العزال ونا
يجندوا جيشها من خير شجعان
وقت العلو وقد أضحي كطوفان
م اسكندرية لسياط لاصوان
فيصبحوا بين نجار وسمان
سابق حمير كم وحاطط ديل فسماني

والشاعر يدعو العمال والفلاحين الى ترك مصر للاغنياء طالما انهم وخدمهم
اصحاب الحقوق فيها .. وطالما انهم يريدون حرمان العمال والفلاحين حتى
من حق الانتخاب ثم يقول :

يكفى بقى غلبنا يكفى فضيحتنا
قال يتركونا وعن صحة سلامتنا
والاغنيا بس مسدوبون ينتخبوا
والحامسين شهادات مقلوطة
سبعة وتسعين في المية كممة
اما التلانه في الميه فانهموا
فان يقولو فمصر كلها نطقت
والى جرى ينكتب في كل جرنان
لايسالوا في انتخاب جاي من تاني
للبرلمان فهم ارباب سلطان
كالاغنياء فهم اصحاب عرفان
عن الكلام وان كانوا كسحبان
اهل الرياسة في انس وفي جان
ومن بمصر سواهم غير جندعان (١)

ولسنا نريد أن نطيل في استعراض مقالات وكتابات «الحساب» فليس
هذا هو هدفنا الاساسي ، لكننا فقط نريد أن نشير الى مقال هام .. حددت
فيه «الحساب» - وربما كانت أول من تنبه الى ذلك - موقفا واضحا من
المشكلة الفلسطينية ، ومن زحف الصهيونية على فلسطين ، فهي تنشر مقالا
بعنوان « بلغور يزور ضحيته وفلسطين تقابله بالاضراب العام » (٢) .

والمقال هجوم على الصهيونية وعلى محاولتها لاغتصاب فلسطين من
اصحابها . وتصف بلغور بأنه «صاحب التصريح المشهور الذي أصدره باسم
الحكومة الانجليزية .. والذي بموجبه أعطت فلسطين لليهود والصهيونية
رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون» وتقول «انه عندما زار بلغور
فلسطين في أول ابريل ١٩٢٥ بدعوة من الجامعة العبرية قابله السكان في
كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التي تعبر عن سخطهم وغضبهم واشمئزازهم
من زيارته التي تشبه زيارة القاتل لآل القتيل ، والمعتدى لضحيته » .
وتختتم «الحساب» مقالها «اننا نحى هذه النهضة البديعة في فلسطين،

(١) الحساب ، ١٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

(٢) المرجع السابق .

ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم في سبيل استقلال بلادهم ، وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم في أيدي كل طبقة من طبقات العمال في أي بلد من البلدان ، فالطبقة العاملة مظلومة في كل مكان وكل مظلوم للمظلوم نسيب» .
وتمضي «الحساب» سائرة على الشوك... متعرضة للاضطهاد والمطاردة، لكنها تواصل اصرارها العنيد على ضرورة الاعتراف بحق العمال والفلاحين في تأسيس حزبهم السياسي مؤكدة «أن العمود الفقري للحزب ودماغه المفكر وقلبه النابض يجب أن يكون من العمال ، وعلى قانون الحزب الاحتياط، الشديدا لعدم تمكين بعض أفراد الطبقات الأخرى التي تندمج في الحزب من السيطرة عليه والتلاعب بمصالحه بل يجب أن يكون الحزب حزب عمال للعمال ومن العمال ، أما من ينضم إليه من أبناء الطبقات الغريبة عن الطبقة العاملة فيجب أن يبقى دائما تابعا للحزب إلى حد ما ، لكن على كل حال يجب أن تكون وتبقى السيطرة في الحزب للعمال وحدهم .

ماهي مرامي الحزب وأغراضه ؟

ماهي مبادئه وما هو برنامجها ؟

هذا ما سنتكلم عنه في العدد التالي « (١) » .

لكنه لم يكن هناك عدد تال، فقد أسكت الارهاب صوت مجلة «الحساب» بتحريض سافر... أو بالدقة... بأوامر سافرة من سلطات الاحتلال .
فبعد ان نشرت «الدليل ميل» تقول «حدثت ضجة عظيمة من جراء عصابة شيوعية كبيرة في مصر» .

ونشرت «الدليل كرونيكل» تلغرافيا لمراسلها في القاهرة قال فيه :
«قامت الدلائل على وجود مؤامرة بلشفية واسعة النطاق لتدبير ثورة شيوعية في مصر تكون جزءا من مشروع يرمي الى اثارة افريقيا كلها في وجه الدول الاستعمارية» (٢) .

بعد ذلك التحريض السافر كان لابد من القبض على هؤلاء الرجال الشجعان الذين تحدوا الشوك وساروا فوقه .
وبعد رحلة شاقة لم تستغرق سوى تسعة اسابيع فقط صدر خلالها ثمانية اعداد توقفت «الحساب» عن الصدور فقد سجن رئيس تحريرها ومحرروها ومندوبوها بالاقاليم .

(١) الحساب ، ١٨ - ٥ - ١٩٢٥ .

(٢) نقلا عن الاحرام ، ٤ - ٦ - ١٩٢٥ .

الجمعة ١٤ فبراير سنة ١٩٣٠ ثمن النسخة خمسة مليمات —
السنة الاولى

— المجلد ١ —

الاشتراكات ٢٥٠ مليما عن سنة داخل القطر
الادارة : ٨١ شارع محمد علي بمصر

روح العصر
جريدة اشتراكية سياسية اسبوعية

في هذا المجلد

ما هي الاشتراكية ؟
للاستاذ عصام الدين ناصف

تاريخ النقابات في إنجلترا
للاستاذ العراقي

دسائس الرجعيين
للدكتور القاضي

في دوائر العمل
من هو بنايتي ستراي

حديث ...
الخ ... الخ ... الخ .

الطبعة لاهلية الكبرى بشارع محمد علي بمصر

.. ولم تكن «روح العصر» مجرد جريدة او مجلة تتحدث عن الاشتراكية بل كانت في الاساس محاولة لتأكيد نظرية نادى بها أحد كوادر الحزب .
تسعى الى التمسك بالعلنية ، على اساس ان الحزب ظل بعيدا عن المطاردة طالما كان «اشتراكيا» وليس «شيوعيا» ، وطالما تباعد عن اية علاقة بالكومنترن .

ومحمود حسنى العرابى صاحب هذه النظرية ، حاول جاهدا ان يضع افكاره موضع التطبيق ، وانسحب من الحزب الذى كان يوما ما اول سكرتير عام له ، وخاض ميدان العلنية .
وفي خطة مبيتة فتحت له كل الصحف صدرها ليكتب آراء «مخفية» وليست «حمراء تماما» ، وليتحدث عن الاشتراكية «بمرونة» و «اعتدال» .
وكانت المصيدة معدة باحكام ففي وقت واحد كانت مقالات العرابى تظهر في «الهلal» و «الحياة الجديدة» و«الرقيب» وحتى «المقتطف» (١) .
ولم تكن الكتابة في الصحف لتنوير الاذهان وشرح المبادئ الاشتراكية المعتدلة هي كل اهداف الرجل .

فعلى اثر انسحابه من الحزب تتلقى الصحف بيانا موقعا باسم اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري ، والسكرتير هو (عصام الدين ناصف) صديق العرابى وزميله في موكب العلنية . ولقد كان العرابى وناصف على علاقات وثيقة في هذه الفترة .. ثم كتبت أنفاس المحاولة وأشبعها الصحف هجوما وتهكما ووصفت «كوكب الشرق» هذا الحزب بأنه «حزب البقلة الحمراء» وأنه «لم يسمع به أحد ونبت نبتا شيطانيا» (٢) .
ثم انضم الى الموكب د . عبد الفتاح القاضى - طبيب أطفال - تعلم في جامعات ألمانيا ، واجتذبتة هناك رياح الفكر الاشتراكي لانتقلت به من

(١) الهلal عددا يوليو واغسطس ١٩٢٧ في الحياة الجديدة ١٨ - ١ ١٩٢٨ و ١٥
١ - ٨ - ١٩٢٨ و ٢٩ - ١ - ١٩٢٨ ، والرقيب ١٩ - ٢ - ١٩٢٨ ، والمقتطف مارس ١٩٢٩ .
(٢) كوكب الشرق ٨ - ١ - ١٩٢٧ .

موقع «عضو الحزب الوطني الشديد العداء للإنجليز» أو موقع «الاشتراكي فكري» ثم «موقع الاشتراكي عملا» كما قال هو نفسه .
و «عملت كطبيب أطفال وأحسست بحقيقة الفقر وبشاعته ، كنت أقول للأم اشترى دواء لطفلك أو غذاء لطفلك وأشعر أنها لا تملك قرشا .. واقتنعت أنه لا فائدة من الطب ولا فائدة من أي مجهود يبذل إلا إذا تغير المجتمع . وأدركت أن الواجب الأساسي للإنسان هو العمل لبناء الاشتراكية » (١) .
وكان هناك شخصان في الانتظار العرابي وناصف ، أضناهما السعي إلى ميدان العمل القانوني ، فأغلقت الصحف بابها في وجهيهما ، ثم فشلت محاولة تأسيس حزب علني باسم الحزب الاشتراكي المصري .. على أساس أنه حزب اشتراكي وليس شيوعي فقد كانت حمى العداء للشيوعية شاملة وكاسحة إلى حد رفض حتى الاتجاهات الإصلاحية والمعتدلة .. ولم يعد أمامهما لمواصلة السعي في طريق الدعوة القانونية الاشتراكية سوى إصدار مجلة ..

يقول ناصف «وبعد ذلك في سنة ١٩٣٠ كان لي صديق هو د. عبد الفتاح القاضي واجتمعنا نحن الثلاثة لإصدار مجلة . وأنا كنت معروف أنني شيوعي ، وكذلك حسنى العرابي ولا يمكن منحنا رخصة للمجلة ، ولهذا طلبنا الرخصة باسم د . عبد الفتاح القاضي» (٢) .
ويقول القاضي : «عندما اتصل بي عصام الدين حلفني ناصف وعرفني بحسنى العرابي وعرض علي فكرة إصدار جريدة اشتراكية سياسية أسبوعية صادف ذلك هوى في نفسي» (٢) .

وهكذا أمكن إيجاد حل للمشكلة المستعصية التي كانت تواجه الصحافة اليسارية أو أية صحافة للرأي في مصر .. وهي الحصول على ترخيص .
فقد حصلت المجموعة على ترخيص باسم د . القاضي الوحيد من بين الثلاثة الذي لم تكن أعضاء البحث البوليسي مسيطرة عليه بصورة أساسية . وبدأت الاستعدادات لإصدار المجلة .
« وجعلت عيادتي بشارع محمد علي ، بعد اجزأخانة راتب والبيت موجود حتى الآن - دارا للجريدة ، وأقيمت إليها بكل ما أملك من نقود ، وكذلك حسنى العرابي وعصام» (٤) .



-
- (١) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه - د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - الجزء الأول - دار الفارابي - ص ٢٧ .
(٢) راجع النص الكامل لمحضر النقاش معه - المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٧٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٧٤ .

وبدأت الحركة .. معركة إصدار مجلة اشتراكية في أحلك أعوام تاريخ مصر الحديث عام ١٩٣٠ ، حيث تسلط على مقاعد الحكم في مصر الطاغية اسماعيل صدقي فارضا جوا من الارهاب الخائف ، ضد أي خصوم ، فما بالك بخصوم ينادون بالاشتراكية . حتى ولو كانت معتدلة .
ويجتمع حول «روح العصر» أفراد ممن انسحبوا من الحزب الشيوعي مع حسنى العرابي سالكين معه طريق الكفاح القانوني ، أهمهم «الهامي أمين» وكان موظفا بالسكة الحديد ثم فصل بسبب نشاطه الشيوعي ، والتحق بحسنى العرابي وجمع مقالاته وأصدرها في كتيب بعنوان: «مقالات العرابي» كتب في مقدمته «أعتقد عن يقين أن من أبلغ ، وأقوى ، وأمتن ما كتب بالعربية في تقويض الرجعية ونشر الثقافة الحديثة ، ورفع لواء التجديد سواء أكان ذلك في الأدب ، أم الاجتماع . أم التاريخ . أم الاقتصاد ما كتبه صدقي الاستاذ محمود حسنى العرابي ، ولا أكون مغرقا إذا قلت ان غير محمود حسنى العرابي في مصر لا يقوى على صرخته الجريئة» (١) .

وفي روح العصر كان الهامي أمين مدير الإدارة .
وحول «روح العصر» تجمع أيضا عدد من التقايين الموقنين أمثال «سيد قنديل» الذي كان متحمسا لفكرة المجلة الى حد انه كان يحرر فيها نشرا وشعرا عاميا ويوجه على صفحاتها نداءات حارة للعمال ثم «يحمل الاعداد على كتفه ليوزعها بنفسه» (٢) .

ومنذ البداية كانت المشكلة التي تواجه المجلة هي مشكلة التوزيع .. فقد وضعت نفسها كمادة كل المجلات في زمنها بين فكي متعهد توزيع الصحف «على الفهلوى» وتضطر روح العصر الى تملق «الفهلوى» معلنة على صفحات عددها الاول ان متعهد توزيعها هو (حضرة الفاضل المعلم على الفهلوى متعهد عموم الجرائد والمجلات الاسبوعية بالقطر) .
« .. وتأمر ضسندنا متعهد توزيع الجرائد فكان يخرن الاعداد ولا يوزعها » (٣) .

واضطرت المجلة الى أن تشن في اعدادها الاخيرة حملة عنيفة على الفهلوى متهمة اياه بأنه يمالئ البوليس ويمتنع عن توزيع نسخها .. وتطالب بحافظ القاهرة بالتدخل لمنع تسلط هذا «المعلم» على عملية توزيع الصحف .
لكن «روح العصر» تجد من يصل بها الى قرائها ، طلابا ومناضلين

(١) محمود حسنى العربى — مقالات العربى — على مجموعها وترتيبها ونشرها الهامى أمين . المطبعة الأميرية الكبرى — ص ٢ .
(٢) د . رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر — المرجع السابق ص ٢٧٧
(٣) د . رفعت السعيد — عصام الدين هلى نصف — سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي ، دار الثقافة الجديدة — ص ٨٤ .

نقابيين التفوا حولها وكانوا يقومون بتوزيعها بأنفسهم .



ولم تكن مشكلة التوزيع هي المشكلة الوحيدة .
فقد كانت هناك مشكلات سياسية أساسية .

يقول القاضي « كان هنا أنا وحسنى العرابي إلا نعطي لاسماعيل
صدقي حجة قانونية لغلاق المجلة ، كان هدفنا ان تستمر المجلة أطول مدة
مدة ممكنة ، أما عصام ناصف فقد كان متطرفا وكان رأيه ان نهاجم ونستفز
اسماعيل صدقي » (١) .

كذلك فان فتح الباب أمام المنهج القانوني كان بغير حدود من جانب
البعض على الأقل ، بحيث انحرفت المجلة في بعض مآثرته من مقالات عن
المنهج الذي يقبله أشد الاشتراكيين اعتدالا واصلاحية . . . ففي العدد الثالث
تنشر مقالا للاحمد المصرى بعنوان «اشتراكية النولة - حكومة مصر تسير على
نظام اشتراكي» (٢) . ولنفس الكاتب مقال آخر بعنوان «محمد علي باشا
يطبق النظام الاشتراكي في مصر» (٣) .

وفي العدد الرابع تنشر فصلا عن كتاب «الحركة الاشتراكية» لرامزي
ماكبولند تعريب الاستاذ العرابي والفصل بعنوان «الفوضوية والشيوعية
ليست من الاشتراكية» (٤) .

ولكننا وفي نفس الوقت نجد دراسات ماركسية ذات مستوى رفيع،
مثل العرض الذي قدمه د . القاضي لتاريخ مشاهير الاشتراكيين ، ودراسة
للدكتور القاضي أيضا عن المذاهب الاشتراكية (٥) ، ومقالات لعصام الدين
حفنى ناصف والتي استهلها بمقال بالغ الأهمية نشره في العدد الاول بعنوان
«ما هي الاشتراكية» (٦) والترجمة التي نشرها د . القاضي لكتاب كارل ماركس
(العمل المأجور ورأس المال) وكتابات ماركس عن المادية التاريخية وغيرها
من الكتابات الأخرى . ثم ذلك العدد التاريخي الذي صدر بمناسبة عيد أول
مايو ١٩٣٠ وهو العدد ١٢ ففي صدر الصفحة الأولى من المجلة شعارا (ياعمال
العالم اتحدوا - ليحيا أول مايو) ثم صورة كبيرة لسكارل ماركس وتحتها
العبارة التالية «رأينا أن نحل صدر هذا العدد في هذا اليوم العظيم بصورة
أبي الاشتراكية العلمية كارل ماركس وهي أول صورة تنشر لعلمنا الأكبر

(١) د . رفعت السعيد تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق - ص ٢٧٤

(٢) روح العصر ، ٢٨ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ٧ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٥) روح العصر ، ١١ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٦) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

في مصر» (١) والنوقيع «ح» وهو توقيع مستعار لحسنى العرابى .
واذا كان القول بأن هذه هي المرة الاولى التى تنشر فيها صورة
كارل ماركس في مصر - ليس دقيقا تماما ، فان الاشارة الى أن كارل ماركس
هو «معلمنا الاكبر» كانت تمثل نقلة كبيرة في الافكار المعلنة «لروح العصر» .
والعدد ١٢ ليس تاريخيا لهذا السبب فحسب ، وانما لانه شهد محاولة
جديدة لتحويل «روح العصر» من مجرد مجلة .. او منبر اشتراكى الى تنظيم
اشتراكى .

ففى الصفحة السابعة من هذا العدد ينشر نداء بعنوان : « نداء العمال
المصريين الى رفاقهم الاوربيين» جاء فيه «تتوجه طليعة الطبقة المصرية العاملة
الى رفاقها الاوربيين بمناسبة اول مايو على لسان «روح العصر» (الجريدة
الاشتراكية الوحيدة فى الشرق) بهذا البيان :

١ - نعلن تضامننا مع رفاقنا الاوربيين فى جهادهم ضد الرأسمالية
الدولية .

٢ - نلفت نظر رفاقنا الى الام واستعباد الجماعات العاملة فى الشرق
بواسطة الاوربيين . ولذا فنحن عمال الشرق ننتظر من روح التضامن
التي تسود رفاقنا الاوربيين أن تدفع بهم الى تلبية نداءنا بايجاد صلات
صداقة وعطف بيننا وبينهم » (٢) .

واذا كان البيان يمثل فى ذاته نقطة تحول هامة فى منهج «روح العصر»
- (الجريدة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق) كما صمم أصحابها على وصفها
من حيث التوجه لايجاد صلات «أهمية» مع عمال أوروبا ومن حيث استخدامها
للفظ «رفاقنا» ومن حيث ابرازها أهمية الوحدة فى المعركة ضد «الرأسمالية
الدولية» .. فان الشئ الأكثر أهمية هو أن البيان قد وقع كما يل (عن العمال
المصريين - الكتلة الاشتراكية) .

وكانت (الكتلة الاشتراكية) واحدة من المحاولات المضنية التى بذلتها
المجموعة التى أصدرت (روح العصر) لتأسيس تنظيم اشتراكى علنى ، لكنها
كغيرها من المحاولات التى سبقتها والتى تلتها فيما بعد جوبهت بمقاومة
حازمة من سلطات الامن .

وبنا أن مجلة «روح العصر» لم تكن مجرد صحيفة تصدر لتقول كلاما
عن الاشتراكية ، وانما كانت - فى تصور أصحابها - خطوة نحو اقامة تنظيم
سياسى للعمال والفلاحين ينادى بالاشتراكية .. فان محاولة تأسيس «الكتلة
الاشتراكية» - تلك المحاولة التى أحبطت على الفور - قد تلتها على الفور ،
وفى العدد التالى مباشرة وهو العدد ١٣ ، محاولة أخرى للالتقاء مع مشروع
اسماعيل مظهر لتأسيس حزب للعمال والفلاحين .

(١) روح العصر ، ٢ - ٥ - ١٩٢٠ .

(٢) المرجع السابق .

والامر يستحق وقفه . .

فاسماعيل مظهر قد بدا محاولته لتأسيس حزب اصلاحى بحث باسم « حزب الفلاح المصرى » . وفى مشروع تأسيس الحزب الذى وجهه اسماعيل مظهر الى مصطفى النحاس قائلا « بالنصفه العليا التى نكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى وخليفه للزعيم الاكبر المغفور له سعد زغلول باشا ، والمسداقم الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقىة ، وبحكم انكم الزعيم الاول للاغلبىة الساحقة من المصريين انقدم اليكم بهذا المشروع . . » والنوڤيع « خادمكم المطيع » (١) . ويوضح اسماعيل مظهر فى مشروعه ان الهدف « هو تكوين حزب اجتماعى يكون اساس الاصلاح فيه فلاح مصر بامتقاره الاكثريه العظمى ، وانه اصل الثروة ، كما انه لا يجب ان يغيب عن اذهاننا ان افعال تكوينه سوف يكون عما قريب اساس انقلق الاجتماعى » .

لم يمضى اسماعيل مظهر قائلا بوضوح اكثر « لهذا وجب علينا ان نبحث فى اتمل الطرق والوسائل التى نحمينا من الانقلابات الفجائية والنس نصد عنا سبل الافكار المتطرفة الحديثة التى تفيض علينا بها دوليات اوروبا الشيوعية . . » وانى لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى على القواعد التى وضعتها فى مبادئه كفيلى بأن نحمينا من هذه الشرور » .

وبالرغم من كل ذلك التاكيد الواضح ، وبالرغم من ان البرنامج كان اصلاحيا بحثا ، وان اقصى تطرف لجا اليه كان حديثا عن تحديد الحد الاقصى للملكية الزراعيه بخمسمائة فدان . . وبشرط ان يتم ذلك دون أى تدخلى قانونى او حكومى وانما بمجرد الانتظار لان تفعل احكام المواريث لعلها الطبيعى .

برغم ذلك كله فقد وقفت الرجعية المصرية - التى اشتهرت برفض اية نزعات اصلاحية - من محاولة اسماعيل مظهر موقف الرفض التام ، بل والادانة الكاملة . . ولم يبق امام اسماعيل مظهر الا ان يتجه الى احضان اليسار . . وكانت البداية اشارة عابرة فى العدد ١٣ من «روح العصر» الى انه طبع « بدار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصرى بميدان الظاهر » (٢) . واذا كان غريبا ان يلتقى اسماعيل مظهر - بموقفه المصـــــــروف من الاشتراكية - بمجلة « روح العصر » ، فان الاغرب هو ان يتم هذا اللقاء فى العدد التالى مباشرة للعدد ١٢ وهو العدد الذى صدر وفى صفحته الاولى صورة « معلمنا الاكبر » كارل ماركس ، والذى تميز بانعطاف حاسم فى توجهه نحو اليسار السافر .

وتتطور العلاقة لنقرأ اعلانا فى العدد ١٥ يقول « اقرأ مجلة « العصور » تحرر فكرك » (٣) .

(١) العصور - الشهرية - اكتوبر ١٩٢٩

(٢) روح العصر ، ١ - ٥ - ١٩٣٠

(٣) روح العصر ، ٢٣ - ٥ - ١٩٣٠ .

ثم يصدر العدد ١٧ من « روح العصر » متضمنا النص الكامل لبرنامج « حزب العمال والفلاحين » ويوقعه نيابة عن اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين اسماعيل مظهر (١) .

وبطبيعة الحال فان البرنامج كان يمثل تطورا هائلا في فكر اسماعيل مظهر ومواقفه وتبدو بصمات الفكر الماركسي واضحة تماما في أغلب موادها . .

تم يبدو الالتحام بين المجلتين « روح العصر » و « العصور » أكثر فأكثر حتي تبلى « روح العصر » ابتداء من العدد ١٨ في إعادة نشر مقالات كاملة عن العصور ولعله من الملفت للنظر ان يكون اول مقال تنشره « روح العصر » نقلا عن العصور هو مقال بعنوان « حياة لينين » (٢) .

★ ★ ★

وبطبيعة الحال فان « روح العصر » قد تعرضت لهجمات سياسية عنيفة وخاصة من جانب « جريدة السياسة » . التي اتهمت «روح العصر» بأنها تروج للشيوعية داعية السلطات الى اتخاذ موقف حازم تجاهها . .

وتتصدى صحف عديدة للدفاع عن «روح العصر» وعن حقها في التعبير عن رأيها . . وننشر « روح العصر » باعتزاز ظاهر دفاعا تقدمت به « زميلتنا » اليقظة البيروتية بعنوان جريدة السياسة « زميلتنا » روح العصر ننقلها فيما يأتي . . «لا تزال جريدة « السياسة » لسان حال حزب الديكتاتور المصري الهايظ محمد محمود باشا نشر الحملة على جريده «روح العصر» المصرية الراقية داعية الحكومة الى البطش بها ، فنحن نستغرب هذا التهمج اللثيم وهذه المحاولة السخيفة من صحيفة يرأس تحريرها اديب كـمـحمد حسين هيكسـل ونرجو من نقابائنا وجميع النقابات المنظمة ان تتآزر في الاحتجاج على ذلك الدس غير المتوقع من صحيفة جدير بها ان تبقى بين سطورها بقية احترام لها في نفوس القراء .

ان روح العصر يجب ان يؤيدها العمال وان يستعيدوا قواهم ممن الضمفاء ويردوا الضعف الى اسبابه .

وتعلق « روح العصر » على هذا الدفاع الذي تلقى جيدا انه قائم من حزب شقيق ان «روح العصر» «تشكر للزميلة روح التضامن والمطف ، وتعاهد جميع عمال وفلاحى الشرق على ان لا يجيد عن الخطوة التي سارت عليها مهما أصابها من افتات الموتورين » (٣) .

(١) روح العصر ، ٦ - ٦ - ١٩٢٠

(٢) روح العصر ، ١٢ - ٦ - ١٩٢٠ .

(٣) روح العصر ، ٩ - ٥ - ١٩٢٠ .

ولعل هذا المنهج في الرد على «السياسة» كان أفضل بكثير من المنهج الذي اتبعه د . انغاضى محاولا التنصل من اتهامات «السياسة» مؤندا انهم «اشراييون» وليسوا «شيوعيين» . . وصحت عنوان «جهل ام نجاهل . . نسب المقاب عن وجه السياسة» كتب الدكتور الناضى يقول . . « لا نريد ان ننقض «السياسة» في هذا المقام دعاويها الباطلة واختلافاتها المألوفة ، لا نريد بذلك البتة ان نبرىء انفسنا مما ترمينا به افتثانا ، نحن مرتاحو الضمير باننا اذ نعتنق المذهب الاشتراكي لا نأتى امرا اذا . . ويحاول د . العاضى جاهدا ان يؤكد انه ومجلته اشراييون وليسوا شيوعيين «كما أننا موقنون كل اليقين ان جهلها او نجاهلها المتعمد تفرق ما بين الاشتراكية والشيوعية وخلطها خلطا معيبا بين الاثنين لن يحدث الامر الذي تطلبه» (١) .

وقد يبدو الامر غريبا من رجل كان يعتبر نفسه بالفعل — ومنذ امد ليس بالغريب شيوعيا ، بل انه وبعد ان انفرط عقد جماعه «العمل القانوني» مالبث ان انضم دون اى تحفظ الى تنظيم شيوعى . . ويقودنا ذلك الى التناقض الخطير الذى اقض مضاجع اصحاب «روح العصر» كانوا شيوعيين لكن القانون يحرم الشيوعية ، وهم يتمسكون بالقانون والعلمية ، فلا بأس اذا من بعض التسامح او بالدقة «التنصسل» من اسم «الشيوعية» . الامر الذى أدى الى تناقض خطير سواء فى مواد المجلة . . او فيما بين مؤسسيها الثلاثة .

ومع ذلك — وبرغم التناقضات بين الثالث المسئول عن المجلة ، استطاعت روح العصر ان تكون بالفعل — وفى ظل فترة من احلك فترات التاريخ المصرى منبرا تقرده من فوقه شعارات ومبادئ الاشتراكية . . ربما ترددت فى ضمير وضوح أحيانا ، وربما لم تكن الخطوط واضحة تمام الوضوح ، لكن الشئ الهام هو ان «روح العصر» كانت تبرغم كل ما شاب تحريرها من نواقص منبرا يقول كلمه الاشتراكية . . ويواجه طغيان صدقى وارهابه ويواجه مناورات الاحتلال وعملاء الاحتلال بمنطلقات طبقية تنتمى بوضوح الى العمال والفلاحين ، وتدبى الاستغلال وتربط المعركة ضده . . ربطا محكما ووثيقا . . بالمعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى .

كذلك كانت «روح العصر» اول نبض مصرى تقدمى احس بخطر الفاشية وأدانها ودعا شعوب العالم للتكفل ضدها . . وكانت «روح العصر» أولا وأخيرا درسا قاسى الملامح لاشخاص حاولوا ان يشقوا باطرافهم طريقا علنيا وقانونيا للعمل الاشتراكي فى صخر رجى صلد يرفض حتى اية نزعات اصلاحية . . كانت مرحلة ضرورية حتى يتلقن عصام ناصف والقاضى وأمثالهما

الدرس ، ثم ينهض بعد عشر سنوات ليواصل المسيرة في طريق «غير قانوني» ،

بعد ذلك يمكننا ان نشرع في تحليل صفحات المجلة ..
فاذا ما بدأنا بالقضية الوطنية وهي المحور الاساسى لاي عمل كعاحي في
ذلك الحين فان «روح العصر» كانت منبرا ملهبا للعداء ضد الاستعمار ..
ولفهم المغزى الاقتصادي للاستعمار .. ودعوة للعمال والفلاحين لكي يكون لهم
موقف طبقي ومتميز في معركة الاستقلال الوطني .

وفي العدد الاول نقرأ موضوعا بعنوان «حديث» والتوقيع «خرافه» وينم
الاسلوب عن ان صاحبه هو عصام ناصف . ويقول الاحرارالديمستوريون انهم
حزب البيوتات العربية في المجد والثروة والطبقة الارستقراطية المصرية ..
ويعول الوفديون انهم رجالات الشعب في طلب الاستقلال التام لوادي النيل ،
ويقول الحزب الوطني . زيلع .. مصوع .. اوغندا .. الى اخر السورة غير
المحفوظة . فاذا فرضنا وتمت المعاهدة على ما يرام فماذا تقول أنت ايها العامل
وانت ايها الفلاح ؟ فكر من الان فيمن سوف ينكلم باسمك ، ويعمل على تنفيذ
رغباتك وارادتك .. فكر وحياة ابوك .. الله يهديك» (١) .

لكن المعاهدة لم توقع .. المفاوضات تقطع ، وتصيح «روح العصر» في
افتتاحية العدد ١٤ «قطعت المفاوضات فماذا نحن فاعلون ؟» وبعد ان يستعرض
الكاتب مواقف السياسة البرجوازيين يمضي سريعا الى موقف طبقي واضح
فيقول « .. لندع تصريحات السياسة جابيا ولننظر الى المستقبل بعين التفاؤل ،
ان من يمعن النظر في تطور المذاهب السياسية في العالم في السنين الاخيرة
لا بد وان يعترف معنا بأن المذهب الاشتراكي يكسب انصارا ويزداد قوة اليوم
بعد اليوم ، وان العالم كله صائر الى الاشتراكية لا محالة ..

وهنا سيحقق ما تراه الانسانية اليوم حلما تصبو اليه فتستعيد الامم
جميعا حريتها واستقلالها ، وتحل المعاهدات الاقتصادية محل القيدود
الاستعمارية» .

وهنا يبدو الامر غريبا بعض الشيء فكان الكاتب يريد ان يقول للجماهير
اذا اردتم استقلالا لوطنكم تعالوا معنا في طريق الاشتراكية ..
بل انه يعرض بحكم البرجوازية المصرية وينظر الى توليها السلطة
الشكلية نظرة طبقية صرفة « .. لم نر في السنوات التي أعقبت الاحتلال
البريطاني حتى اليوم ، احدا ممن تولوا الحكم في مصر يوجه اهتمامه الى
انتشال البلاد من هذا التأخر المعترف به من الجميع ، فهذه السنون تنقضي

(١) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

سراعا .. والفلاحون ما زالوا أسرى جهلهم وسذاجتهم والعمال طعمة سائغة
لأصحاب الأعمال يأكلونهم لحما ويرمونهم عظما ، (١) .
وهنا يتعين علينا ان نتوقف لتتأمل هذا الموقف الجديد من القضية
الوطنية ، فهنا نلمس ان المضال ضد الاستعمار يتخذ طابعا طبقيا صرفا ورأس
الحربة موجهة ضد الاستعمار الاجنبى والاستغلال المحلى معا وجنبا الى جنب
ودون اى تفرقة ..

ورسام الكاريكاتير فى المجلة يصور مصر كبقرة يحلبها اقطاعى وجون
بول ينتظر نصيبه من الضئيلة وتحت الرسم (عبارة) والبقرة الحلوب بين
الاقطاعيين المصريين والمستعمرين الانجليز (٢) .
ولكى نفهم هذا الموقف يتعين علينا ان نعود بالذاكرة الى موقف اليسار
العالمى فى هذه الفترة . فمذ عام ١٩٢٨ اتخذ الكومنترون فى مؤتمره السادس
موقفا يعلن ان البرجوازية الوطنية الصينية قد انتقلت وبصورة نهائية الى
معسكر الثورة المعادية .. وبصورة تلقائية انتقل تحليل الوضع فى الصين
الى مصر .. وعومل الوفد معاملة الكومنتائج .

وهكذا فسر الصراع بين الوفد وصدقى وبين الوفد ومحمد محمود بأنه
مجرد مسرحية وان « هذه المسرحية ذات الخصائص الفريدة تجرى من اجل
متفرج واحد هو المندوب السامى البريطانى اللورد لويد . فان كلا من
محمد محمود والنحاس باشا يحاول ان يقنع المندوب السامى البريطانى بأن
حكم مصر ممكن فقط بواسطته هو شخصيا » . ويؤكد هذا الرأى ان انجلترا
« باهمالها لنداءات الجماهير العريضة فى مصر تعتمد أساسا على اعتقاد
راسخ مؤداه انه ما من جماعة من الجماعات السياسية المصرية تعارض
معارضة حقيقية فى استمرار السيطرة البريطانية » (٣) .

فإذا كانت « البرجوازية الوطنية » كلها قد ألقت بعلم الوطنية وارتقت
فى احضان الاستعمار فليس امام الشيوعيين سوى الصراع الوطنى من
خلال الكتلة الثورية من العمال والفلاحين وحدها ..
وتنهج « روح العصر » هذا النهج ..

وتحت عنوان « دعونا من مهازل المفاوضات » وتقدموا الى ميدان
الكفاح « يكتب محمود حسنى العرابى قائلا « .. فلنبدا باعلان رفضنا
للاستعمار ، واعلان الخصومة معه ، ثم نعمل على لم الصفوف وتوحيد
الجهود المشتتة فتعمل مصر مجتمعة وموحدة ضد العدو » .
لكن « مصر » التى يريد العرابى توحيدها ضد الاستعمار هى مصر

(١) روح العصر ، ١٩ - ٥ - ١٩٣٠

(٢) روح العصر ، ١٨ - ٣ - ١٩٣٠ .

(٣) ١ - الجبالى - مقال بلا مخرج .. مجلة ريفولوشيونى فوسنتوك (الشرق

الثورى) عدد ١ عام ١٩٣٢ - ص ١٤٦ - (مترجم عن النص الروسى) .

العمال والفلاحين وحدهم ، فهو يعرض في مقاله مطالباً بمطلبين اثنين :
« ١ - ان تنظم الكتلة العاملة في مصر ، نقراء الفلاحين في حقولهم ،
والعمال الاجراء في نعاياتهم وتجمع النقابات في اتحادات ، وتجعل صلة
بين اتحاد العمال واتحاد الفلاحين . وتبث عن طريق الاتحادات بين افراد
الشعب روح اليقضاء للاستعمار ، ونعمل على الهابها وادكائها حتى نخلق
في الشعب الوعي والاحساس ، ويؤمنذ يعرف الشعب ان يختار طريقه
للخلاص . »

٢ - ان نمد يدنا الى الشعوب المستعبدة والتي مدت اليها يدها خير
مرة . ونقف معها جبهة موحدة ضد الاستعمار . ومتى تم تأسيس عصبة
شريفة قوية من البلاد المهضومة تبدلت الحال خير الحال . . .
... اما سياسة المفاوضة ، وسياسة حسن التفاهم ، او سياسة
الخنوع وسياسة الموت ، سياسة جريئناها فاساءت اليها . . .
... وواجب كل مصري مخلص ، ذى كرامة ، ان يعلن التحول عنها
الى سياسة الاقدام والعمل ، فالى الميدان « (١) . »

وفي عدد قال يكتب العرابي ايضا تحت عنوان « سياسة الموائد
لا تجدى نتكن سياستنا سياسة الاستعداد والتحفظ » (٢) .
لكن الموقف من القضية الوطنية ، ومن الاحزاب السياسية المتصارعة
في الحقل الوطني يتضح تماما من تعليق « روح العصر » على مجزرة
المنصورة « كان امس الاول موعد زيارة النحاس باشا للمنصورة ، فوضعت
الحكومة العقبات في سبيل رحيله . فتحداها الياسا ، وكان ان التحم
الشعب والبوليس والجيش في معركة انجلت عن ٦ قتلى و ١٤٥ جريحا .
والوفد ومعه الاغلبية الساحقة يلقي تبعة هذه المجزرة على سلوك الحكومة ،
وتلقى الحكومة ومعها الجيش والبوليس التبعة على سلوك الرعاع .
شهوات حزبية تسال فيها الدماء البريئة ، والمسئولون آمنون
مطمئنون . وتلك غمة نرجو ان تتكشف عن هذا الشعب قريبا » (٣) .
انه موقف شبيه بذلك الموقف الذي انتقده الكومنترن فيما بعد عندما
دعا الحزب الشيوعي عمال العنابر المضربين ضد اعمال صدقي التعسفية
الى ان « يدموا البرجوازيين يتصارعون فيما بينهم » متجاهلا بذلك المغزى
الثورى لحركة الوف العمال المضربين ضد القهر والديكتاتورية . . .
وعلى أية حال فان موقف « روح العصر » لم يكن سوى امتداد لخطأ
عام وقع فيه اليسار العالمى كله عندما عم تجربة الصين وخيانة الكومنتانج

(١) روح العصر ، ٢٠ - ٥ - ١٩٢٠ .
(٢) روح العصر ، ٦ - ٦ - ١٩٢٠ .
(٣) روح العصر ٣ ١١ - ٧ - ١٩٢٠ .

فيها على كل البرجوازيات الوطنية ومن ثم فقد حدد واجب الشيوعيين في المستعمرات من الدرجة الثانية مثل الصين ومصر « بالسعى لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة (صغار ومتوسطى الفلاحين) » (١) متجاهلا بذلك الدور الوطني لقطاعات هامة من البرجوازية الوطنية ..

ويطبيعة الحال فقد اقترن النظر للقضية الوطنية من خلال فكره تقول بخيانة كل البرجوازيات وتخليها عن القضية الوطنية ، بحملة طبقية ضارية ضد الاغنياء وضد الرأسماليين والاقطاعيين المصريين والاجانب على السواء .

ولقد اعلنت « روح العصر » منذ اليوم الاول موقفا صريحا ضد الاغنياء .. والى جانب العمال والفلاحين ..

ولنتأمل افتتاحية العدد الاول .. « أمنية طالما جالت بخاطر الكثيرين ممن اتاحت لهم ان يروا بلادا غير هذا البلد ، تعيش حقا في سؤدد ، باللغة من الرقي ذراه ، ان يكون لهم صحيفة يصارحون فيها مصر واهلها القول من غير مDAHنة او خداع ولو بدافع عامل المنفعة الذاتية التي تملى على الاقلام ما لا تؤمن به القلوب في اصعاقها ، ولا سمعيا وراء ارضاء طبقة قوية ذات سلطان او استغلال فئة اخرى عديمة العون .

تلك أمنية ان لها ان تخرج من حيز التمني الى حقيقة الوجود . واذا فأننا نتقدم بصحيفتنا « روح العصر » الى الشعب المصري ، وقد اتخذت لها من الاسس ما سلف ذكره .

على هذه الاسس ستسير هذه الصحيفة محاولة ان تبين الطريق السوي نحو الرفعة الحقيقية لمصر واهلها .

ان من الحقائق الثابتة ان حظ أي بلد ما من الرقي ، يتعلق تعلقا كليا بما عليه حال سواده الاعظم من رغد العيش والتهذيب والثقافة ، وليس يكفي ان يكون ثمة بضع آلاف من المصريين يسكنون القصور ، ويقتنون السيارات الفخمة ، ويرتدون الحلى وبهيج الثياب ، ويجيدون التكلم بالفرنسية او بآية لغة اجنبية اخرى ، ثم هم بعد ذلك قد يكونون على علم وفهم ببعض الفنون الجميلة .. ليس يكفي هذا لكي يقال عن مصر انها بلد متحضر .. لن تكون مصر بلدا محترما له مكانته حتى يختفى من بين سكانها حفاة الاقدام ، خاوي البطون ، رثو الثياب ، متوسسدو الارض وملتحفو السماء ، قاطنو الاكواخ الطين ومواشيهم مسحبة ، الاميون الجاهلون

Joseph stalin — marxism and the national and colonial question —
london, 1947 — P . 216

الباقون على سذاجة الفطرة وقسوتها ، .

هكذا تمضى « روح العصر » على نفس الخط السابق فإذا كان الاستقلال الوطنى يتعين النظر اليه من خلال منظار طبقى .. محتواه الاساسى العمال والفلاحين فان « كرامة مصر واحترامها » يتطلبان أولا وقبل كل شيء الدفاع عن العمال والفلاحين ومنحهم حقوقهم .

وتمضى الافتتاحية « أجل لن تصبح مصر بلدا ذا مكانة محترمة ، ما لم يقل فلاحوها وعمالها من وهدتهم السحيفة الى صفوف البشر ، فلا فقر مدقع ولا جهل مطبق ، ولا استغلال يبلغ حد الاستعباد . »
هذا هو برنامجنا الذى جعلنا « روح العصر » داعية له ، نعاهد ان نثبت عليه راجين ان لا يطول بنا العهد حتى نراه محققا « (١) .

وفى مقال بعنوان « هل الفقر ضرورى ؟ » يقتحم المراسى ميسدان الحقيقة قائلا : « ان كان العقل يسمح بافتقار تلك الاكثريته هذه الاقلية فما لا يمكن لعقل ان يتصوره او يقول به حالة واحدة يجوز فيها ذلك المنطق المقلوب وهى تنطبق على حالنا ؟ .. وتلك هى عندما تحتكر الاقلية موارد الثروة بأية وسيلة من الوسائل فيصير الانتاج غاية فى نفسه او وسيلة للنقود السياسى بدلا من ان يكون وسيلة للتقوية ، او بعبارة أوضح عندما يكون الانتاج للسوق لا لسد حاجات الجمعية عندئذ نفهم جميعا ان الفقر ضرورى لاشباع المحتكرين » (٢) .

ومن الحديث عن الفقر .. وتحليل اسبابه الموضوعية ، الى الدعوة صراحة للاشتراكية ومحاولة شرحها وشرح مبادئها الاساسية .
والحقيقة ان « روح العصر » التى كانت تستمتع عادة بتسمية نفسها « الصحيفة الاشتراكية الوحيدة فى الشرق » قد جعلت من نفسها مدرسة لشرح وتقديم المبادئ الاساسية للفكر الاشتراكى ..

ومنذ العدد الاول يقدم عصام ناصيف مقاله الشهير « ما هى الاشتراكية ؟ » (٣) ويقدم اجابة مباشرة ومحددة :

« الاشتراكية هى نظام اقتصادى واجتماعى يراد به :

١ - منع الانسان من استعباد الآخرين او استغلال مجهوداتهم ، فلا يسمح لرجل ان يمتلك مصنعا يستخدم فيه مئات العمال يتحكم فى ارزاقهم ولكن يسمح له بامتلاك منزل صغير لسكناء .

٢ - منع الافراد والشركات الرأسمالية من التحكم فى كمية المحاصيل الزراعية والصناعية وفى تقرير ثمنها - وقد رأينا فى مصر كيف كانت شركات

(١) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ٢٨ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

زيت البترول ترفع ثمنه مدة الحرب وما بعدها بدون مسوغ كما ان شركات الدخان والادوية الطبية وغيرها تتحد وتكون نوعا من الاحتكار حتى تستطيع ان تفرض ارادتها على الجمهور وذلك لا ينأى الا بجعل وسائل الانتاج ملكا لامة تديرها الحكومة او المجالس البلدية او النقابات التعاونية . .

٣ - منع الاستعمار والحروب التي تنشأ من الرغبة في الاستعمار . ان الشركات تنتج من المحاصيل كميات هائلة جدا ، تم لا تجد لها سائرا فتكدسها في مخازنها ثم تأخذ في عمل الوسائل الفعالة لحمل حكوماتها على استعمار قطر ضعيف كمصر والسودان ، ثم تستعمل الحكومة الانجليزية نفوذها لحمل حكومتنا على شراء معظم مشروعاتها (كالقمح وعربات السكة الحديدية والاسلحة وأدوات الكتابة) من المعامل الانجليزية رغم ارتفاع الائمان التي تباع بها . لقد خسرت مصر عشرات الملايين من الجنيهات في هذا السبيل ، وهو مبلغ ضخم كنا نستطيع توفيره لو كان النظام الاشتراكي متبعا في انتاج البضائع الانجليزية .

٤ - منع الحروب التي تنشأ من التنافس التجاري ، فان الحرب العظمى التي قتل فيها ملايين الشباب ممن لا ذنب لهم والتي صرفت فيها الدول الوف الملايين من الجنيهات ، هذه الحرب نشأت بسبب التنافس التجاري بين الدول . . .

٥ - تقليل تكاليف الانتاج ، فاذا كانت الاراضى الزراعية التي في مصر تستثمر كلها على الطريقة الاشتراكية فان واپورات الحرث وماكينات الدراس وغيرها تحل محل المحراث البدنى والنورج فتقل تكاليف حرث الفدان في المرة الواحدة من ٧٩ فرشا الى ١٥ او ٢٠ قرشا فقط .

وينشأ من ذلك انه يمكن للزراعة ان تستغنى عن عدد من عمالها فيشتغل بعضهم في بناء منازل صحية للفلاحين وانشاء طرقا جميلة في القرى ومسارح للتمثيل ومدارس ومستشفيات ودور للكتب وغير ذلك مما تجعل الإقامة في القرى سارة ، هنية ، ويعمل البعض في المصانع لانتاج كمية عظيمة من الادوات الضرورية والكمالية حتى لا يحرم منها عامل ولا فلاح .

وهكذا تمضى محاولة « ناصف » الذكية في تناول الفكر الاشتراكي من منطلقات تهم المواطن المصرى وترتبط ارتباطا وثيقا بمصالحه وبمشاكل حياته اليومية . .

والى جانب العديد من المقالات المائلة قدمت « روح العصر » شرحا دقيقا وجيدا لافكار « مشاهير الاشتراكيين » لاسال ، أوين ، سان سيمون ، فورييه ، كارل ماركس .

وقد نشرت هذه المقالات بتوقيع « مؤرخ اشتراكي » ووفقا لرواية القاضى ، فى محضر النقاش معه ، فانه كاتب هذه السلسلة من الدراسات .

وابتداء من العدد ١٤ بدأت « روح العصر » فى نشر الترجمة الكاملة لكتاب ماركس « العمل المؤجر ورأس المال » وقد ترجمه د . القاضى ، ونشر فى خمس أعداد متتالية : ما الذى يحدد ثمن البضاعة (العدد ١٥) ، ما هى نفقات انتاج العمل نفسه (العدد ١٦) ، ما هو نمو رأس المال المنتج (العدد ١٧) ، كيف

يؤثر نمو رأس المال المنتج في أجر العامل (العدد ١٩) .
وفي العدد ١٨ مقال هام عن حياة لينين (١) ، كذلك نشرت المجلة دراسة
لماركس بعنوان «المادية التاريخية» (٢) . وفتحت صفحاتها امام اجتهادات
شابة في مجال الدراسة النظرية ، فنشرت في باب رسائل القراء مقالا بعنوان
«الاشتراكية من الطوبى الى الحقائق المادية» بتوقيع ح . حسن جاء فيه « مما
تقدم نرى ان ظهور الاشتراكية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين
وانتشارها في العالم ترتكز على حقائق مادية وليست آراء خيالية كما يتصورها
البعض في مصر . وخصوصا بعد التحليل المادي والاقتصادي اللذين قام
بهما اقطاب الحركة الاشتراكية امثال كارل ماركس وفريدريك انجلز وغيرهما
فانهم وضعوا الآراء الاشتراكية في صيغتها العلمية واثبتوا للعالم ان النظام
الرأسمالي لا يناسب العصر الحاضر ، كما وان النظام الاقطاعي والملكية المطلقة
لا تناسب عصر الرأسمالية . هذا وسنبين في مقال آخر آراء هؤلاء
الزعماء » (٣) .

وفي عددها الاخير تقدم « روح العصر » بابا جديدا بعنوان « كيف صرت
اشتراكيا ؟ » تقول في مقدمته انها سوف توجه هذا السؤال للمفكرين والمناضلين
الاشتراكيين المصريين وتطلب اليهم ان يحددوا على صفحاتها الدوافع التي
وجهتهم نحو النضال الاشتراكي . .

والتحدث الاول - والاخير - في هذا الباب وقع حديثه بكلمة « هو »
لكن سياق السرد يوحى بأنه محمود حسنى العرابي . .

فكيف أصبح « هو » او « محمود حسنى العرابي » اشتراكيا ؟

انه يروى كيف عاش في ريف مصر ورأى « ان اصحاب الاملاك كلهم
يستحلون عرق هؤلاء الفلاحين ويسخرونها كالماشية لخدمتهم وانهم يستنفدون
دماءهم قطرة قطرة وعرقهم نقطة نقطة على مر الايام .

وانتهت العطلة المدرسية وانتقلت الى الاسكندرية وكان عام ١٩١٤ ،
وفي اواخر هذا العام تعرفت بجندى انجليزى اسمه فكتور شتن ، وكان شتن
هذا ادبيا ضليعا واشتراكيا متمكنا . . وعلمنى ان ارد الحوادث مهما اختلفت
الى اصول الاقتصادية لا الى اصول الروحية كالاديان وجاءنى بعدة رسائل
في الموضوع ، وتدرج معى فامدنى بكتب مختلفة» (٤) .

وهكذا يمكن القول بأن ما قاله د . القاضى في محضر النقاش معـه
ان « روح العصر » كانت مدرسة للفكر الاشتراكي لم يكن بعيدا عن الصواب .

(١) روح العصر ، ١٣ - ٦ - ١٩٢٠ .

(٢) روح العصر ، ٩ - ٥ - ١٩٢٠ .

(٣) روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٢٠ .

(٤) روح العصر ، ٨ - ٨ - ١٩٢٠ .

وقد حرصت «روح العصر» ان تربط معركتها ، بمعركة كل القسوى الاشتراكية والديمقراطية فى العالم مبرزة بصورة واضحة اهمية « التضامن الاممى » فى الممارك ضد الاستعمار ورأس المال والخطر الفاشستى .

فنداءات الاشتراكيين الفرنسيين بمناسبة عيد اول مايو ١٩٣٠ ، وقرار مؤتمر مكتبى دولية العمال الاشتراكيين ودولية النقابات الذى صدر ببائرس فى اجتماع ٧ مارس ١٩٣٠ وبيان سكرتارية اتحاد النقابات الدولى بامستردام بمناسبة اول مايو ، وقرارات مؤتمر الطلبة الاشتراكيين بستراسبورج ، ومقالات جان جوريس عن اشتراكية المستقبل القريب .. تجدد جميعا - هى والكثير غيرها - مكانا متاحا لها على صفحات «روح العصر» ..

وعندما توجه «روح العصر» نداءها لعمال مصر بمناسبة عيد مايو فانها تبدأه قائلة « ايها العمال : لقد آن لكم ان تترسموا خطوات اخوانكم العمال فى اوربا وامريكا فتستريحوا من أعمالكم فى اول مايو عيد العمال الدولى .. ايها العمال : اجتمعوا فى هذا العيد العظيم وقرروا كما قرر اخوانكم العمال فى كل العالم مطالبة الحكومة بحمايتكم من ارهاق اصحاب الاعمال .. وليعلم الجميع ان فى مصر عمالا يشعرون بما يشعر به كل عمال العالم من ان لهم كل الحق فى ان يعيشوا وكرامتهم موفورة ، وجانبهم عزيزا وحقوقهم مؤيدا .
متصورا .

ليحيا اول مايو . ليحيا عيد العمال الدولى » (١) .
وفى برنامج حزب العمال والفلاحين الذى نشرته «روح العصر» نجد فقرة تقول « القيام بنشر الدعوة لاطهار بشاعة الحروب الاستعمارية ، وغرس روح الاخاء الشعبوى بين الامم » (٢) .

كذلك اهتمت «روح العصر» بالدفاع عن التجربة السوفيتية وابراز نجاحاتها وانجازاتها . وفى مقاله الشهير « ما هى الاشتراكية ؟ » نلاحظ حرص «عصام الدين ناصف» على ان يقارن دوما بين العمال فى مصر وتدهور احوال معيشتهم وبين المنجزات التى تحققت من اجل العمال فى الاتحاد السوفيتى .

وعندما اشعلت حملة العداء للاتحاد السوفيتى مسترة خلف ماسمته بالاضطهاد الدينى تكتب «روح العصر» قائلة «افاضت التلغرافات العامة فى ذكر الاضطهاد الدينى فى روسيا السوفيتية فشمنا رائحة الدعاية السياسية بين سطور هذه البرقيات ، ولم نشأ ان نعلق حتى جاءنا البريد الاوروبى فرأينا صحف الاجرار والعمال طائفة بالرد على هذه الدعاية » (٣) . وكانت صفحة القصة فى «روح العصر» مخصصة فى اغلب الاحيان لنشر قصص من نسوع

-
- (١) روح العصر ، ٢ - ٥ - ١٩٣٠ .
(٢) روح العصر ، ٦ - ٦ - ١٩٣٠ .
(٣) روح العصر ، ١٤ - ٣ - ١٩٣٠ .

« انشودة الصقر - للكاتب الرضى الاشهر مكسيم جوركى ، عن الشيطان
لمكسيم جوركى ، عيد ميلاد وحيدة زفاف بقلم القصصى الروسى الكبير فيدور
ديستوفسكى اضراب فى نابولى لمكسيم جوركى . . الخ » .
على انه يتعين علينا ان نشير هنا الى بعض الملامح « التروتسكية » التى
برزت سريعا ثم اختفت سريعا ايضا على صفحات « روح العصر » .
ودليدنا على ذلك مقال وحيد نشر فى العدد الاول بغير توقيع بعنوان

« من هو بناينى استراتى ؟ » جاء فيه « كان بنايتى استراتى اذ ذاك من اشد
انصار الحركة الشيوعية فى روسيا والعالم فهو بطبيعته الشعرية ميسال
للتطرف ونزاع للمثل الاعلى فى الاصلاحات الاجتماعية وله فى ذلك مقالات
ملتزمة نشرتها مجلة « اوربا » الفرنسية .

هذا الرجل الذى قضى حياته محترفا شتى المهن مختبرا الجوع
والفاقة والعمل ، لم يطق ان يرى النظام الديكتاتورى يقوم فى روسيا ولو فى
سبيل تأييد الشيوعية التى ينادى بها ، ورغبة منه فى تعرف جو الحال هناك
سافر بنفسه ودرس احوالها وعاد منها ناقما على سلطة البيروقراطية التى
جعلت من الحزب الشىوعى الحكم الوحيد فى روسيا ، وكتب فى ذلك سلسلة
كتب عنيفة يؤيد فيها نزعة تروتسكى المتطرفة فهو ليس كما قالت « الاهرام »
كاتبا كان شيوعيا فيما مضى ، ولكنه على النقيض شيوعى كامل الايمان بفكرته
لا يعرف الحل الوسط . . . وانا متي إدركنا ان النظام فى روسيا يسير شيئا
فشيئا وفق تعاليم تروتسكى ، ورغبة فى تنفيذها مع مرور الزمن لا يمكننا الا
ان نقول ان اولئك الناس جميعا انما تجمعهم فكرة واحدة وغاية واحدة وايمان
واحد ، مهما اختلفت السبل وتنوعت الوسائل » (١) .

ولقد لفت هذا المقال نظرى ، كما لفت نظرى انه كان من بين المضبوطات
التي أدرجتها النيابة فى قرار اتهام لقضية اتهم فيها عصام الدين حفى ناصف
أصول مقالات لتروتسكى مترجمة الى العربية (٢) .

وأدرت حوارا ممتدا مع عصام ناصف - قبل وفاته بقليل - حول هذه
المسألة ونفى عصام عن نفسه اية نزعة تروتسكية « حقيقة » وقال « ربما
استهوانا الامر لبعض الوقت - وربما كانت لدينا مجرد الرغبة فى تصريف
أسرار وحقائق هذا الخلاف ، لكننى لم أكن تروتسكيا مطلقا » .
كذلك يتعين علينا ان نشير الى ان « روح العصر » كانت اول صحيفة
مصرية تحذر من خطر الفاشية وتدعو للنضال ضدها . . وعلى صفحاتها نجد
مقالات عديدة ضد الفاشية مثل من هو نوردن شهيد الفاشية (٣)

(١) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٢) ملف القضية رقم ٢٤٤ كللى ١٩٣١ جذايات الاسكندرية .

(٣) روح العصر ، ٢١ - ٢ - ١٩٣٠ .

و (ديكتاتورية الفاشزم وما جرت به على ايطاليا من البلاوى) (١) .

وكأنت «روح العصر» تعتبر ان قضية العمال هي المحور الاساسى لكفاحها ومن هنا فقد خصصت الكثير من صفحاتها للحديث عن مشاكلهم وحثهم على النضال من أجل تحقيق ظروف افضل لمعيشتهم ، واهم من هذا كله حثهم على ضرورة اتخاذ مواقف طبقية متميزة في مختلف المسائل ، وتأكيدا للدائب على ضرورة قيام حرب اشتراكى يدافع عن مطالب العمال والفلاحين .

واذا القينا نظرة على العدد الاول من «روح العصر» نجد الموضوعات العمالية التالية : تاريخ النقابات في انجلترا ، نقابة عمال الحوذية ، نقابة عمال المطابع ، عمال السجاير ، التمريفة الجمركية ، تشريع العمال في مصر . . في يونيو القادم يقطع اربعة أعوام في البرلمان ، في دوائر العمل ، اضراب عمال الحتاير ، نقابة عمال وسائلقى السيارات تقيم حفلتها السنوية الاول . . الخ ، (٢) .

ويمكن القول باطمئنان الى ان كل اعداد «روح العصر» قد نهجت هذا النهج في التركيز على المطالب والنشاطات العمالية .

كذلك فقد افسحت «روح العصر» صفحاتها امام النقابيين المصريين . . مثل سيد قنديل الذى كتب عديدا من المقالات والازجال ، وطلبة محمد طلبه ، واحمد اسماعيل ومحمد ابراهيم زين الدين الذى كتب مقالا بعنوان «مسور مظلمة - العمال العاطلون في مصر ، حياتهم وكيف يعيشون» (٣) .

والحقيقة ان العمال المصريين قد أثبتوا على صفحات «روح العصر» وعيا طبقيًا وفكريًا راقيا . . وشجاعة نادرة في الدفاع عن الاشتراكية وفي التأكيد على انها السبيل الوحيد لنيل مطالبهم العادلة .

فسيد بدوى قنديل يكتب مقالا ممتازا بعنوان «الانسانية يجب ان تسود العالم - نريد حياة غير هذه» (٥) . وفي مقال آخر يروى لنا سيد قنديل محنة المناضل العمالى الاشتراكي عندما يحاول ان يقول كلمته دفاعا عن طبقته ومبادئه .

«كيف تكون اشتراكي . ولماذا ؟» هذا هو عنوان المقال اما الاجابة فهي تصوير للمعاناة التى عاناها الكاتب وهو ينتقى الكلمات خوفا - لا على نفسه وانما على الجريدة من ان تغلق - ولنتأمل تصوير سيد قنديل لمعاناته هذه

(١) روح العصر ، ٨ - ٨ - ١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ١٤ - ٢ - ١٩٣٠ .

(٣) روح العصر ، ٢٥ - ٧ - ١٩٣٠ .

(٤) روح العصر ، ٣٠ - ٥ - ١٩٣٠ .

فهي صورة بالغة الاهمية لانها توضح لنا طبيعة المعركة التي كانت تخوضها صحافة اليسار في ذلك الحين . . يقول العامل المناضل سيد قنديل «سؤال وجهته الى نفسي حينما كنت اكتب في جريدتي « الاخبار » و « النظام » مقالات متتالية خصصت كثيرا منها عن العمال في مصر ، ولكني ما كنت ابيع لقلبي الصغير ان يطالع القراء ... خصوصا ساداتنا الحاقدين على ما يظنونهم (ضارا بمصالحهم) ! - بكل ما كان يجيش في صدري من كلمات كنت اعتقدتها حقا وصراحة ، في حين كانوا يمتقدونها هم ثورة ! وخروج على الانظمة ! واشتراكية ، بل وليست فقط اشتراكية وانما اشتراكية (نائرة) .

ولطالما كنت اكتب وامزق . وهكذا ساعات دون ان انتهي الى ما اريد ان اكتب في أسلوب لا يشتم منه رائحة يتمسكون بها كحجة على تطرفي - حسب اعتقادهم ... وما ذلك رهبة ولا فزعاً ، وانما ضنا على الجريدة من ان تسأل من اجل مقال هو على الرغم من ان مايجي به حق ، فهو في عرف (سادتنا) خروجاً على شريعتهم التي سنوها لانفسهم ... ونحن زاعمين انها خروج على انظمتهم التي نحن بها مضطهدين » .

ثم يضي سيد قنديل داعياً العمال والفلاحين الى الوحدة ذلك ان الوحدة « عنوان اشتراكيتنا وحيث تكلمنا عن الاشتراكية ... وهذا وقتها - فليكن منا اشخاص عاملين لها بكل قواهم . باذلين في سبيلها جميع جهودهم . لا يرهبهم غير صوت الحق ولا يقعد بهم ما يلاقوه من عسف وجور » ثم هو يطالب بعدد من المطالب العاجلة من بينها :

« ضم صوتنا لصوت اخواننا الاشتراكيين في بلدان العالم ، وعلى الاخص العاطفين علينا منهم في الشرق - مطالبة الحكومة بسرعة سن وطبع تشريع العمال وضرورة سن تشريعات تحميها من عسف الموليين وأصحاب الاعمال خصوصاً وأن غالبهم من الاجانب » (١) .

وفي النداء الذي وجهته «روح العصر» الى العمال المصريين قالت « انكم في حاجة ماسة الى اسماع اولي الامر وأصحاب الاعمال ظلامتكم ، وكلما كان هذا الصوت قويا واجماعيا سينتبهون اليكم وسيرون انفسهم امام اجماعكم انكم على حق في مطالبكم العادلة .

ايها العمال . . طالبوا بحقكم في ان لاتعملوا اكثر من ثمانى ساعات . . طالبوا بحقكم في زيادة الاجور . . طالبوا بحقكم في ضمان العجز والعطل ، وطالبوا بحقكم في بناء مساكن تؤويكم ومدارس تتعلمون فيها انتم واولادكم ومستشفيات تعالجكم » (٢) .

وتعليقا على كتاب « حركات العمال بمصر في ربع قرن » لاجد افندى

(١) روح العصر ، ١٦ - ٥ - ١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ٢ - ٥ - ١٩٣٠ .

اسماعيل تكتب « روح العصر » : « وتناولنا الجزء الثانى فوجدنا المؤلف قد ركب رأسه فى تاريخ حركة النقابات فى مصر فأغفل الدور الذى لعبته النقابات فى القطر المصرى سنئ ١٩٢١ - ١٩٢٤ فى الاسكندرية . . . وتكلم كثيرا عن عبد الرحمن بك فهمى ونسب اليه أفضالا لا نعرف لها اصلا بل هى على خلاف ما هو متداول عن البك وحرام على المؤلف ان يسجل فى تاريخ العمال المصريين زعامة هذا البك وقد كانت زعامة صورية خلعتها عليه سعد باشا لامور معلومة فى دولر العمل » .

كذلك حاولت «روح العصر» ان تناقش او ضاع الحركة النقابية وآفاقها وامكانيات تأسيس اتحاد عام للعمال . . وأيضا امكانيات تأسيس حزب عمالى اشتراكى . . من خلال مقابلات صحفية أجراها حسنى العرابى مع مستشارى نقابات العمال . . تحت عنوان « آراء مستشارى النقابات فى نهضة العمال المصريين » .

وفى حديث مع « حسن افندى نافع رئيس لجنة تشريع العمال فى البرلمان ومستشار بعض النقابات » .

يسأل العرابى : « ألا تلاحظون معى ان العمال عندما يتولى الوفد الحكومة ينشطون فى لم شملهم ثم لا تطول هذه الحال وياخذون فى الاضمحلال ؟ فهل تملون لنا سبب ذلك ، وهل سيتجدد هذا فى عهد الوزارة الحاضرة ؟ والجواب : يعتبر العمال الوزارات الوفدية كاب لهم يقدر على كل مطالبهم فعندما تتألف وزارة وفدية دستورية (لأن الوفد لم يؤلف وزارة غير دستورية) يزحمونه بمطالبهم الممكنة وغير الممكنة ، ثم لا يطول العهد بالوزارة الوفدية فلا بتحقق للعمال مطلب . . . »

وبعد « تعرية » دور الوفد تجاه الطبقة العاملة ومطالبها . . يأتى سؤال حاسم . .

« س : هل ترون من الصالح تأليف حزب اشتراكى فى مصر ، وان شئت فسمه حزب عمال ؟ واذا كان كذلك فمتى يحسن القيام بهذه الدعوة ؟ ج : عندى انه لو حل ما بيننا وبين الانجليز من المشاكل بامضاء المعاهدة وبقي المجلس النيابى خمسة أعوام لا بد وانه ستنشأ احزاب اجتماعية بطبيعة الحال ، واما الان فكل حزب يتألف يفت فى القضية الوطنية وتتوجه الى الشبهة » (١) .

لكن هذه الاجابه « الوفدية » لم تمنع العرابى من أن يوجه نفس السؤال لمستشار نقابى آخر هو زهير صبرى .

« س : متى يحسن الدعوة لانشاء حزب عمال فى مصر ؟ ج : هذا يتوقف على الموقف السياسى ، ولا استطيع ان اتكهن بالزمان . غير انى استطيع ان اقول ان روح الحزب موجودة اليوم . وأفضل ما اشير به الان السعى فى تقوية النقابات » (٢) .

(١) روح العصر ، ٢١-٢-١٩٢٠ .

(٢) روح العصر ، ٢٨-٢-١٩٢٠ .

غير ان الوقت لا يطول بروح العصر ، فان مثل هذه الاسئلة لم تكن سوى مقدمة لعمل تعد له المجموعة التي تصدرها . . . وهو تأسيس حزب العمال والفلاحين . .

وفي العدد ١٧ تنشر « روح العصر » برنامجا لحزب العمال والفلاحين وتنشر مقدمة له بقلم اسماعيل مظهر . .

« جاءنا من اللجنة التحضيرية لحزب العمال والفلاحين ما يأتى : اعلنت منذ بضعة اسابيع عن ضرورة انشاء حزب للاخذ بناصر الفلاح المصرى واقترحت له برنامجا نشرته فى مجلة «العصور» وفى بعض الصحف اليومية ، فكتب لى الكثيرون يحبذون تكوين هذا الحزب ويقترحون تعديل بعض مواد . . ثم ناقشت الكثير من المفكرين والمهتمين بشئون الطبقة العاملة فى هذه التعديلات ، وائتهينا الى وضع هذا البرنامج الذى نذيعه الان لنعطى فرصة اخرى لكل من يود ان يقترح تعديلا جديدا ونأمل من كل من يهمه امر العمال والفلاحين ان يبدى لنا ما يعن له من الآراء فى هذا الشأن ، حتى نبحثها قبل التكوين النهائى للحزب فى أواخر هذا الشهر » .

وواضح من استقراء بنود البرنامج ان بصمات عصام ناصف قد غيرت تماما من البرنامج الذى اقترحه اسماعيل مظهر وحولته من برنامج متخلف الى برنامج تقدمى تماما . .

وتمضى بنود البرنامج المقترح . .

« الأغراض » :

١ - الاستقلال التام لمصر والسودان وأن تكون قناة السويس مصرية .
٢ - القضاء على الاستعمار البريطانى ، وكافة النزعات الاستعمارية فى جميع بلدان العالم .
٣ - تحرير الطبقات العاملة فى مصر من عمال وفلاحين ، مسح تقليل الفوارق بين الطبقات الاجتماعية ، وجعل هذا الفوارق قائمة على اساس الاجتهاد والمنفعة للمجتمع . .

٤ - بث الافكار الديمقراطية وروح المساواة العامة فى الشعب .
ثم بعد ذلك المبادئ وعددها ثلاثون بندا . . من بينها التكاثف مع الامم المستعبدة ولاسيما الامم الشرقية والعربية على محاربة الاستعمار - الغاء الامتيازات الاجنبية بدون قيد ولا شرط - سن قوانين لتحديد هجرة الاجانب الى مصر - فرض ضرائب جمركية خاصة على الكماليات ومواد الترفيع والرفاهية - نشر الثقافة ومحاربة الامية وفتح مدارس ليلية للطبقات العاملة - قيام الحكومة باصلاح اراضيها البور وتوزيعها على صغار المزارعين - فرض ضرائب متدرجة على الدخل والميراث - المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق السياسية والاجتماعية . . الغاء الرتب والنياشين - جعل التعليم مجانيا

بجميع درجاته — منح تعدد الزوجات — تحديد الملكية الزراعية ٠٠٠ الخ» (١) .

وتستمر «روح العصر» في معركة متصلة ٠٠ وتعانى من مؤامرات عديدة ، أشدها خطرا تأمر متعهد التوزيع مع البوليس لمنع توزيعها في الاسواق ٠٠

وتوجه «روح العصر» نداءات صارخة لقرائها « الاشتراك في جريدة «روح العصر» هو الوسيلة الوحيدة لضمان وصولها ، وواجب الشـــباب ادشنرا لى نرويجهـا بكل الوسائل بين اهله ورفاقه» (٢) .
وعانى «روح العصر» من ازمة مالية خطيرة استنفدت كل مدخـــرات النالوث فأفلسوا جميعا ٠٠

لكن التوقف عن الصدور كارتة ٠٠ وقاوم الثلاثة قدر استطاعتهم حتى آخر قرش يملكونه ولا زال المأزق قائما ٠٠

واقترح عصام الدين ناصف التوقف عن الصدور على طريقة «الهسارى كارى» وذلك بتحدى السلطة تحديا شديدا والهجوم عليها بكل الفســـــوسة الممكنة ، وذلك لاجبارها على اصدار قرار باغلاق المجلة ٠٠

ويصدر العدد ٢٤ ٠٠ آخر أعداد «روح العصر» بمقال عنيف بعنوان «الوزارة الطاغية» قالت فيه :

« كل يوم ترينا الليالى خلقا من ابي سعيد جديدا »
في كل يوم يزيع صاحب الدولة صدفى باشا بيديه الفناع عن وجهة شيشا فشيئا ، حتى انكشف وجه الباشا من تحت ذلك البرقع المهلهل او كاد ، فانكشف عن سحنة متنمرة مرسوم عليها البطش والفضب .
وها هو اليوم يقف امام الشعب وجها لوجه يســـــومة كل انواع الاضطهادات ، ويتجنى عليه الانام ، ويرميه بكل نكراء ، ويسوط ظهوره على ذنوب لا وجود لها الا فى مخيلة الباشا فهل تطول هذه الحال وهل فى الطاقه الصبر عليها » .

ثم يمضى المقال او «الهارى كارى» قائلا « ٠٠ هذه الوزارة يشتد طغيانها يوما عن يوم ، ولو طال عمرها فستخلق نظاما فى مصر يشبه نظام الفاشست فى ايطاليا ، نظاما يقوم على العسكرية او المليشيا فتقتل الكفايات وتخمسق الحريات وتنفش الجاسوسية ، فلا بد من مكافحتها فى المهـــــد حتى تقص اطرافها وتقل حدتها ٠٠ فمسايرتها فى خطتها اجرام ليس بعده اجـــــرام ،

(١) روح العصر ، ٦-٦-١٩٣٠ .

(٢) روح العصر ، ١١-٤-١٩٣٠ .

ونقدتها وتعميد أخطائها واجب على الافراد والجماعات فلتتعاون كل القوى في مصر على خضد شوكتها قبل ان يتمكن لها في البلاد فيستعصى الداء ويعز الدواء .

واذا اتحدت قوى البلاد على امر فليس في العالم قوة يمكنها ان تقف في طريقها (١) .

والتوقيع «م.ح.ع» وهو محمود حسني عرابي . .
وفكرة «الهارى كاري» ليست مستنتجة من عنف المقال في العـــــــدد الاخير . . ولكنها وردت صراحة في مناقشة مع عصام الدين ناصف .
« . . واحسنا اننا نفلس وأفلسنا فعلا ، وبدلا من ان نغلق المجلة بايدينا هاجمنا الحكومة بشدة وعنف ، فاجتمع مجلس الوزراء وأصدر قرارا باغلاق المجلة » (٢) .

ويقول د . عبد الفتاح القاضي «لما اغلق اسماعيل صدقي المجلة . . كنا أفلسنا في الحقيقة ، أنا أفلسنا وحسني العرابي أفلس . . حتى اني اضطررت الى الاقتراض لاسافر للخارج للعلاج . وبعد اغلاق المجلة ظل البوليس يطارد حسني العرابي ويستجوب كل شخص يقابله حتى اضطره الى الهجرة من مصر » (٣) .

ولما كانت «الهارى كاري» محاولة غير مضمونة «نتائج» . . فقد احتاطت الجماعة كي لا تضطر سريعا لاصدار عدد تال . . وهي لا تملك مليما واحدا لاصداره . . فكتبت في العدد الاخير . .

«روح العصر» تصدر مرة في كل اسبوعين طول شهر اغسطس وسبتمبر نظرا لسفر بعض المحررين الى مصايف القطر لاشتداد الحر في العاصمة . ومنعوض القراء ما يفوتهم في هذه المرة في الاعداد المقبلة .
لكن مفعول المقال الحاد كان حادا كذلك ، واجتمع مجلس الوزراء ووقع صدقي الماكر في الفخ وأصدر قرارا باغلاق جريدة لم تكن تستطيع مواصلة الصدور . .

وهكذا ماتت «روح العصر» كما عاشت طوال حياتها . . بأسلوب درامي . .

وسافر د . القاضي الى المانيا للعلاج .
وحاصرت المراقبة المشددة العرابي . . ومضى وحيدا يتجول في شوارع الاسكندرية التي شهدت يوما وقفات تاريخية مشهودة تردد فيها اسمه لامعا

(١) روح العصر ، ١٩٢٠-١٩٢١ .

(٢) د . رفعت المسعيد . تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر . . المرجع السابق من ٢٧٨

(٣) المرجع السابق من ٢٧٤ .

كالشهاب ويقول العرابي متحدنا عن آخر جولة له في شوارع الاسكندرية
« أحب بلاد مصر الى فيها قضيت زهرة شبابي فيها درست في العباسية
الثانوية ، فيها ضاريت في البورصة وجمعت عشرات الالوف من الجنيهات ،
فيها بدأت حياتي السياسية وخطبت في الالف العمال .. طفت في شوارعها
ساعات ، فكان جوابها صريحا ، لا .. لا ، الشوارع نظيفة ، والعمارات جددت
شبابها ، والشمس مشرقة ضاحكة .. والناس رائحون غادون وعلى وجوههم
مظاهر المرح والمسرّة — اما انا فأسير وحدي كسير القلب ، مهبط الجناح ،
لا يابه لي مار ولا مارة كان لم يكن لي فيها دولة ، أغريب انا » (١) .

وهاجر هو ايضا ..

وبقى رجلا صلبا .

صلبا الى الحد الذي لم يشعر فيه بالوحدة ، واثق من نفسه ومن
مبادئه ومن شعبه الى الحد الذي لم يكن ممكنا معه ان يشعر ابدا انه وحيد ،
« انه كسير القلب او مهبط الجناح .. أو غريب عن بلده .. رجل صمم ان
يذاوم حتى آخر لحظة .. »

واغلاق الجريدة لم يكن سوى بداية ..

فسرعان ما اطبقت يد الجلاد على الرجل الوحيد الباقي من التالوث ..
وواجه عصام الدين حفي ناصف محكمة الجنايات بتهمة الترويض
للمسيحية .. وكانت مقالاته في «روح العصر» احد أدلة الاتهام ..

ودافع الرجل عن نفسه ، بل دافعت عنه مصر كلها ..
فقد هزت قضيته مشاعر الكثيرين وتطوع للدفاع عنه اكبر المحامين ،
وكانت قضيته قضية تاريخية انتهت بحكم تاريخي .. البراءة ..
ونشرت معظم الصحف النص الكامل للحثيات الحكم باعتباره تأكيدا
لحرية الرأي والعقيدة في مصر .. وهزيمة لاسماعيل صدقي وأسلوبه في
الحكم ..

وفيما يتعلق بمقالاته في «روح العصر» .. قالت الحثيات ..
« .. وحيث انه فيما يختص بمقاله الاشتراكية من الوجهة العلمية
والمقالة التي نشرها في مجلة «روح العصر» وهي كلها متعلقة بالسلام على

(١) محمود حسني العرابي — ٨٩ شهرا في المنفى — من ٨ .

الاشتراكية وبعض نظرياتها ، فإن المتهم يقول في شأنها انها دراسسة علمية يريد بها توضيح معنى الاشتراكية للناس لانه يلتبس عليهم معناها وهو لا ينكر ان نشر مبادئ الاشتراكية قد يترتب عليه قلب نظام الملكية الفردية ، كما تقضى به مبادئ المذهب الا ان وسائل هذا المذهب في تنفيذ برامجه ليست وسائل العنف والقوة . . وعمدة هذا المذهب كارل ماركس يرى ان تطسور الظروف الاقتصادية وتغير ظروف الانتاج هي التي تؤدي الى التغيير ، .
» فلهذه الاسباب وبعد الاطلاع على المادة « ٥٠ » من قانون تشكيل محاكم الجنايات حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم ، (١) .

وكان الرجل يمتلك من الاصرار ما يكفيه لكي يحاول من جديد .

(١) الجهاد ، ٣٠-١١-١٩٣١ .

شسبرا

جريدة سياسية اجتماعية اسبوعية
٢٦ أغسطس ١٩٣٧

جريدة شسبرا
لسان العمال
على مبادئ الزعيم
عباس حليم *

صاحب الجريدة ورئيس التحرير المستول
محمد عبد الحميد عبد الله المحامى
مدير الإدارة
محمد بيومى
سكرتير التحرير
السيد محمود القصرى
إدارة الجريدة
٢٣ ش * الخلفاء شيكولانى

نخريئة شسبرا هى جريئة العمال ..
فهى ترحب بما يرد لها من العمال وأنصار العمال *

... بعض الناس يستهويهم المستحيل ..

والمستحيل عند « عصام الدين حفي ناصف » يصل الى حد محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية .. فقد حاول - او حلم - بتأسيس حزب عمالي « مستخدما » لافتة عباس حليم .

قد يدفع ذلك الاسم بالبعض الى الاشمئزاز ، ورفض التجربة وطسوى الصفحة دون حتى قراءة عدد من سطورها ..
لكن الامر يتطلب في اعتقادنا بعضا من التاني ..

رجل وحيد محاصر ..

كانوا ثلاثة هاجر منهم اثنان .. وبقي رجل واحد .

لم يكن يؤمن بالعمل السري في ذلك الحين وهذه خطيئة .. لكنها لا تنفي عن محاولته صفة الجدية ، وعن اصراره العنيد صفة التحدي ..
كان الشيوعيون قلة محاصرة تباهد كي تستمر في التواجد ، اما هو فقد قرر ان يستنفذ كل امكانيات العمل القانوني حتى الثمالة .
وشرب الكأس المريرة حتى نهايتها الاشد مرارة ..

وفشل مرة وثانية وثالثة ... وعاشرة لكنه كان يملك قدرا غريبا من
الاصرار .

وفي نقاش معه قلت له .. كيف كنت تفكر في تأسيس حزب عمالي حقيقي بزعامة النبيل عباس حليم ؟ اليس ذلك وهما مجرد العمل من مضمونه الثوري ؟

وقال : « كنت اعرف انه نبيل واقطاعي ورجعي ، لكنه كان في وسط هذا الظلام يقود بالفعل جموعا عمالية ، لماذا اترك له العمل ، دخلت ، وتسلمت ونجحت في أن أجر النبيل في معركة تلو اخرى .. إن أستخدم نفوذه للكتابة

في مجلات عديدة مدالما عن العمال مهاجما البرجوازية ، مطالبا بحزب طبقي عمالي ، كان التبيل يخدم احيانا ويتصور انها اصول اللعبة ، وكان يتقدم في احيان اخرى ويقول لي في سخرية « عصام .. لا تنسى اننى نبيل » .
واعتقد ان الذى كسب انا وليس هو .. التقدم وليس الرجعية ، اليسار وليس اليمين » .

هكذا تصور الرجل دوره ، لكنه حذرني منذ البداية ، لا تخدع بالمظاهر ولكن تأمل الكلمات وحاول ان تضعها في اطارها التاريخي وتخيل كم كان مفيدا لقضية الاشتراكية ان تقال هذه الكلمات وفي هذا الوقت بالذات ..

واقلب صفحات جريدة «شبرا» فهي تجسود للتجربة .. محاولة الوصول الى القمر بسيارة عادية ، والشئ الغريب في التجربة ان صاحبها كان يعرب جيدا انه لن يصل الى هدفه بهذه الوسيلة ، لكنه لم يجد وسيلة اخرى ، فاستخدم المتاح امامه .. واستنفذه وتبدد هو فيه احيانا ، لكنه ظل على الدوام يردد كلمة الاشتراكية ويتحائل كي يسمح لها ان تقال ..

كان يعرف ان المعركة طويلة .. طويلة ، وكان يقول لي في اواخر ايامه ما انا اموت وكل حصيلتي هذه الكومة من الكتابات ، لكنها تكفيني كي اموت مستريحا .

كان يدرك ان الكلمة سلاح ، وان السلاح قد يصدا اذا لم يستخدم واذا غاب طويلا عن اذهان الجماهير ، فلنشرعه في كل وقت لامعا او غير لامع ، حادا او مثلوما .. مجديا او مجديا .. وصمم الرجل على ان يظل يردد كلمة الاشتراكية في كل وقت وفي كل مجال متاح ..

وهكذا فرض هو على « المؤرخ » ان يعتبر «مجلة شبرا» مجلة يسارية، لا لانها كانت في محتواها الاساسي مجلة يسارية ، وانما لان صوت عصام ناصف الجمهوري دوما كان دائما قادرا على ان يطفى على كل صوت عدا .. كان عصام ظاهرة مهيمنة تظهر فتلمع سريعا ثم تطفى كل ما عداها ..
ومضت فترة كانت فيها «مجلة شبرا» بالفعل مسرحا لمقاتلات وتيارات يسارية حقا .

وقد يبدو ذلك غريبا في مجلة تقول انها «لسان العمال على مبادئ الزعيم عباس حليم» .

لكن الرجل علمني الا اخدع بالظواهر وان اتأمل كلماته بالتفصيل ..
وان اضعها في اطارها الحقيقي .. والتاريخي ..
فلنحاول ..

وللقصة بدايتان ..

بداية مع النبيل عباس حليم .. عندما كان عصام يسعى - في طريق العمل القانوني - محاولا تأسيس حزب للعمال والفلاحين ، حاول ذلك عام ١٩٢٧ (اللجنة التحضيرية للحزب الاشتراكي المصري) ، ثم حاول مرة أخرى عام ١٩٣٠ مع بعض العناصر اليسارية من الحزب الوطني (حزب العمال والفلاحين) (١) .

ثم مرة ثالثة في نفس العام مع اسماعيل مظهر ، ثم مرة رابعة في ١٩٣٢ (الكتلة الاشتراكية) (٢) .

ثم يجيء الدور على عباس حليم وكان يسعى لتأسيس اتحاد للعمال يسيطر هو عليه ، ووقع خلاف بين عباس حليم وبين الوفد حول مدى سيطرة كل منهما على الحركة العمالية ، ويشن عصام ناصف هجوما على كلا العسكريين قائلا : لقد اعلن انصار الوفد عن انشقاق حزبهم على اتحاد العمال الذي يرأسه الشريف عباس حليم وأغربوا عن آراء مرتبة تدل على نهاية الجهد المتشرب بسوء النية .. اذ يزعم الوفد ان الوطنية البرجوازية الفاشلة التي يرفع هو لواءها لا تسمح بافساح المجال لحركة عمالية يقوم بها العمال لجمع صفوفهم وتكوين جبهة موحدة للعمل على تحرير انفسهم من تحكم اصحاب الاعمال .

وترى جريدة العمال (عباس حليم) ان تقسم شئون الامة الى قسمين قسم يتولاه مصطفى النحاس وقسم يتولاه عباس حليم وينبغي على العمال في رأيها ان يمتنعوا عن معالجة المسائل السياسية التي لا تختص بشئون العمال . ويهاجم عصام كلا العسكريين ، وفكل من هذين الزعميين لا يقل عن الآخر بعدا عن محبة الصواب ، والعمال يجب ان يعنوا ببحث جميع الشئون السياسية على ان ينظروا اليها من وجهة نظرهم الخاصة دون تبعية للأحزاب البرجوازية» (٣) .

لكن «البرجوازي الصغير» المحاصر وحيدا في ميدان العلنية ، والذي سعى وفشل ثم فشل ثم فشل مرات عديدة ، لا يجد مناصا من ان يلجأ بمحاولته الى احضان «النبيل عباس حليم» ربما في محاولة للاحتواء به ، وربما في حالة فقدان للثقة والصبر وربما باعتبارها منفذا وحيدا متاحا امام انسان يقاوم التيار وحده .

لكن عصام يقتحم معسكر عباس حليم شاهرا سيفه معلنا الحرب على النابيين النفعيين فيكتب في صراحة « كنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم ، فقد كان جميع العمال تحت زعامته ، وهو رجل مخلص حسن النية ، ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون ، وقد وجدته وقد ترك الامر في ايدي عدد

(١) د. رجب السعيد - عصام الدين حلفى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي

في مصر - دار النهضة الجديدة - القاهرة - ص ٦٦ .

(٢) الوادي ، ٣٠-٤-١٩٣٢ .

(٣) صندوق الدنيا ، ٢٩-٨-١٩٣٣ .

من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم لاستغلالها والافادة منها ادبيا وماديا » (١) .

ويحاول عصام الدين ناصف اقناع عباس حليم بتأسيس حزب عمالي وليس مجرد اتحاد للعمال ، ويرفع عصام شعاره الشهير « حزب عمال لا اتحاد نقابات فقط » .

وتنشر جريدة «شبرا» : «اقترح الاستاذ عصام الدين على الشريف عباس حليم ان يؤسس حزبا للعمال الى جانب اتحاد العمال ، لان للحزب وظيفة غير وظيفة النقابات واقتنع الشريف بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادئ هذا الحزب » (٢) .

وفي ٢٥ مارس ١٩٣٧ يصدر العدد الاول من مجلة «شبرا» كمجلة متخصصة في مشاكل حي شبرا ، وصاحب الجريدة ورئيس تحريرها محمد عبد الحميد عبد الله المحامي ومدير الادارة محمد بيومي وسكرتير التحرير السيد محمود القصرى - وادارة الجريدة ٢٣ شارع الخلفاء - شبرا - شبرا .

ولم يكن في محتوى العدد الاول ولا في اسماء المسئولين الثلاثة عمن المجلة اى شىء يمكن ان يوحى بمسحة من اليسار وحتى بالاهتمام بأية مشاكل عامة .

ثم فجأة يظهر عصام الدين حفى ناصف على صفحات العدد الثانى مباشرة وتحت عنوان «الاستاذ عصام الدين حفى ناصف يحدثنا عن حركة العمال - حزب العمال والفلاحين تصادده النيابة » . وتقدم «شبرا» لقراءها عصام ناصف متذرعة بحجة بسيطة وهى انه «نشأ وترعرع فى حي شبرا» . « يعرف قراؤنا الافاضل الاستاذ عصام الدين حفى ناصف الذى نشأ وترعرع فى شبرا ، فان له ماضيا عظيما فى الجهاد الوطنى والجهاد فى سبيل الطبقة العاملة وقد قضى فى السجون مددا تزيد عن عام ونصف ، وقدم لمحكمة الجنايات ثلاث مرات وذلك بسبب صلابته واصراره على خدمة الوطن عموما والطبقة العاملة خصوصا » وهو الان يشغل منصب مساعد فنى بدار الكتب ، ولكنه ما زال يوالى التأليف والكتابة واليكم رأيه فى الحركة العمالية فى الوقت الحاضر » (٣) .

وهكذا تبدأ قصة محاولة لتحويل مسار جريدة ، من ان تكون مجرد لسان

(١) شبرا ، ١-٤-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١-٤-١٩٣٧ .

(٣) شبرا ، ١-٤-١٩٣٧ .

يتحدث عن مشاكل حي من أحياء القاهرة ، الى لسان يتحدث عن مشاكل العمال والفلاحين ومنبرا للدعوة الملحة لتأسيس حزب لهم .
ولقد كتب عصام كثيرا في مجلة «شبرا» وأفسح صفحاتها امام كتاب آخرين أمثال سلامة موسى وغيره ، واستفاد من تكتلات عمال الترام في شبرا ليحول المجلة للاهتمام بمشاكلهم . . . ونشر على صفحات شبرا مقالات عديدة عن الاشتراكية داعيا الى اقامة نظام اشتراكي على أنقاض النظام الرأسمالي القائم . . .

ومع تحفظات كثيرة - قد يثيرها البعض - حول امكانية ادراج «شبرا» وغيرها من المجلات المماثلة ضمن قائمة «الصحف اليسارية» الا انها تمثل مرحلة هامة من تاريخ المحاولات اليسارية للتعبير ، ليس من خلال صحيفة يسارية تماما او خاضعة لنفوذهم تماما من خلال التسلسل عبر منحنيات تتيحها الامكانيات المحدودة . . .

وعلى اية حال فان «شبرا» قد ظلت ابتداء من العدد الثاني الصادر في ١-٤-١٩٣٧ ، وحتى العدد ٢٥ الصادر في ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ منبرا ترددت الافكار اليسارية والاشتراكية على صفحاته بصراحة ووضوح بحيث كانت هذه الافكار هي السمة الاساسية والمميزة لهذه الصحيفة في ذلك الحين . . . وبحيث يمكن الاطمئنان الى نسبتها الى قوائم «صحف اليسار» اما بعد ذلك وابتداء من العدد ٢٦ الصادر في ١٦-١٢-١٩٣٧ فقد تحولت «شبرا» الى مسار جديد واختفت من صفحاتها اية مسحة يسارية . . .
لكن هذه هي نهاية القصة .

فلنبدا من البدايه . . من العدد الثاني من مجلة «شبرا» . .

وكعادة «عصام ناصف» كانت البداية عنيفة فقد كتب مقالا طويلا حلل فيه تجربة النبيل عباس حليم ومحتواها وردود فعلها على حركة الطبقة العاملة، مهاجما في ذلك كله العناصر النقابية الصفراء التي التفت حول «عباس حليم» سعيا وراء كسب شخصي . . .

وهو يلخص كل شيء في اول كلمة من مقاله « ان حركة العمال متجهة الى الوراء وذلك لانها ينقصها زعماء مخلصون مثقفون تقسافة عاملية ولان الروح المعنوية للعمال انفسهم قد اصبحت في حالة تفكك وانهيار عقب الفصل المتوالي الذي أصيبوا به الى الآن » .

ثم يحكي قصة كفاحه الطويل . . مع «روح العصر» وكنا فيها نسمر الى فصل الحركة العاملية عن الحركة الوطنية واعطائها شخصية مستقلة وقد أصدر مجلس الوزراء برئاسة اسماعيل صدقي قراره بالغاء هذه الجسريدات بتهمة التمهيد للشيوعية .

فالتجأت بعد ذلك الى الاستاذ اسماعيل مظهر وعاونته في تحرير مجلتنا «العصور» بشكل مجلة خاصة بالعمال والحركة الاشتراكية وأصدرنا برنامج

لحزب العمال والفلاحين فصادرتة النيابة . . .

ثم تبدأ قصته مع المحاولة الجديدة . . مع عباس حليم .

« . . وكنت مضطرا للذهاب الى النبيل عباس حليم فقد كان جميع العمال تحت زعامته في ذلك الوقت ، وهو رجل مخلص حسن النية ولكنه قليل الخبرة بهذه الشئون ، وقد وجدته ترك الامر في ايدي عدد من العمال معظمهم غير مخلص للحركة وانما كان انضمامهم اليها لاستغلالها والافادة منها ادبيا وماديا فكانوا يركبون سيارات النبيل ، ويفتخرون بانهم زاروه في قصره او زارهم في منازلهم ، وكان البعض منهم يحتل ما تصل اليه يده من اموال العمال المساكين ، ثم وهناك ما هو - ادهى وامر - كان الكثيرون منهم يتصلون بادارة الامن العام وقد ثبت ان عددا منهم قد تأمر على خلع النبيل عن زعامتهم طمعافى الحصول على اموال المصاريف السرية . . . »
ثم يمضي محمدا موقفا اكثر وضوحا . .

« قلت ان معظم العمال «المتزعمين» الذين كانوا يجتمعون حول النبيل عباس حليم كانوا جهلة ادعياء في الحركة . . كانوا من الاصناف التي تعيش في ظلال الاغنياء وتتمتع بكرم الاغنياء فلا يمكن مقارنتهم بالعمال الذين يشتغلون في مصانع السكر او محالج القطن . »
ولقد كانت حالة هؤلاء العمال مثيرة للاشمئزاز ، ولذلك بادرت بالانفصال عنهم واعتقد ان هؤلاء الافراد يجب ان لا يعهد اليهم بامور العمال مرة اخرى . .

واني آمل ان تنمو الحركة العمالية من جديد ، ولا بد لذلك من انفصالها عن الحركة الوطنية واستقلالها عن الاحزاب . وطرد كل من كان له ماض سيء من صفوف زعامتها ، (١) .
وهكذا آمل الرجل شروطه ، وطالب عباس حليم ان يختار بينه وبين كل كوادره القديمة الذين كانت « حالتهم مثيرة للاشمئزاز » .
وطالبه بالا يقتصر على تأسيس اتحاد عمال والما يجب ان يسعى الى تأسيس «حزب عمال» . . والغريب ان عباس حليم قد رضخ لكل هذه الشروط . . « واقتنع الشريف (عباس حليم) بصواب الفكرة ودعا الاستاذ عصام الى وضع مبادئ هذا الحزب » (٢) .

وربما كان عباس حليم يخشى من تطرف عصام ناصف ، وربما كان يخشى من ضغوط قاعدته القديمة من العمال الذين اعتادوا ان «يعيشوا في ظلال الاغنياء» وربما اراد ان يتباعد عن الامر كله ليعطي لنفسه فرصة الانسحاب في المستقبل اذا ما كان الانسحاب ضروريا . .

(١) شهر ٣ ١٩٣٧-١٩٣٨ .

(٢) المرجع السابق .

المهم ان النبيل عباس حليم وافق مبدئيا على تأسيس حزب للعمال .. وكلف عصام ناصف بوضع برنامجيه ، ثم غادر البلاد الى اوربا في رحلة لدراسة احوال العمال فيها .

وانفتح المجال واسعا امام عصام ناصف ليقول ما يريد .. ونسى — او ربما تناسى — ان الامور تجري تحت مظلة «النبيل» واضطر عباس حليم ان يذكره « لا تنسى اننى نبيل » .

وبسفر عباس حليم كانت الفرصة ارحب امام عصام ليعبر عن مواقفه اليسارية سواء في محاولة تأسيس الحزب ، او على صفحات «شبرا» .

وفي العدد الثالث من «شبرا» يأتى ضيف جديد «سلامة موسى» وتقدمه «شبرا» ككاتب «له جولات كبيرة في محيط العمال ، وقد اشتغل بحركتهم سنوات طوال اشتهر فيها بأراءه ومذاهبه الاشتراكية» .. وهكذا اختلف جواز المرور الى العدد الثالث كان يكفي ان يكون الكاتب اشتراكيا ..

ويكتب سلامة موسى مقالا بعنوان «حزب العمال والحكم الديمقراطي» أكد فيه ضرورة ان يناضل العمال من اجل فرض قواعد ديمقراطية للحكم .. والواقع ان جميع عمالنا يعترفون ان مصلحتهم تقتضى سيادة الحكم الديمقراطي ، لابل رسوخه حتى يتعوده الناس ، وحتى يصبح من المحال ان يفكر احد المستبدين فى اللوثوب الى الحكم» (١) .

وفي نفس العدد يكتب عصام ناصف مقالا بعنوان «الوطنية الحقيقية» يعلق فيه على قصة نشرتها جريدة «الثغر» لسان حال «مصر الفتاة» زعمت انها وقعت فى اليابان ، وقد ضربتها مثلا للوطنية العالية ، وملخص القصة ان يابانيا اراد التطوع فى الجيش الذاهب الى الحرب فلم يقبلوه لانه كان وحيد أمه والقانون هناك يحرم الاشتراك فى الحرب على امثاله كى يتفرغوا لآله امهاتهم ، فلما قص ذلك على أمه قتلت نفسها وبذلك أصبح يحق له أن يلتحق بالجيش» . وقد التحق به فعلا ومات فى ميدان القتال .

ويجدها عصام فرصة سائحة للهجوم على الحرب الاستعمارية مقسدا مفهوما «طبقيا» لفكرة الوطنية .. فيقول « وأنا لست أرى فى عمل هذه الامم هي وابنها وطنية بل حمقا وغباء فالمفهوم من القصة ان هذه الحرب التى مات فيها هذا الياباني الاحمق هي حرب استعمارية .. لقد مات ذلك الجندي فى حالة اعتداء على شعب مسكين من الاحوال . اجل يجب ان يحب الانسان وطنه ولكنه لا يجب ان يكره اوطان الآخرين ، وليس من الوطنية الحق ان يجر الانسان بلاده الى حرب كالحرب التى تستعد اوربا لخوض غمارها قريبا .. وليس من الوطنية الحق ان يموت الانسان فى حرب لن يجنى من وراء الظفر فيها شيئا . ولا يستفيد منها الا طبقة مخصوصة من تجار الاسلحة وكبار الرأسماليين وانما

(١) شبرا ، ٨-٤-١٩٣٧ .

الوطنية الحق ان يخدم المرء كتلة الشعب ويعمل على رفع شأنها وزيادة رفاهيتهم » .

وهكذا يقدم عصام ناصف مفهوما طبقيا واضح المعالم للوطنية . . بل انه يسوق الاتهام للجميع بانهم ليسوا وطنيين بما فيهم الكفاية لانهم لا يدافعون عن حقوق العمال والفلاحين فيختم مقاله قائلا « وليس في مصر من يستطيع ان يزعم انه قائم بفروض الوطنية ، فاننا جميعا مقصرين في حق العمال والفلاحين » .

وفي العدد ايضا تقديم لقصة «البترول» لابتون سينكلر وقد ترجمها عصام ناصف ونشرها مختصرة في كتاب . . . ويقول التقديم انها « قصة اجتماعية قيمة تدور حول النزاع بين العمال واصحاب الاعمال في امريكا . . . ونحن ندعو قراءنا الافاضل الى المبادرة باقتناء هذه القصة الخالدة ، وكنا نتمنى لو ان الاستاذ عصام طبع منها اكثر من الالف نسخة التي طبعها فان هسله القصة جديرة بان توجد في مكتبة كل مثقف وكل عامل وكل من يعنى بحركة العمال » .

وفي العدد الرابع يكون عصام ناصف قد قلب في اوراقه القديمة فينتزع من ملف قضية قديمة مقالا كانت النياية صادرت « مخطوطه » ولقدمت عصام للمحاكمة على اساسه والمقال بعنوان « الاشتراكية والاسلام » ثم عنوان فرعي مفرط في التحدي « انما القوانين والاخلاق والدين بالنسبة للطبقات العاملة استار تخفي وراءها مصالح الاغنياء — بيان ماركس وانجلز — وكان الاقتباس في المخطوط المضبوط منسوباً الى البيان الشيوعي (١) لكن عصام وهو يحاول نشر المقال يتحاشى كلمة « الشيوعي » ويكتفى بنسبة « البيان » الى كاتبه ماركس وانجلز » (٢) .

ويمضي عصام محاولاً ان يميز بين الدين والاشتراكية « فالدين في الاصل ينظم العلاقة بين الانسان وشالقه ، بينما تعمل الاشتراكية لتنظيم العلاقة بين الانسان والانسان ، واذا فلعلاقة لهذا بتلك ، وعلى اية حال فالانسان لا يستغنى عن تنظيم معاملاته الاقتصادية مع ابناء جنسه ولذا وجب عليه ان يفكر وأن يبحث وأن يطيل البحث والاختبار حتى اذا ما وثق من صحة النتيجة كان عليه ان يعمل » وهذا هو الوضع الصحيح فيما يختص بجميع الاديان . . .

ثم يحاول بعدها التحذير الصارم ان يبرز نوعاً من التقارب بين الاسلام والاشتراكية و« اذا قارنا بين ما أورده الاسلام في شئون المعاملات وما قرره الاشتراكية ازاءها وجدنا بينهما اشياء متماثلة في الغاية ولكنها تختلف قليلا من حيث طريقة تنفيذها كالزكاة التي فرضها الاسلام ، وضريبة الدخل التي اتت بها الاشتراكية » .

(١) ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشئة — ٢٤٤ — كل عام ١٩٢١ جنابسات الاسكندرية

ص ٤١٦ .

(٢) فبراير ، ١٥ — ١٩٢٧ .

وأما الربا فقد حرمه الاسلام اذ به يستبد صاحب المال بمن وقع ورطه مالية ويستغل ضيقه ، وأما الاشتراكية فتقول بمنعه أيضا ولكن لأن النقود يجب أن ينظر اليها دائما على اعتبار انها «مال» تشتري به الحاجيات ، لا «رأس المال» يستعبد به الفرد أبناء جلدته ويستغل جهودهم فالعمل وحده هو الذى ينتج الدخل أما النقود فلا يصح أن تنتج شيئا» .

لكنه يفضل الضريبة على الزكاة ، لأن قيام الدولة بجميع الضريبة يمكنها من « صرف المتحصل منها فى انشاء المدارس وشق الطرق واقامة المساكن للعمال وغير ذلك من مرافق التعمير الانشائى وعدم الاكتفاء بتوزيع مال الزكاة على الفقراء نقودا او مأكولات او غيرها مما ينمى أثره بعد بضعة ايام ويظل الفقراء على فقرهم » .

كذلك تشعر الطبقة الفقيرة التى تنتفع بالضريبة بأنها تحصل عسى حقها لا أنها تتلقى احسانا من الاغنياء وكذلك عدم السماح لدافعى الضريبة بأن يشعروا انهم كرماء وانهم يتبرعون بما يستطيعون الامتناع عن دفعه » .
وتدخل مجلة «شبرا» فى اشتباك عنيف مع البرجوازية المصرية . . اذ يكتب على اسلام باشا مقالا فى «المجلة الجديدة» ينعى فيها على العمال كثرة مطالبهم مما يهدد تقدم الصناعة .

ويرد عليه « سلامة موسى » على صفحات «شبرا» بمقال عنيف يذكر فيه بأن « شركة كوم امبو وغيرها من الشركات تتراوح ارباحها السنوية بين ٢٠ و ٦٠ بالمائة من رأس المال » .

ويضرب مثلا محددا «فشركة المياه اتضخ انها فى العام الماضى قد أنفقت نحو ٥٥٠ الف جنيه فكان ربحها من هذا المبلغ يزيد على ٣٣٠ الف جنيه ، فأى غبن عليها ان هى أدت الاجور لعمالها» (١) .

واشتباك آخر أكثر عنفا دخلته «شبرا» مع «بنت الشاطئ» عندما هاجمت الحركة العمالية . . واستخدم عصام ناصف «بنت الشاطئ» مجرد مدخل لحملة هجوم عنيف على خصوم الحركة العمالية . . وتحت عنوان «عدو جديد للعمال والفلاحين — الأئمة بنت الشاطئ» ، يشن عصام الدين ناصف هجوما على الجميع . .

« ما تزال حركة العمال فى مصر منذ نشأتها تواجه عداء بعض الجهات والافراد ، وما يزال بعض الافراد يصرحون بتصريحات تدل على عصبهم للحركة كتصريح معالى عبد السلام فهمى جمعه باشاوزير التجارة والصناعة بأنه يعمل لحماية اصحاب الاعمال من العمال . . وتصريح رفعت النحاس باشا الاخير ضد النبيل عباس حليم وعمله لانشاء حزب العمال » .

ولا تزال حركة العمال تواجه منذ نشأتها أنواعا اخرى من المحاربة خالية من الصراحة والرجولة ، فالبعض يتجسس لمصلحة القلم السياسى والبعض

(١) شبرا ، ٢٢-٤-١٩٣٧ .

يتصل علانية بمصلحة العمل على زعم انه يستعين بها لخدمة العمال والحقيقة انه لا يعمل الا لنفسه وقد ظهر خصم جديد لحركة العمال ولكنه في هذه المرة من الجنس اللطيف وهي الآنسة عائشة عبد الرحمن . . . وهي تنشر مقالاتها في جريدة « الاهرام » بامضاء « بنت الشاطي » .

ثم يسدد عصام ناصف هجماته في عنف « قرأت الكثير من مقالات هذه الآنسة ولا أذكر اني وجدت بينها مقالة واحدة خالية من حملة موجهة ضد الفلاحين العمال ، وقد كنت فيما مضى أسند ذلك الى جهلها بالمسائل العمالية والى رغبتها في ارضاء الجريدة التي تدفع لها أجر مقالاتها . ولكن ما نشرته في «اهرام» الثلاثاء ٧ سبتمبر الماضي يدل على ان الامر أسوأ من ذلك . وقد بدأت مقالها بالديباجة المملة التي تكتبها في جميع مقالاتها والتي تزعم فيها انها ما كانت تود العودة الى هذا الموضوع لولا شعورها العميق . . . الخ . ثم ذكرت ان قضية العمال « قضية غريبة المنشا والنزعة » ولا أعرف شيئا أغرب في المنشا والنزعة من خلط هذه الآنسة في مسائل العمال والفلاحين ثم قالت ما نصه « هل فكر احد في مغزى حركة العمال من حيث كونها تطبيقا حرفيا للنظم الغربية ؟ أرجو ان تكون هذه النقطة بالذات قد ظفرت باهتمام متزعمي حركة العمال ، فهي كفيلة بأن تسليحهم ببعض الحذر ، حتى نأمن الاندفاع في التطبيق الحرفي لنظم بلاد ليس لنا مثل ظروفها ، ان تحقيق مطالب العمال فيما يتعلق بارتفاع الاجور وتحديد ساعات العمل من شأنه حتما ان يزيد في نفقات الانتاج » .

ويمضي عصام ناصف في عنفه المعروف به ، ردا على الفقرة السابقة قائلا « وما نظن هذه الآراء في حاجة الى اظهار سخفها ، ولكن استمرار نشر هذه الآراء التخريفية في جريدة واسعة الانتشار قد يهوش بعض الذين لا علم لهم بحركة العمال ولذلك نذكر في منتهى الايجاز :

١ - ان تطبيقنا لبعض النظم الغربية تطبيقا حرفيا ليس مما يصح التنصل منه ، فان ذلك يكون في كثير من الاحيان خيرا من التخبط في تجارب ونظم يخترعها لنا أناس قليلو الخبرة والتجربة .

٢ - ومع ذلك فانا لا نطبق النظم الغربية تطبيقا حرفيا ، وليس ادل على ذلك من البرنامج العمالي الذي سننشره في الاسبوع القادم .

٣ - ان رفع اجور العمال وتحديد ساعات عملهم لا يزيد من نفقات الانتاج زيادة محسوسة فان اجور العمال في مصر لا تكون الا نسبة ضئيلة جدا جدا من نفقات الانتاج » (١) .

لكن عصام لا يكتفى بتسديد هجماته الى « بنت الشاطي » وأمثالها ، وانما يوجه الهجوم عنيفا ومباشرا الى النظام الرأسمالي ذاته ، وتحت عنوان « فشسل النظام الاقتصادي الحاضر » يقول « في مصر ملايين القناطير من القطن مقدسة

(١) شبوا ، ١-٩-١٩٣٧ .

لا شأنا لها لانخفاض سعر محصول القطن ، وفي مصر ملايين من العسرايا الذين تعوزهم الالبسة المنسوجة من القطن وغير القطن ، ولكن القطن باق بلا غزل او نسج . وفي مصر وانجلترا وأمريكا وغيرها ملايين من العمال عاطلين تنتهي عطلتهم ومسفتهم اذا هم اشتغلوا في غزل القطن ونسجه . .

فما معنى كل هذا ؟ معناه ان هنالك خلاا جوهريا في نظام الانتساج والتوزيع . وأي نظام هذا الذي ينشر العطلة والفقر والعري سدا لنهم فريق من رجال الصناعة ، (١) .

وهو يدين النظام الرأسمالي العالمي ككل باعتباره مصدرا للاستعمار ومصدرا للحرب الوحشية الوقوع وذلك في مقال بعنوان «العالم يتخبط في بحران من الخوف — عصر المدنية أم عصر الاستعمار — احصاء المستعمرات التي تملكها الدول الكبرى » (٢) .

وينشر عصام مقالا بالغ الاهمية يشرح فيه بالتفصيل وبتبسيط مدهش «المذهب الاشتراكي وتطبيقاته والفرق بين المرحلة الاشتراكية والمرحلة الشيوعية . . والمقال بعنوان «علاقة الاشتراكية بالمذاهب الاجتماعية الاخرى» ، ولكي يحمي نفسه من هجوم متوقع فانه يسكت اعداءه بأن يضع في صدر المقال العبارة التالية « حكمت محكمة جنايات الاسكندرية في نوفمبر ١٩٣١ بأن هذا الموضوع لا يحوى شيئا يعاقب عليه القانون » (٣) .

والمقال طويل وهام لكننى سأكتفى بإيراد فقرة واحدة منه يشرح فيها عصام طبيعة النظام الاشتراكي أما النظام الاشتراكي للانتاج فانه يجعل العامل ملكا للدولة تديرها لمصلحة الشعب بواسطة موظفيها . . وكذلك الحال في الانتاج الزراعي فتصير جميع الحقول ملكا للدولة يديرها موظفون بأحدث الآلات وعلى أحدث الطرق الاقتصادية مع اراحة عمالها بتحسين مرتباتهم وتقليل ساعات عملهم . . واعطاهم امتيازات كثيرة كمجانية التعليم والمعالجة ودخول المسارح ، والسكن في بيوت مستقلة ذات حدائق . . .

وهو لا يكتفى بالكتابة بل يترجم كثيرا من المقالات وخاصة مقالات المفكرين الشيوعيين الالمان ، أمثال كارل ديل وكفماير وليبنخت ولودفيش كسل . .

وثمة مقال هام بوجه خاص ترجمة عصام لجريدة «شبرا» بعنوان

(١) شبرا ، ٩-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ٢٠-١٩٣٧ .

(٣) شبرا ، ٢٩-٤-١٩٣٧ .

« موقف الاشتراكية اراء الدين والزواج » من محاضرات كارل دييل ، (١) .
ونذكر اهمية هذا المقال في انه يدحض افتراءات اعداء الاشتراكية
والمارسية حول قضايا الدين والزواج . .
ونفسح «شبرا» صدرها لشكاوى العمال ونداءاتهم ومطالبهم . .
ومقالانهم ايضا .

ولم نداء ننشره «شبرا» موجه الى عمال الترام — ايها الزملاء العمال
انتم الان في عايه الضعف ، ولستم احرارا ، وليس في استطاعتكم ان ترفعوا
سلم التمدد والوصول الى تحقيق مطالبكم اذ يقتضى ذلك وسائل جمة لا تتوفر
لديكم . ان حالة النفاية التي عليها الان محزنة للنشايه ، وان الواجب ان
نتعاون جميعا على تحسين حالتها ، وليس لدينا الان نقايه بالمعنى الصحيح . .
والتوقيع — نقايه حر — عامل بالتزام» (٢) .

وبشن «شبرا» هجومها على المجلس الاستشارى الاعلى للعمل والعمال
الذى أسسه الوفد وتقول « انه ليس محل تقدير العمال ولا موضوع
نقتهم » (٣) .

لكن ذلك كله لم يكن الا مجرد تمهيد للمعركة الاساسيه وهى معركة
تأسيس حزب العمال . . المعركة التى خاضها عصام ضد قوى عديدة أهمها
«رعد الذى القى بكل ثقل زعامته وجماهيريته ضد هذه الفرقة ، والسراى
التي تدخلت باسم « جلالة الملك » طالبة تعديل البرنامج الذى اعده عصام ،
والنابيين الصفر الذين كانوا يتحلقون حول « النبيل » ليهتروا امـوال
النفايات ، وقوى الامن والبوليس السياسى التى كانت تتابع بحذر بالغ كل
حركة لعصام ، وفوق هؤلاء جميعا سلطات الاحتلال . .

ومع ذلك استطاع عصام ان يناور بين هذه القوى جميعا ليخرج الى
حيث التنفيذ بالفكرة التى سيطرت على وجدانه لامتد طويل . .
وكانت «شبرا» منبره الاساسى فى هذه المعركة . .
ويكتب عصام ناصف على صفحاتها قائلا :

«يجب على عمال المدن والارياف ان ينشؤا حزبا سياسيا يعبر عن
آراءهم وينظم نضالهم فى سبيل تحقيق مطالبهم العادلة ويتيح لهم تمثيل
جموعهم الهائلة فى المجالس النيابية وفى مناصب الدولة » .
وهو يؤكد ان حزب العمال سوف يخدم مصر كلها وليس العمال

(١) شبرا ، ٩-٨-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٣-٥-١٩٣٧ .

(٣) شبرا ، ٢٧-٥-١٩٣٧ .

وخلصهم .. فهو باشتراكه في انحكم « سيقى الحكومة شر الاسراف ونبذير
اموا دافعى الضرائب ، فيما لا نفع ويغى الشعب خطر سوف ابنايه الى ميدان
الحرب للدفاع عن المصالح الاستعماريه او سواها من مظاهر الرأسماليه
المدججه بغاذيات النار والسموم . ان حزب العمال والفلاحين هو الهيئه
الوحيدة التي تستطيع في هذه الظروف المرتبكه ان تنتقل الطبقة العاملة في
مصر مما هي فيه من الاووال ونضعها في المستوى الذي يتيح لها ان تشارك
بافى الطبقة العاملة العالميه بفضل الجهاد الدولى لتحرير العمال من عبودية
الاجر وانقاذ الجنس البشرى كله من إلتقال على مذبح كفر من الراسماليين
الانانيين » (١) .

اهداف الحزب اذن واضحة وأهمها وآثرها وضوحا هو توجيه المعركة
ضد الراسماليين الانانيين ، وتحرير العمال من عبودية الاجر ..
وكان ذلك فوق ما يطبق « النبيل » وغيره ممن كانوا يريدونها محاولة
لحرف أنظار العمال .. عن هذا الهدف بالذات ..

والحقيقة ان عصام ناصف بدعونه الى تأسيس « حزب عمال » كان قد
راجع كثيرا عن موقفه الاصلى سعياء وراء البقاء مع « النبيل » ومجموعته ..
فبيل سنوات كتب عصام مقالا هاما بعنوان « حزب اشتراكي لا حزب عمال » (٢)
رفض فيه فكرة تأسيس حزب عمالي دون النص في اسمه على انه اشتراكي ،
لكن الظروف الجأت الرجل الى التراجع والمحايل بحثا عن المستحيل ..

وهو في معركته هذه يتوجه الى مجموع العمال محاولا ان يتحصن معها
وبها ضد اعداء فكره .. ويوجه على صفحات «شبرا» نداء الى الطبقة
العاملة ..

« ايها العمال .. انتم الان غير احرار من الوجهة الاقتصادية ، وليس
في استطاعتكم ان ترقوا سلم المراتب الاجتماعية . انتم تبيعون عملكم بقيمة
لا تسمح لكم بالمعيشة في المستوى المألوف فلا يمكنكم الاستمرار حتى في
انتاج القدرة على العمل وهكذا يلحق بكم التلف في سن مبكرة فتزداد وسائل
استغلالكم والسيطرة عليكم وتعيثوا في البؤس والشقاء والعبودية والجهل
والفسوة والانحلال الخلقي .

وان حالة العامل المصرى الاقتصادية هي أصل البؤس الاجتماعي
ومنشأ الاستعباد بجميع أشكاله وعلة التدهور الخلقي والاستعباد
السياسي » .

وهو يعلم ان الوفد بما له من نفوذ يقاوم محاولته ولهذا فانه يتوجه حتى
الى العمال الوفديين « ليس للمسائل العاطفية والحزبية موضع ، ولا معنى
لضياع الوقت وليست قضية العمال قضية فرعية ، بل هي قومية واجتماعية

(١) شبرا ، ١-٢-١٩٣٧ .

(٢) ملف القضية ٣٧٥ ملفية — ٢٤٤ كلى جنليات الاسكندرية عام ١٩٣١ — ص ١٢٠

شمل الجميع ونطرح في سبيلها التفرقات بين شتى الألوان .. واعلموا ان
.. سم ليس الا كفاحا في سبيل الحضارة وان به وحدة شمل اسمايتهم
جسما وروحا » (١) .

تم هو لعاده يرفع صوته مهددا الجميع « حزب العمال قائم لا محاله »
وهو معان عنيف يقول فيه « وبما ان اصحاب الاعمال لم يبد منهم ما يسدل
على فهم هذه الحقيفة . لذلك لم يبق بدا من ان يؤسس العمال مؤسسات
بفودهم الى نيل هذه الحقوق ، وبما ان النقابات العمالية لا تكفي وحدها
لتسديد خطاهم ، لذلك لم يبق بدا من تأسيس حزب العمال . وليس الغرض
من الحزب هو مجرد مساعدة العمال والفلاحين في الحصول على بعض المزايا ،
بل ان عرضه الاساسي يتعدى ذلك لتيرا فهو يرمى الى اشراك العمال في
ادارة دفة سياسة الدولة كلها ولن يقتصر حزب العمال (كالتقابات)
على معالجة شئون العمال الخاصة باجورهم ومقدار ساعات عملهم وما اليها ،
بل هو يرمى كاي حزب سياسي آخر الى ادارة سياسة الدولة كلها . . . فهو
حزب جميع المصريين المتحررين العاملين لبناء مصر الحديثه ، وما لا ريب
فيه ان سياسة العمال هي السياسة الوحيدة التي تناسب العالم في هذا
الزمن المتقدم ، وخصوصا من وجهة النظر الوطنية » .
ثم يقول عصام كلمته التي فجرت الموقف وأخافت كل القوى ودفعتها
الى مقاومته ..

« ولسوف يعمل الحزب بالطرق السلمية ، للاستيلاء على السلطة
السياسية » (٢) .

هنا تشعر السلطة الحاكمة بمختلف مؤسساتها انه يتعين عليها ان
تجابه محاولة عصام ناصف ..
وشن الوفد والنحاس باشا شخصيا حملة عنيفة على المحاولة .. وسخر
عصام معظم صفحات «شبرا» للرد على الحملة الوفدية ..
وتحت عنوان « حزب عمال لا اتحاد نقابات » قال « لقد كانت الضربة
التي نزلت على ام رأس الوفد باعلان النبيل عباس حليم انه يعتزم العمل
لاشياء حزب العمال بمجرد عودته من رحلته الدراسية في أوروبا - لانت تلك
الضربة قوية الى حد أفقد الوفد رشده ، فسارع النحاس باشا رئيس ذلك
الحزب ورئيس الحكومة يخطب في الاسكندرية متهما عمل النبيل عباس
حليم بأنه دس للوفد ولكن انشودة الدس والدسائس والدسائسين قد
اصبحت ممجوجة هي ومنشودها » .
لكن الخطر لا يأتي من مجرد هجوم النحاس ، بل من الضغوط التي
تعرض لها « النبيل » وهو في لندن حتى أعلن من هناك انه لا يعتزم تأسيس
حزب عمالي وانما اتحاد عمال فقط .

(١) شبرا ، ١-١-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٦-١-١٩٣٧ .

نحن عصام ناصف لا يتراجع بسهولة . .
فهو يدور الجميع بل ويدور « النبيل » نفسه انه فسد صرح « بلهجه
باطعه واداع في الصحف انه يعتزم انشاء حزب عمالي . . . ومن الواضح ان
النبيل لم يكن هازلا حين قال ذلك بل كان يعنى تماما ما يقول ولذلك فبعد
دهشنا البر دهشته حين قرانا ما نشره « الاهرام » في ١٠ سبتمبر الماضى
لمراسله في لندن من ان النبيل سيختمى (على الأرجح) بتكوين اتحاد
نوابات » .

ويمضى عصام محاولا التخلص من المازق الذى وضعه فيه « النبيل » ،
مؤكدا اصراره واصرار العمال على تاسيس حزب لهم حتى رغم ان النبيل
« اذن فليخفف النحاسيون من فرحهم وهنأفهم وزعمهم انهم انتصروا ،
وقضوا على الحزب فى مهده . . ولا يفوننا هنا ان نلفت نظرهم الى الفسارق
الكبير بيننا وبينهم ، فنحن لا نؤمن ملهم بنظريه الايمان الاعمى بالزعامة . .
وعدم التفكير الا بعقل الزعيم » بل نحن نفكر بعقولنا نحن ، ونعمل مانقتنع
نحن به وهذا مايجعل الزعيم عباس حليم يشعر بالفخار لانه يتزعم حركتنا
ولا يتزعم جماعة مثل جماعتكم » .

ثم يمضى عصام ليقول للمنه الاخيرة . .
« فاذا فرضنا مثلا (وهذا ما نكتبه على سبيل الجسد ولا نعتقد
قط) ان النبيل عباس حليم رأى ان يتخلى عن الحركة . . فهل معنى هذا ان
العمال يمتنعون عن انشاء حزب العمال ؟ لا نعم الف كلا فالعمال سينشئون
حزب العمال لا لان الزعيم عباس حليم يرى ذلك فقط ، بل لانهم هم يرون
ذلك » (١) .

ولكى لا يدع الفرصة امام اى تراجع يسارع عصام بنشر « مبادئ
حزب العمال » وهى نفس البرنامج الذى كان عصام قد أعدّه خلال محاولته
السابقة لتاسيس حزب للعمال والفلاحين هو واسماعيل مظهر . . وقد نشر
هذا البرنامج فى مجله «العصور» (٢) ثم فى مجلة «روح العصر» وقد اشرنا
اليه فى الفصل الخاص بمجلة «روح العصر» .

لكن عصام يدرك ان هذا البرنامج اكثر من متطرف بالنسبة للنبيل هو
لا يريد ان يخسر النبيل . .

لكنه ايضا لا يريد ان يبدو «معتدلا» اكثر من اللازم امام العمال الذين
سارع بتكتيلهم دفاعا عن هذا البرنامج . .

ولهذا أمسك بالعصا من منتصفها فنشر البرنامج داعيا العمال للتكتل
حوله والدفاع عنه حتى فى وجه النبيل نفسه ، وان كان قد أتاح الفرصة امام
النبيل ايضا ليقول كلمته . .

« نحن ننشر هذا البرنامج ليكون القارىء فكرة عن حزب العمال الذى

(١) شبوا ، ١٦-١-١٩٣٧ .

(٢) «العصور» ، يونيو ١٩٣٠ .

سيتمكنون في القريب العاجل والذي سوف يكون برنامجا مشابها لهذا البرنامج بعد ادخال التعديلات التي هي نتيجة دراسات الزعيم حليم في اوربا الان . . (١) .

لكن عصام لا يكتفى بالنشر . . بل هو يكتل العمال خلف البرنامج ويعقد مؤتمرات للعمال ليناقشوا البرنامج ، ثم ينشر على أعداد متواليه توفيقاتهم تأييدا لبرنامجهم . . واضعا النبيل في مأزق شديد الحرج . . وعصام لا يكتفى بإعلان برنامج يساري لحزبه بل هو يعلن بأعلى صوته في مقال عنيف رفضه لكل الاحزاب الاخرى لانها تمثل طبقات معادية « حزب العمال يقوم على انقاض الاحزاب الاخرى » (٢) .

ولان النصه غريبه فقد نالت لها بداينان . . وايضا كانت لها نهايتان . الاولى نهايه محاوله تاسيس الحزب . . فعندما وصلت الامور الى هذا الحد ، وعندما اوشك حزب العمال ان يكون حقيقه واقع ، وعقدت سلسله المؤتمرات العماليه لمناقشه البرنامج والمواقفه عليه ، وانتهت التايسيدات والتوقيعات لتضم معظم صفحات مجله «شبرا» . . هنا ادرك الجميع ان الامر جد لا هزل . . واستدعى النبيل عباس حليم على عجل الى القاهره ، ودخل الملك شخصيا في الامر ، ونشر «شبرا» الخبر ، وقد علمنا ان عددا كبيرا من العمال البارزين في صفوف الحركه العماليه قد اجتمعوا مع بعض المتففين المعروفين باراتهم وثقافتهم العماليه ودرسوا مشروع اعسلان الحزب وقرروا :

١ - انشاء حزب العمال المصري .

٢ - اعتماد المبادئ الاقتصاديه والاجتماعيه التي وضعها الاستاذ عصام الدين حفي ناصف ونشرت في جريده «شبرا» بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ .

٣ - الاستغناء عن برنامج سياسي للحزب وذلك نزولا على نصيحه حضرة صاحب الجلاله الملك بعدم الاشتغال بالمسائل السياسيه .

وهكذا كان ثقل الملك ضروريا كي تهزم محاوله عصام ناصف . .

واحسن الرجل ان الحزب الذي يزعمون انشاءه بعد تجريده من حقه في الاشتغال بالسياسه ليس هو الحزب الذي يريد ولا الحزب الذي كان يؤمل ان يبنيه . . وانسحب . لكنه انسحب ليحارب في جبهه اخرى . . ويشن الحمله على الجميع . . بما في ذلك عباس حليم نفسه .

وفي مقال عنيف نشره في جريده «الشعاع» وهو مقال كان نهايه العهد لعصام بميدان العلنيه ذلك انه تحول بعد ذلك الى العمل السري . .

(١) شبرا ، ١٦-٩-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٦-٩-١٩٣٧ .

مستعنا بعد نيل هذه التجارب انه لا مجال لمساومة « البرجوازية » على علانية ،
« بنضال من اجل حقوق الطبقة العاملة » . ومن اجل الاشتراكية . . يقول
عصام .

« عمال قبل كل شيء » . « حذار من بضليل البرجوازية » هذا هو عنوان
المقال الذي جاء فيه « ليس هناك أشد ضللا ممن يزعم ان هناك نزاع بين
الوطنية المصرية والعاملية المصرية . . ما أمهر احزاب البرجوازية في التهويش
والنضليل ، انها تعطي للعامل خنجرا مسموما ليطعن به طبيعته ويدعوه باسم
« دين او الوطن ان ينتحر فيفعل » ويدولون به ابن مذللك لا نتقدم الى الامام حتى
نتهي نحن من اجلاء المحتلين فيجيب سمعا وطاعة سابقى قابما في الاحوال
بقدره ان يصدر أمركم بالتحرك فالتحرك في الطريق الذي سارت فيها
احزاب العمال والاشتراكية في سائر بلاد العالم » .

ويعنى عصام قائلا « اننا نسعى لتحسين حاله اغلبية الامة من عمال
المدن والارياف وهذا امر لا يعوق الحركة الاستقلالية ، بل هو حاسرى ان
يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذا الهيئات ان حركة العمال تعرقل جهادكم ،
ان هو حرى ان يقدمها ويقويها فاذا زعمت هذه الهيئات ان حركة العمال
تعرقل جهادكم ، فالامر سهل ، فليتحلوا للعمل عن الجهاد لتحرير الوطن . .
ان العمال يستطيعون النهوض بالحركتين معا : الاستقلالية والعمالية » ولقد
ابنتت الحوادث في الصين وغيرها ان احزاب العمال هي التي تستمر الى
النهاية في الجهاد ضد الاحتلال الاجنبى على نقيض الاحزاب البرجوازية فهي
مرنسية ، تساووم العدو على حقوق بلادها ، ونضحى بالمصلحة العامة في سبيل
المصلحة الحزبية والشخصية . . (١) .

ولم تكن هذه مجرد نهاية لمحاولة مستميتة سعيا وراء المستحيل بل
كانت بدايه لافتتاح الرجل بان « العلانية والقانونية » ليسا هدفا بذاتهما
وانما الهدف هو « الاشتراكية » . . واذا استحال السعى للاشتراكية علنا
« فلنسبح اليها سرا » .

وانضم عصام الدين ناصف الى موكب الحركة الشيوعية التي كانت
تبلور في ذلك الحين .

والنهاية الثانية للقصة . . متعلقة بالمنبر الذي خاض عصام معركته
من فوقه جريدة «شبرا» التي «احتلها» عصام «احتلالا» واستخدمها بفاعلية
وكفاءة كمنبر يسارى يدافع به عن فكرته . .

ولم تكن «شبرا» مجرد منبر للدفاع عن حقوق العمال والفلاحين ، او
للدعوة الى حقهم في تأسيس حزب لهم ، بل فتحت صفحاتها أمام الدراسات
الاشتراكية العلمية وأمام المعارك التي خاضتها الانسانية ضد الفاشية
وخطرها ، وعلى صفحاتها ترددت نداءات اليسار العالمى ضد الحرب . .
و ضد الفاشية وضد الاستعمار . .

(١) الشعاع ، ٢٣ - ٥ - ١٩٢٨ .

وقد نظمت «شبرا» حملة شعبية ضد الغزو الإيطالي للحبيشة بدانها
ينتشر نداء صادر عن الاتحاد الدولي للسلم والجمعية الدولية للهيئات التابعة
لعصبة الأمم والمؤتمر الدولي للشباب بعنوان «نداء الى جميع الساخطين على
غزو الحبشة» (١) .

ان الاعداد التي صدرت من مجلة «شبرا» خلال فترة سيطرة عصام
ناصف عليها كانت وبحق نموذجاً فريداً لكفاح الحركة اليسارية عندما
تستخدم منبرا غريباً عنها ، ثم تتحكم فيه ، وتلوى عنقه ليخدم مصالحها . .
لكن ذلك - بالضرورة - لا يمكن ان يستمر طويلاً . .
والنهايتان متواكبتان . .

فما ان تجهض محاولة عصام لتأسيس الحزب بناء على تدخل من
الملك . . وما ان ينسحب عصام من حزب لا يمثل أخلامه ، حتى تنسحب
«شبرا» أيضاً من المعركة وتنحاز الى الوفد . .

لقد فقدت الملهم . . الذي كان يبعث فيها روح الشجاعة . .
وانسحاب «شبرا» من المعركة تم تحت ضغط وارهاب السلطة ، وفي
اعقاب محاولة فاشلة لاغتيال النحاس باشا شملت الاعتقالات محمد عبد الحميد
عبد الله صاحب «شبرا» ورئيس تحريرها .

وهو يشير الى حادث القبض عليه « في مساء اليوم الثالث لعيسد
الفطر » ثم الافراج عنه مقدماً شكره « للعدالة والاخوان » .
ويبدو ان الافراج لم يكن بغير ثمن .

فقد غيرت «شبرا» موقفها تماماً ، حتى القطع غيرته . . وصدرت في
قطع صغير ، وحذفت من صدرها عبارة « لسان حال العمال » واكتفت بانها
«جريدة سياسية اسبوعية» ثم دفاع عن النحاس باشا «زعيم البلاد» (٢) .
والباقي يمكن تخيله . . مقالات عادية بغير اتجاه . .

لقد تخلت «شبرا» عن مسارها اليساري وعادت مجلة «عادية» من
جديد .

★ ★ ★

ولم تكن «شبرا» النموذج الوحيد لمحاولة عصام ناصف لتحويل مسار
جريدة والسير بها في اتجاه اليسار ، فلقد كانت هناك محاولات أخرى عديدة،
صندوق الدنيا عام ١٩٣٣ ، الادب الحي عام ١٩٣٧ ، الشمع عام ١٩٣٨ . .
لكنها لم ترتق سواء من حيث العمق في الاتجاه اليساري او من حيث القدرة
في التحكم الى المرتبة التي وصلت اليها «شبرا» . .
فقط ، أردنا ان نشير الى هذه المحاولات استكمالاً للصورة العامة .

(١) شبرا ، ١٦-١-١٩٣٧ .

(٢) شبرا ، ١٦-١٢-١٩٣٧ .

التطور

في هذا العدد

- اتجاه جديد
- ذلك الفقر الازلي
- جولة في الاحياء الفقيرة
- دعوة للتفكير في حالة المجتمع المصري
- مستقبل الثقافة في مصر
- الفكر في خدمة المجتمع
- حول الغاء البغاء
- سيجموند فرويد
- مباحث النيران
- بين ابليس وامرأة
- الى اصحاب الابراج العاجية
- نحو فن حر
- شاعر العيون الحسبة « بول ايلوار »
- شعر ورسوم حرة
- قصة شعبية : قتل الحلاق امرأته

الثمن قرشان

العدد الاول - يناير ١٩٤٠

« غلاف خارجي من ورق مقوى يتغير لونه في كل عدد »

المؤلف

التطور

مجلة شهرية تصدرها جماعة الفن والحرية

العدد الأول يناير ١٩٤٠

الإدارة شمسارح المداينغ
رقم ٢٨ بالقاهرة •
الاشتراك ٣٠ قرشا عن سنة
و ١٥ قرشا عن نصف سنة

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
أبور كامل

اتجاه جديد

« نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغيير المستمر .. »
« نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح القيسم
المتوارثة .. التي وضعت لاستغلال قوى الفرد في
حياته المادية » •

« غلاف داخلي من ورق عادي »

المؤلف

« ٠٠٠ » في البداية اتصلت بجماعة Essayists «المحاولين» ولكن صلت
بهذه الجماعة كانت ضعيفة جدا ولم تتعد زيارتين او ثلاثة لكنني لم أشعر
بالقدرة على الاندماج معهم ..

وفي عام ١٩٣٦ أصدرت كتابا اسمه « الكتاب المنبؤ » وقد صدر عن
دار نشر كان يملكها أحمد الصاوي محمد وهي دار «مجلتي» (١) .. وعن
طريق هذا الكتاب تعرف بي كامل التلمساني وتدعمت العلاقات بيننا بشكل
وثيق ومستمر ..

« ٠٠٠ » وعن طريق التلمساني تعرفت بجورج حنين ، وتوثقت علاقتي
به . وكان يرتب في ذلك الحين هو وعدد من المصريين للانفصال عن جماعة
«المحاولين» .. وبعدها اتصلنا بالنادى الديمقراطية لكن لم نشعر بالارتياح
مهم .. وهكذا انفصلنا انا وجورج حنين وكونا «جماعة الفن والحرية» .
« وأصدرنا سلسلة من النشرات وأذكر بأن اول نشراتنا كانت عنيفة
جدا بعنوان « يحيا الفن المنحط » وكان الاتجاه العام للبيان معادى للفاشية
ودفاع عن حرية الرأي ، وبعدها أصدرنا نشرة ثانية وكانت دراسة لاندريه
جيداعتقد ان عنوانها كان «دفاع عن الثقافة» .

وعقب ذلك تجمع حولنا عدد من الشباب وأحسست انه لابد ان تكون
لنا مجلة فحصلت على ترخيص مجلة « التطور » وكنت رئيس التحرير وصدر
العدد الاول في يناير ١٩٤٠ « (٢) » .

هكذا صدرت « التطور » لتفتح صفحة جديدة من صفحات الصحافة

(١) أصدر مجلس الوزراء في ١٩ أغسطس ١٩٣٦ قرارا بمصادرة هذا الكتاب ومنسح
بداوله في الدولة المصرية لانه « يدعو الى الاباحية والتجرد عن الانبياء والتقليد من
الفضيلة والضمير في سبيل ارضاء الشهوات الجسدية » راجع انور كامل .. مقال تيارات
رجعية .. مجلة التطور .. مارس ١٩٤٠ .

(٢) راجع النمس الكامل لحضر النقاش مع انور كامل في د. ريمت السعيد .. اليسار
المصرى ١٩٢٥ .. ١٩٤٠ .. دار الطليعة بيروت .. الطبعة الثانية .. ص ٢٥٢ .

اليسارية في مصر .. فقد سبقتها محاولات لتأسيس صحافة حزبية
لليسار ، ومحاولات أخرى لاستخدام «الجريدة» منبرا لبث الدعوة الاشتراكية
من أجل توثيق النشاط العلني للفكر الاشتراكي ومحاوله تأسيس منبر
اشتراكي علني ..

وثاني «التطور» لتبدأ مرحلة جديدة ، انها جريدة تحساول ان تجمع
حولها تيارا من المثقفين اليساريين ليفكروا معا في الطريق الذي يجب ان
يسلكوه ..

نحو ماذا ؟

هنا ينور الخلاف بين الرواة ..

يقول أنور كامل انه اشترك في تأسيس جماعة « الفن والحرية » مع
« جورج حنين » .. وحول مجلة التطور تجمع عدد كبير من الشباب
المصريين المتحمسين للاصلاح وبدأت أشعر اننا بحاجة الى حركة اكثر
ارتباطا بمشاكل الجماهير .. وهكذا تزعمت مجموعة من اعضاء « الفن
والحرية » لتكون ناديا جديدا أسميناه « الخبز والحرية » (١) .

لكن مارسيل اسراييل مؤسس التنظيم الشيوعي السري « تحرير
الشعب » يقدم لنا رواية أخرى .. كما قام اعضاء «تحرير الشعب» بوضع
أيديهم على مجلة «التطور» وأصدروها باسم الفن والحياة وحولوها من مجلة
فوضوية وسريالية الى مجلة عمالية . لكنها لسوء الحظ لم يتسع امامها الوقت
لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة اعداد منها . وبعد ان فقدت
« تحرير الشعب » كل من « الاتحاد الديمقراطي » و « الفن والحرية » كمنابر
علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما « الخبز والحرية » والذي
اختبر اسمه بوحى من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم
« الفن والحرية » ، اما التجمع الثاني فسمى « ثقافة وفراغ » (٢) .

ويستكمل مارسيل اسراييل المعلومات الخاصة « بالخبز والحرية »
في تقرير خاص كتبه في عام ١٩٧٣ وسلمه لي فيقول « وبالرغم من ان قيادة
« تحرير الشعب » هي التي كانت مسئولة عن جمعية «الخبز والحرية» الا انني
لم أظهر مرة واحدة في مقر هذه الجمعية حفاظا على مصريتها » (٣) .
لكن أنور كامل يرفض ذلك كله .. مؤكدا باصرار « لم يكن معنا اجانب

(١) د . رفعت السعيد . المرجع السابق ٢٥٢ .

(٢) من تقرير مكتوب على الالة الكاتبة باللغة الفرنسية وهو محاولة لتاريخ حركة
اليسار المصري ودور مارسيل اسراييل فيها مرفوعة الى قيادة الحزب الشيوعي الايطالي
وقد كتب مارسيل اسراييل هذا التقرير عام ١٩٥٠ بعد ابعاده من مصر الى ايطاليا بعدما
به نفسه الى الحزب الشيوعي الايطالي .. راجع النص الكامل من التقرير — المرجع السابق
ص ٢٥٨ .

(٣) مارسيل اسراييل — تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية يروى فيه الكاتب
ذكرياته بناء على طلب المؤلف .

مطلقا » وأواجهه بما كتبه مارسيل اسرائيل فيقول « لا جدال في أن مارسيل اتصل بنا . وحاول أن يؤثر فينا ، لكنني وزملائي جميعا صممنا على أن تكون « الحيز والحرية » حرية مصرية مائة بالمائة » .

والجاء الى مصدر آخر للمعلومات هو أسعد حليم أحد مؤسسي « الحيز والحرية » وأسأله « يقول مارسيل انه مؤسس « الحيز والحرية » ويؤكد أنور كامل انه مؤسسها فما هي الحقيقة ؟ » .

ويرد أسعد حليم « كلاهما صادق » . نحن (تحرير الشعب) أسهمنا مساهمة ايجابية في انشاء « الحيز والحرية » وكان مارسيل يوجهنا ويقودنا ، وأنور كامل كان الرئيس الرسمي . وكان مجلس ادارة الجمعية مكونا من أنور كامل (رئيسا) ودكتور عبد العزيز هيكل - أسعد حليم - فتحي الرمل - صالح عرابي . وبعد مدة ضممنا عبد العزيز هيكل الى « تحرير الشعب » ، وهكذا فإن مارسيل اسرائيل برغم انه لم يضم اسمه كعضو في مجلس ادارة « الحيز والحرية » الا انه كان مسئولاً عن ثلاثة اشخاص من مجلس الادارة » (١) .

وهكذا يمكننا ان نفهم الامر كالآتي ..

أنور كامل حاول استخدام « التطور » كمنبر يتبلور حوله اتجاها «مصري» يساري .. وأتاه مصريون لكنهم كانوا منضمين سرا الى تنظيم آخر هو «تحرير الشعب » الذي كان يرأسه مارسيل اسرائيل .

وثمة رواية أخرى احاطت بتأسيس وتمويل «التطور» فعبد المبنى سعيد أحد محرري «التطور» روى في مذكرات له نشرها في مجلة « الثقافة العمالية » مؤخرا ان أنور كامل كان في ذلك الوقت على علاقة بمحاولات هنري كورييل لتأسيس تنظيم الحركة المصرية للتحرير الوطني ..

وقد نفى كورييل ذلك في مقابلة معه .. ونفاها أنور كامل ايضا . وليس أدل على عدم صدق هذه الرواية من أن «التطور» قد توقفت عن الصدور بمجرد ان « جورج حنين » سحب الضمان المالي منها .. ولو كانت « التطور » على علاقة بهنري كورييل في ذلك الحين او حتى على علاقة مباشرة بمارسيل اسرائيل لتمكن لاي منهما تدبير ضمان مالي آخر .

بقيت بعض « الشبهات » التي احاطت « بالتطور » .

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

فقد قال مارسيل اسراييل في تقريره المشار اليه سابقا ان اعضاء
« تحرير الشعب » قد حولوا التطور « من مجلة فوضوية وسريالية الى مجلة
عمالية » (١) .

واتهمها كثيرون بأنها كانت منبرا تروتسكيا . .
لكن استقراء الاعداد الخمسة التي صدرت من مجلة «التطور» يوضح
لنا انه لم تظهر فيها اية مواقف فوضوية اللهم الا بعض ملامح توحى بالاقتراب
من الفكر الفوضوي ، برزت خلال عرض جورج حنين لكتاب « مباعث النيران »
لنقولا كالاس (٢) .

وبعض كتابات كنتروفييتش وبعض الشعارات التي يمكن ان تنسب لـ
نحت نفس النمط الذي سارث عليه هذه المجموعة منذ نشأتها عندما أصدرت
الكتاب «النبوءة وبيان » يحيا الفن المنحط « وشعارات مثل تلك التي ظهرت
على الخلاف الاخير للعدد الاول « هل تريد ان تقتل كل الادب والفن الحر في
مصر وأن تقضي على كل اصلاح وتجديد يتطلبه المجتمع . . اذن فلا تشتتر
هذا العدد ، فستقتصد قرشين » .

وكانت مثل هذه الرموز تفسر في المحيط الثقافي المصري في ذلك
الحين على انها انتماءات فوضوية . . لكنه يصعب علينا ان نسم التجربة كلها
بالفوضوية أو حتى نصل الى حد القول بأن بصمات الفكر الفوضوي كانت
واضحة المعالم في مجلة « التطور » .

كذلك فائنا نود ان نؤكد انه باستقراء كافة اعداد التطور الخمس لم
نجد بها اية دعاوى تروتسكية . . لكن ذلك لا ينفي مطلقا ان بعض مؤسسيها
(جورج حنين مثلا) كان تروتسكيا .

لكنه قد استلقت نظرنا — وهذه مسألة ذات اهمية خاصة — ان اسم
الاتحاد السوفييتي لم يرد مطلقا . . في كل اعداد التطور لا بالسلب ولا
بالايجاب . مما يوضح ان الموقف منه كان محل خلاف . وذلك برغم ان كل
صحف هذه الفترة كانت بحكم تطورات الاوضاع الدولية في ذلك الحين
زاخرة بالحديث عن الاتحاد السوفييتي .

كذلك فانه مما يلفت النظر ان «التطور» لم تشر من قريب أو بعيد الى
الخطر الفاشيستي أو الى الحرب العالمية الثانية ، أو الى الدعاوى الهتلرية . .
مما يوحي ايضا بأن هذه المسألة كانت موضع خلاف (واضعين في الاعتبار
ان التروتسكيين كانت لهم مواقف متناقضة مع مواقع الحركة الشيوعية
حول هذه المسألة . . في ذلك الحين) .

على انه يمكننا ان نقول ان استقراء اعداد التطور يوضح لنا انها
كانت مسرحا لصراعات بين قوى مختلفة .

(١) المرجع السابق ص ٢٦٨ .

(٢) التطور : العدد الاول — يناير ١٩٤٠ .

جورج حنين وأنور كامل وكانا معا في اتجاه « يسارى معتدل » لم تبرز فيه على صفحات التطور - على الاقل - اية لمحات تروتسكية ، وان كانا قد اتخذا في مسارهما العام بعد ذلك موقفا تروتسكيا ، وقد انفصل الاثنان ابتداء من العدد الخامس والاخير وذلك على اثر انفصال أنور كامل عن جماعة الفن والحرية» مؤسسا «الخبز والحرية» داعيا الى الابتعاد عن الاجسائب وذوى الثقافة الاجنبية والالتحام بالمصريين (وسوف نرى ان جورج حنين ظل لصيقا بالاجانب .. كان يكتب اشعاره بالفرنسية .. ثم هاجر من مصر واقام في فرنسا حتى مات في اغسطس ١٩٧٣) .

وكان هناك موقف اصلاحى بحث عبر عنه عبد المغنى سعيد . وهناك ايضا موقف راديكالى يعبر فى عنقه عن رفضه للنظام الرأسمالى ويدعو للاشتراكية ويتزعم هذا التيار عصام الدين حفى ناصف ، على كامل ، رمسيس يونان وفيصل شهبندر ويفترض ان يكون ضمن هذا التيار عبد العزيز هيكل (عضو تحرير الشعب) لكن اسمه لم يظهر الا فى العددين الاخيرين وكانت كل مساهمته نشر مسرحية من فصل واحد فى كل منهما .. وهناك موقف يسارى ركز كل حديثه عن الفن وعن دور الفنان فى معركة التطوير وكان محور هذا التيار كامل التلمسانى ..

وتيار كان يعتقد ان محور التقدم فى مصر هو حـــــــل قضية المرأة وتحريرها ومناقشة موضوع الجنس مناقشة صريحة .. عبد الحميد الحديدي .. رمسيس يونان .

وعلى وجه الاجمال يمكن القول بان مجلة «التطور» كانت نقطة تجمع يســـــــارية للمنقفيين . التقدميين المقلبين من مصر الثلاثينيات نحو مصر الاربعينيات ..

كانت المجلة تدور بهم يسارا ، وظروف مصر والعالم تقودهم نحو اليسار لكنهم كانوا على العتبات الاولى للطريق .. فقد كانوا - حتى ذلك الحين - مجرد مثقفين منعزلين كل ما يميزهم هو رفض المجتمع القائم رفضا قاطعا اما تطلعهم الى المستقبل فالة متفاوت الدرجات متعدد الالوان .

وباستثناء شخص واحد هو عصام ناصف فانهم لم تكن لهم - حتى ذلك الحين - اية علاقات بالحركة المخضمة لليسار المصرى والتي امتدت متأججة احيانا وخابية فى احيان اخرى عبر العشرينات والثلاثينات ..

بقيت علامة استفهام وحيدة .. أنور كامل . فى كل محاولاته لتذكر هذا الماضى يؤكد ان كل بواعثه كانت تمصير الحركة .. وكانت رفضه لفكرة ان يلعب الاجانب او المتصيرين اى دور فى تأسيس المنبر الشيوعى المرتقب .. فلماذا فتح صفحات كل اعداد التطور بغير استثناء امام اجنبى هو سام كنتروفيتش وامام اجنبى آخر هو البير قصيرى الذى كان يكتب قصصه بالفرنسية ليترجمها محررو التطور الى العربية ؟ . ذلك سؤال لم أجده له جوابا ، ولعله يلقي ظللا من الشك حول دعاوى التمصير التى يتشبهت بها أنور كامل الان مبررا كل مواقفه السابقة . أو - على الاقل - يقلل من قيمة هذه الدعاوى .

بعد هذه المقدمة .. نعود الى قصة مجلة « التطور » .
« جماعة الفن والحسرية » التي تأسست في ٩ يناير ١٩٣٩ والتي
اتخذت مقرا لها بشارع المدايح رقم ٢٨ بالقاهرة والتي حدد قانونها الاساسى
أغراض الجماعة بما يلى :

« أ - الدفاع عن حرية الفن والثقافة .
ب - نشر المؤلفات الحديثة والقاء محاضرات وكتابة خلاصات عن كبار
المفكرين فى العصر الحديث .
ج - ايقاف الشباب المصرى على الحركات الادبية والفنية والاجتماعية
فى العالم » (١) .

هذه الجماعة قررت إصدار مجلة .. رأس تحريرها أنور كامل ، وقدم
ضمانها المالى جورج حنين ..

وصدر من المجلة ثلاثة اعداد .. تم تلمحظ آثار الازمة ابتداء من العدد
الرابع عندما قرر أنور كامل الانفصال عن « الفن والحسرية » وتأسيس « الخبز
والحرية » فقرر « جورج حنين » كف تمويله عن العدد الرابع ، فظهر عسلى
الغلاف الداخلى لهذا العدد الاعتذار التالى « لظروف فوق ارادتنا تأخر صدور
هذا لعدد كما ظهر فى نصف حجمه المعتاد » ، ونلاحظ ان الثمن قد خفض
ايضا الى النصف فأصبح عشرة مليمات » (٢) .

لكن جورج حنين يكتب فى هذا العدد .. اما العدد الخامس فيظهر فى
نصف الحجم المعتاد ايضا والثمن ايضا عشرة مليمات وهو العدد الوحيد الذى
لا يشارك فى تحريره جورج حنين .
ثم توقفت « التطور » عن الصدور .

يقول مارسيل اسراييل فى تقريره « ان الرقابة قد منعت « التطور »
من الصدور (٣) وثمة دليل قد بشجعنا على قبول هذا الرأى وهو افتتاحية
العدد الخامس والاخير التى كتبها أنور كامل بعنوان « نحن ودعاة الرجعية »
والتي قال فيها « قامت بعض الجمعيات بحملات متعددة ضد مجلة « التطور » .
ولقد رفعت احدى هذه الجمعيات الى رئيس مجلس الوزراء كتابا تشير فيه
الى خطورة الدعوى التى تنادى بها هذه المجلة والى انها تعمل على نشر الاباحية
وهدم الفضيلة والدين وتقويض اركان النظامين الاجتماعى والدستورى
للدين تسير بمقتضاها البلاد .. »

ويحاول أنور كامل ان يشرح باعتدال شديد أفكار ومواقف مجلته
لكنه يختتم دفاعه قائلا « ان كان فى تحرير العقول من الخرافات والاساطير

(١) التطور ٢ يناير ١٩٤٠ .

(٢) التطور ٢ أبريل ١٩٤٠ .

(٣) د. رفعت السعيد - المرجع السابق ص ٢٦٩ .

الرجعية افساد ، وان كان فى تحرير الناس من الرق والعبودية افساد ،
فنحن نعلن من هنا بان لنا رسالة فى هذه الحياة : هي افساد عقول
الناس » (١) .

وهذا يوضح ان «التطور» كانت تتعرض لهجمات ومؤامرات شديدة ،
ويزيد من مظنه انها قد توقفت عن الصدور بقرار من الرقابة .
لكننا بفحص الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية الصادرة خلال
شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٤٠ لم نعث على اية اشارة لصدور مثل هذا
القرار ، وثابت العادة ان تنشر الصحف مثل هذه القرارات وتعلق عليها -
تأييدا او معارضة .

ويتوى الاعتقاد بان رواية مارسيل اسرائيل ليست صحيحة ما يؤكد
- صاحب الشأن انور كامل من ان المجلة قد توقفت عن الصدور لان جورج
حنين - وكان الضامن المالى للمجلة - سحب الضمان فحسب الترخيص فتوقفت
المجلة عن الصدور » (٢) .

يقوى هذا الرأى ان جورج حنين قد امتنع بالفعل عن المشاركة فى
تحرير العدد الاخير .

★ ★ ★

رَقِبْ ان ندخل فى دراسة متأنية لاعداد مجلة «التطور» الخمس نود
ان نشير الى بعض الموضوعات التى تميزت بها «التطور» عن غيرها من مجلات
اليسار السابقة والتى اعتبرت «التطور» بسببها نقطة تحول فى الصحافة
اليسارية المصرية .

هناك أولا . . الشعارات التى نشرت فى كل اعداد «التطور» . . ملء
الفراغات فى نهاية المقالات . . مثل «مجلة التطور تحارب الرجعية وتتور على
التديم ، تدافع عن حقوق الافراد ، وتنادى بحق المرأة فى الحرية والحياة» -
« خلقت العراقيل لتكتسح» - «فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها ولا تنتظر من
أحد ان يمنحها هذه الحرية» - «المرأه التى تخدم الرجل ، والرجل الذى يخدم
الرئيس كلاهما من طبقة واحدة طبقة العبيد» - «سنكون أقوى فى الغد» . .
وآنت ؟ » (٣) .

« نحن لا نريد منك ان تتبعنا وانما نريد ان تشق معنا الطريق » (٤) ،
«دولة التى لا عدالة فيها خير لها ألا تكون» - لكل فرد فى الدولة
الحق فى ان يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم» (٥) .
« نحن نريد ونعرف ما نريد » - «ايها الزميل تذكر دائما ان كل

(١) التطور - مايو ١٩٤٠ .

(٢) د. رنعت السعيد - المرجع السابق ص ٢٥٤ .

(٣) التطور - يناير ١٩٤٠ .

(٤) التطور - فبراير ١٩٤٠ .

(٥) التطور - ابريل ١٩٤٠ .

قرش تدفعه لهذه المجلة معول هدم في صرح الاستغلال » - « يجب وضع حد ادنى للاجور وحد أقصى لساعات العمل » - « كل قرش ينفق في غير موضعه اهدار لحقوق الفقير » - الموت خير من الحياة في عالم لا يقترون فيه الحلم بالعمل » - « لسنا أحرارا مادامت هناك سجون » - « ايها الزميل لا ننس أن نترك هذه المجلة في مكان ما حتى يفسرها غيرك » - « انى اتهم الخونة والصوص » (١) .

كذلك كانت «التطور» اول مجلة يسارية تركز تركيزا خاصا وفي كل عدد من أعدادها على مشكلة تحرير المرأة وعلى ضرورة تناول قضايا الجنس تناولا عصريا متحررا .

وينبع ذلك الاهتمام من ايمان بعض محرريها بأن تحرير المرأة وتناول قضية الجنس تناولا حرا هما عنصران اساسيان في تقدم الامم .

ولنلق نظرة سريعة على أعداد المجلة لنجد ان الشعارات تتناول في كثير من الاحيان مسألة تحرير المرأة . . . اما المقالات فهي عديدة وفي كل عدد « بين ابليس والمرأة » - « أنور كامل » - « حول البغاء » . . . مشكله تستوجب الصراحة » (٢) - « كيف تكون لنا ثقافة جنسية » - عبد الحميد الحديدي » - « البغاء مشكلة لها جذور » - رمسيس يونان » (٣) ، « حرية المرأة » - « أنور كامل » - « ذكور وإناث » - عبد الحميد الحديدي » (٤) - « دولة الاجرام الابيض » - زاهر غالى » - « الحب والجنس » - عبد الحميد الحديدي ، « المرأة المحاربة من أجل حقها في الانتخاب » - كريستابل بانكهرست » (٥) . وفي البرنامج السياسي الهام الذي قدمه زاهر غالى على صفحات

«التطور» بعنوان « ثورة على التقاليد » نجد ان البند الاول في هذا البرنامج بعنوان المرأة وينص على ان « للمرأة الحق في الحياة والحرية ، المساواة في كافة الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع » - « لها الحق في كافة الحقوق السياسية العامة كالانتخاب والوظائف » - لها الحق في تشريع مدني يتلاءم مع نظم المدنية الحديثة - يمنع تعدد الزوجات ويقيد الطلاق بقييدا يتفق مع كرامة المرأة الانسانية » (٦) .

وهكذا لفتت «التطور» أنظار اليسار وأنظار كل دعاة التقدم في مصر الى ضرورة معالجة قضايا تحرير المرأة معالجة حاسمة وصريحة كمنطلق اولي لتحرير المجتمع ككل .

(١) التطور - مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور - يناير ١٩٤٠ .

(٣) التطور - فبراير ١٩٤٠ .

(٤) التطور - مارس ١٩٤٠ .

(٥) التطور - أبريل ١٩٤٠ .

(٦) التطور - مارس ١٩٤٠ .

كذلك فقد كانت «التطور» اول مجلة يسارية تركّز تركيزا كبيرا على دور الفن والفنان في تطوير المجتمع ، وعلى واجبات الفنان تجاه قضايا مجتمعه . وهذه مسألة طبيعية ذلك ان «التطور» كانت اولاً واخيراً منبرا لجماعة « الفن والحرية » .

وفي العدد الاول توجه «التطور» الكلمة التالية « الى اصحاب الابرار العاجية» فتقول «لن نجد كلمة نوجهها الى الفنانين والادباء الذين يعيشون على هامش المجتمع خيرا من الكلمة التي القاها بول الوار في لندن في ٢٤ يونيو ١٩٣٦ بمناسبة المعرض الدولي لحركة السيرياليزم ونحن نقتطف منها هنا بعض فقرات لعلها تجد لديهم آذانا صاغية » (١) .

وتحت عنوان « نحو فن حر » يكتب كامل التلمساني مقالا يضع في مقدمته عبارة اقتبسها من برنارد هولاندر تقول « كل راحة ونعمة في الحياة الجديدة ولدت في اذهان رجال شدوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه ، واوجدوا بالرغم من الاضطهاد والمعارضة ترتيبا جديداً أصلياً للأشياء ، ينسئ العالم عبيد التقاليد المتوارثة . . لكنه يشيد هياكل الخلود لهادمي التقاليد الناجحين » (٢) .

وفي العدد الاول ايضا قصيدة « عايذة » كتبها بالفرنسية الشاعرة ماري كفاديا . . . ودراسة عن « شاعر العيون الخصبة بول الوار » وقصيدة اخرى « العبقرى » كتبها بالفرنسية ايضا جورج حنين :

« غابة شقوقها من المرجان
مفتوح للعابرين المتخفين
الواصلين من نهاية السماء
الحب الذي يلعب
فوق سفوح الضوء المجهولة
وفوق عزلة جبينك التي يمكن التعبير عنها
يتردد في الاختيار
بين مذاهب الفواية المختلفة
التي يقدمها له مع ابتسامة من رصاص
شباب متدهور
حياته لا تقوم الا على صلابة هذه الابتسامة

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ .

(٢) المرجع السابق .

وفوق ذلك كله قصة رائعة بعنوان « قتل الحلاق امراته » كتبها بالفرنسية ايضا البير قصيرى وترجمها الى العربية على كامل ... وتعدم والتطور، القصة الاولى لالبير قصيرى بالعبارة التالية « البير قصيرى » كاتب مصرى ، يكتب بالفرنسية ، وهو يعبر فى كتاباته عن روح التسعب والطبقات الفقيرة ، ونحن ننقل له هنا هذه القصة كمثال للاتجاه الحديث فى القصة المصرية .

وقصة البير قصيرى تستحق الاعجاب بالفعل ، فانت تشعر انه بلمسات رقيقة عاية فى الرقة يضع يدك على الحقيقة المباشرة .
« .. كان الطفل قدرا ، ولكنه كان جميلا ، كان عاريا تحت ردائه الملون بلون الارض ، كان يحمل حزنه فى كل جوانب جسمه » .
ويجرى الحوار بين الحداد وابنه .
« ان العيد ليس لنا يا ولدى فنحن فقراء » .
« ولم نحن فقراء ؟ »

« اسمع يا ولدى اذهب واجلس فى ركن ودعنى اشتغل ، اذا كنا فقراء فذلك لان الله قد نسينا » .

« ولكن متى سيدكرنا الله يا ابنى ؟ »
« عندما ينسى الله انسانا ، ينساه الى الابد يا ولدى » .
ويصف حى الاغنياء فى القاهرة قائلا « كانت المدينة الاوروبية تبدو فريسة ملل حزين لا ينتهى ، هو وليد الشك وتفاحة اللذات ... كان المرء يحس ان المدينة تريد ان تفعل شئيا من اجل ان تحيا . ولكن نوعا من الهم الباطنى الذى لا يشفق كان يشمل حركتها باضوائها القوية ... اما الفقراء فقد ... كانوا لا عدد لهم حول المطاعم وكل الاماكن التى يمكن ان ياكل فيها المرء . كان تناول الطعام بالنسبة لهم هو كل شئ . كانوا لا يرغبون فى أى شئ آخر . منذ اجيصال لم تكن لهم لذات اخرى . كانوا اجساما بغيضة لا حياة فيها . كانت المدينة تتعذب برؤيتهم ، كانوا اشبه ما يكونون بوخزات الضمير . وخزات ضمير متأصلة فى اعماق الارض . ورغم كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت . كان استجداء قطعة من الخبز من الذين انتزعوا منهم كل شئ هو بالنسبة لهم فرصة للحياة » .
كل هذا فى عدد واحد هو العدد الاول ..

وبامكاننا بدون افاضة ان نلمح الجديد والنورى فى كل اشكال التناول الادبى والدرامى التى قدمتها التطور بل وأعطتها مكانا مبالغا فيه عسلى صفحاتها ..

وفى الاعداد التالية نلمح نفس الشئ .. ونفس الكم .
على كامل يكتب فى العدد الثانى « الثقافة والرجل المثقف » يدعو فيه الى ثقافة جديدة « .. اساس هذه الثقافة الجديدة هو ان تكون شعبية بالنسبة للوطن ، انسانية بالنسبة للاوطان الاخرى . ذلك ان الثقافة الحققة هى تلك التى تنظر الى ابناء الوطن جميعا ككتلة واحدة دون تمييز ، هى تلك التى لاتسمح لطبقة خاصة من الامة بأن تفوز بامتياز حق الثقيف فتأخذ

بيدها زمام الامور لتفرض أهوائها ومصالحها على الشعب ..
الثقافة الحققة هي تلك التى تسعى لتكوين الفرد وتجعل منه انسانا
واعيا يعرف ماهيته ، يدرك علاقته بالمجتمع وعلاقته المجتمع به » (١) .
وفى نفس العدد يكتب كامل التلمساني « الانسانية والفن الحديث »
فيقول « الشعور بالانسانية وما تعانیه فى وقتنا الحاضر من ازمات هو أحد
المشاكل التى يتناولها الفن الحديث وفى اعتقادى انه أهمها جميعا وأحقها
بالدرس والمعالجة » .

والشعر اخذ مكانا كبيرا — هو ايضا — على صفحات «التطور» لكن
معظم القصائد كانت مكتوبة بالفرنسية اما لجورج حنين او كنتروفتش او
ماريا كفاديا . لكن ثمة اشعار مصرية صميمية كتبها احمد رشدى .. وهى
اشعار تعبر عن التمرد ورفض الاستعباد .. لعلها كانت ارماسات مدرسة
جديدة فى الشعر تطورت بعد ذلك على صفحات الفجر الجديد وام درمان
والجواهر .. باقلام كمال عبد الحليم ومحمد خليل قاسم ومحمود توفيق
وغيرهم .
وقصيدة « استعباد » لاحمد رشدى هى نموذج لهذه الارماسات
الجديدة للشعر الثورى .

« فى الحروب يستعبد القوي الضعيف
وفى السلم يستعبد الغنى الفقير
نحن نعمل لنعيش
ولكنهم يمنحونا اجرا هو العدم
اننا فى طريقنا الى الفناء
نحن نكدح من اجلهم طيلة اليوم
وهم يكسبون الذهب فى خزائنهم
قبل الاوان يذوى اطفالنا
وتتصلب وجوه من نحب
ويسلوها التجهم والعبوس
نحن نفرس الكروم ونسهر عليها
وغيرنا يشرب الخمر
نحن نزرع القمح
لتخلو منه منازلنا
اننا مقيدون بالافلال
وان كانت مختفية عن الانظار

(١) التطور — فبراير ١٩٤٠ .

نحن العبيد
وان كان الناس يلقبوننا بالاحرار
اركلنى بعيدا
خذ كل ما املك
اسلبنى دنياي
فى هذا الاهمال
فى الحرية المجردة
دعنا نصبح فى الاخاء شخصا واحدا
اسفا على هدفى الذى ضاع
اين الامل فى المساواة ؟

وفى العدد الثانى ايضا قصة رائعة لالبير قصيرى بعنوان « اضطرابات
فى مدرسة الشحاذين » . وهكذا تمضى « التطور » لتؤكد . . فى مبالغة احيانا
ـ على دور الفنان والفن . وفى العدد الثالث يصرخ كامل التلمسانى « الفن كالتبخر
والجنس ضرورة يجب ان تكفلها الدولة لكل فرد فيها » (١) .

وفى العدد الاخير يكتب التلمسانى مقالا عنيفا بعنوان « الفن المصرى
والمجتمع الحاضر » يبداء بعبارة غريبة « على الدولة ان تحقق لكل فرد نصيبه
من الشعر ، ونصيبه من الخبز » ويقول « . . . ان السينما المصرية والمسرح
والغناء والموسيقى المصرية عبارة عن تجارة يقوم بها بضعة بقالين لسرقة
اموال الشعب المسكين لانه اكثر الطبقات ترددا على الاقلام المصرية » .

ثم يركز بعد ذلك على محمد عبد الوهاب قائلا « ان رجلا مثل محمد
عبد الوهاب ينقل كل قطعة الموسيقى عن الموسيقى الاوربية بمثل هذه
الجرأة والوقاحة . . ينقلها كما هى دون تحريف او تبديل هو رجل لص . .
انى أقصد هنا بكلمة لص ما يراد بها تماما » (٢) .

والفن التشكيلي لقي هو ايضا اهتماما كبيرا من مجلة « التطور » . .
وكانت راقعة فى هذا المجال ايضا . .

وقد ابتدعت « التطور » لأول مرة فى الصحافة المصرية فكرة بلسورة
التصيد فى لوحة تشكيلية . . وبدأت بلوحة لبيكاسو لاجد قصائد بول
الوار (٣) ثم امتدت بعد ذلك الى لوحات عديدة مبدعة بريشة كامل التلمسانى ،
أنور كامل ، انجلو دى ريز ، فؤاد كامل ، فتحي البكرى .
ويمكن القول بأنه بالنسبة للفن التشكيلي كانت « التطور » منبرا يدافع

-
- (١) التطور — أبريل ١٩٤٠ .
(٢) التطور — مايو ١٩٤٠ .
(٣) التطور — يناير ١٩٤٠ .

عن السيريالية ويدعو لها . . .
يقول رمسيس يونان « وبازاء فرويدزم في علم النفس الحديث ،
ظهرت حركة السيريالية في الفن والشعر تلك تحلل التناقض بين العقل
الباطن والعقل الواعي او بين الحلم والحقيقة او بين الشهوة والواقع . . .
وهذه تبرز أسرارها الشديدة وتقابل بين أطرافه المتباعدة في صورة واحدة ،
داخل إطار واحد أى داخل مثالية واحدة جديدة ، وفلسفة جامعة متكاملة في
الحياة » (١) .

. . . وهكذا كانت «التطور» منبرا لعب فيه الفن والدعوة اليه والتركيز
عل موقف الفنان من قضية تطوير مجتمعه دورا أساسيا . . . ولعل ذلك كان
امرا مقبولا من مجلة تصدرها جماعة « الفن والحرية » . . .

ولسنا نريد ان ننتقل من هذه النقطة دون ان نشير الى أهمية هذا
الدور الذي لعبته «التطور» تجاه مستقبل الحركة الفنية في مصر . . .
ونجاء اهتمام الحركة اليسارية المصرية بالفنان ودوره . . .

★ ★ ★

بعد هذه الملاحظات العامة ، يمكننا ان نستفري أعداد مجلة «التطور» .
تقول افتتاحية العدد الاول « نحن نعتقد ان المجتمع المصري بحالته
الراهنه مجتمع فاقده للاتزان : فمقاييسه الخلقية وأوضاعه الاجتماعية
والاقتصادية مختلة . واثري هذا الاختلال نراء واضحا في اعراض الانحلال
النفسي في عناصر القوة فيه : فالشباب المتعلم من جهة يقضى وقته في الاحلام
المريضة نتيجة لما يعانيه من كبت لميوله ونزعاته ، وسواد الشعب من جهة
اخرى يعيش في أبشع حالات الفقر والبؤس والمرض نتيجة لانعدام روج
العدالة في النظم التي يخضع لها . . .

ونحن باصدار هذه المجلة نعهد للحوافز الكامنة في نفسية هذا الجيل
طريقا يخلق في جو المجتمع الذي نعيش فيه جديدا من أطوار الصراع
الفكري وحركة حرة تقاوم الخرافات والاساطير وتكافح القيم المتوارثة التي
وضعت لاستغلال قوى الافراد في حياتهم المادية والروحية . لقد كان لابد
لهذا المجتمع ان تنشأ فيه حركة فكرية جديدة كالحركة التي ندعو اليها ونحن
وان كنا لم نقسم للناس برنامجا معيننا لحل مشاكله المختلفة فقد مهّدنا
للطليعة المتوثبة من ابناء هذا الجيل مكانا صالحا تلتقى فيه أفكارهم الحرة

(١) التطور — مارس ١٩٤٠ .

ولبرعاتهم الاصلاحية لتنمو وتنضج وتهيئ اسباب التطور لهذه البلاد» (١) .
ولقد تعمدت أن أورد الافتتاحية كاملة .. فهي بالفعل تعبر بشكل
دقيق عن مهمة مجلة «التطور» كما فهمها اصحابها .
لكنني أود أن ألاحظ أولاً كلمة «نزعاتهم الاصلاحية» فلقصد كانت
«التطور» بالفعل مجلة اصلاحية قبل أن يقتحمها كتاب من أمثال عصام
ناصر وقيصل شهبندر وغيرهما .
كذلك ألاحظ أن التوجه إلى «الشباب» و «الجيل الجديد» كان اللهجة
السائدة في العدد الأول حتى جاء عصام ناصر وغيره في العدد الثاني
وما بعده ليتحدثوا عن «الشعب» و «العمال والفلاحين» .
ويمكن القول أن «التطور» كانت مؤهلة من جانب مؤسسيها وجورج
حنين - أنور كامل - النلمساني، لأن توقف على الهامش الدقيق الشديد الدقة
الذي يمكن أن ينفذ عليه الوطني الراض للاحتلال ، والماركسي الراض في
اقامة الاشتراكية ، والتروتسكي المعادي للنموذج السوفيتي ، والمتحجر
الراض لقيود واغلال التقاليد القديمة .. الفنان الحر .. والمطالب بحرية
المرأة .. والمطالب بحرية العقيدة وحرية رفض العقيدة ..
.. هذا الهامش الدقيق كان محل صراع مستمر .. فظهرت تيارات
اصلاحية وتيارات ماركسية .. وأخرى متحررة .. ولنحاول أن نتتبع
ذلك كله .

★ ★ ★

وكان عبد الفتاح سعيد استاذ «الاصلاحية» في مجلة «التطور» وكان
يوقع «ع . سعيد» وقد كتب موضوعاً من حلقتين بعنوان «ذلك الفقر
الازلي» وقال في الحلقة الأولى «.. لا يكفي في نظري أن يقول بعض كتابنا
الافاضل أن خمسة وسبعون في المائة من أبناء هذا البلد يعيشون في فقر
مدقع ليقنعوا أنفسهم ، وليحاولوا اقناع الناس بأنهم اتوا بالجديد وهبوا
لاداء رسالة انسانية سامية .. لا يكفي أن يصبح صائح وهو واقف على شاطئ
المشكلة لاثارة العواطف الانسانية وايفاظ الضمائر النائمة » .
«... نعم لم تعد مسألة اصلاح محدود منعزل ولم يعد من الممكن
انقاذ ملايين المصريين من هوة الفقر الاسود الشائن بملاحي لا تتسلسل
للمئات ، أو بصناديق احسان لن تعرف على سعتها رقم الالوف مهما جسدنا
لها من نداءات حارة ومقالات قوية صاخبة » فما هذه الاساليب المستبعدة
وأمثالها الا حلول مرتجلة وعلاجات مؤقتة لا يمكن أن تأتي بنتيجة الا في
علاج الفقر العرضي .. اما الفقر الازلي فلا يجدى معه اصلاح ولا بد لعلاجه
من ثورة شاملة جارفة » .

(١) التطور - يناير ١٩٤٠ .

لكن كيف فهم « استاذ » الاصلاحية « الثورة الشاملة الجارفة » ..
« ولست أعنى بالثورة معناها السطحي كتظاهر وهياج فى الميادين والطرق
فما كان الهياج ليحل المشاكل الاجتماعية المويضة المعقدة فهو ان قضى على
حكومة مستبدة فانما يأتى مكانها بحومة اخرى مهيمنة » وانما أهنى بالثورة
معناها البعيد . أعنى بها التنظيم الجرىء والاصلاح المتطرف الشامل ذلك
الاصلاح الذى لا يقطع الداء وانما يجتثه من جذوره . »

وهكذا أدان الاصلاح .. ليطالب بالاصلاح الشامل ، وفى طريقة بين
« الاصلاح » و « الاصلاح الشامل » أدان الثورة وعرض بها ملمحا الى انها تنتج
حكومات مهيمنة ..

وكل شئ فى نظر « ع . سعيد » يجب ان يتم بالرضاء التام من جانب
الطبقات الاستغلالية .

« .. فمتى أدرك أصحاب المصانع انه لا سبيل لتقدم صناعتهم
ورواج منتجاتهم الا برفع مستوى معيشة العمال عن طريق زيادة أجورهم ،
ومتى أدرك أصحاب المؤسسات التجارية والصناعية ان ما يدفعونه الى الدولة
من ضرائب مباشرة وغير مباشرة ينفق منها على رفع مستوى معيشة الفلاحين
والعمال ومن ثم يعود اليهم بالتساع سوقهم » ومتى أدرك رجال الحكم ان
لا سبيل لتدعيم مركزها السياسى والحزبى الا برفع مستوى المعيشة والقضاء
على الجهل كان طريق الاصلاح امامهم ممهدا . »

ثم ماذا بعد ان يصبح طريق الاصلاح ممهدا ؟

يقول « ع . سعيد » : « .. واستطاعوا بشئ من الروتين الحكومى
القيام بذلك الاصلاح المتطرف الشامل أو الثورة السلبية المنظمة » (١) .
واذا كانت « الاصلاحية » احد ملامح والتطوُّر فقد كان « الرفض
المجرد » و « السخط غير المشر » علامة اخرى من علاماتها .. ولعل هذا ما حدا
بمارسيل اسراييل الى اتهامها بالفوضوية .. ولعل كلمات مثل « الفن معمل
بارود » التى قدم بها جورج حنين دراسته لكتاب « نقولا كالاى » « مباحث
النيران » كانت احد أدلة مارسيل اسراييل على اتهامه هذا ..
نقول جورج حنين نقلا عن نقولا كالاى « أخطر موقف يمكن ان نقفه
الانسان فى حياته أو فى تفكيره هو موقف الرضى سواء أكان هذا الرضى
بنفسه أو بالعالم » .

« ونقولا كالاى ينادى بايقاظ صفات الفرد الهجومية ، وبوضع قواته
الباطنية فى خدمة ميوله المضطهدة ، وذلك بلغة قاسية جافة تزيد كلامه
ودلائله « اقناعا » . ونحن نعتقد ان تلك النيران التى يبعثها قلبه سوف تنير
طريق المستقبل الانسانى » (٢) .

وعلى نفس النسق يعلو صوت « ن . ل . ح » (وقال انور كامل انه

(١) الطور — يناير ١٩٤٠ .

(٢) الطور — يناير ١٩٤٠ .

د . نظمي لوقا (صائحا « اني اتهم » .
 « آن لهذه الامة ان تكف عن غطيظها وأن تستيقظ على الصسوت
 الداوي .. اني اتهم » .
 « اني اتهم .. فليس في هذا البلد المسكين انسان في مكانه
 الطبيعي ، ولا شيء في وضعه الطبيعي ولا فهم طبيعي للانسان والاشياء .
 اني اتهم .. فقد آن للحق في هذا البلد الذي يعيش في مسواد
 العماية ، وحلقة الضلال والرياء ان يظهر بعد طول غياب ، وأن يسيطر على
 كل شيء ، وعلى كل انسان ، كما ينبغي له ان يسيطر الا يظلم احدا ولا
 يستغل احدا ولا يشعر في ظله احد بعنت ولا ارهاق .
 ايها الايقاظ كالنيام .
 ايها الاحياء كالموتى .

اني اتهمكم ! اني اصرخ فيكم وأبند عنكم عمايتكم وابعث ارواحكم
 من محابسها بصرخة الحق الصريحة المخلصة السامية التي تشق كل اذن ولا
 يغلق دونها قلب ولا يصمد أمامها رجاج .
 ايها الحق انا نريد لك ان تقتصر .
 ايها النير انا نريد لك ان تسقط عن كل عنق وان تتلاشى عن كل
 نفس ..

ايها القيد انا نريدك ان تفرج عن كل روح وأن تطلق كل جسد .
 ايها الشعب .
 انا نريدك ان تحيا .
 اني اتهم ولصحيفة لاتهام قانون واحد : الحق .
 ولها غاية واحدة : الحياة .
 ووسيلة واحدة : الحرية وشجاعة الايمان ، (١) .

وهكذا رنزي عال للكلمات الصاخبة دون مضمون طبقي .. صراح
 واتهامات دون ان يكون هناك تحديد لمن الجاني ومن المجنى عليه .. الوعي
 يطبق غائب تماما ، فقط هناك « سنخط » و « رفض » .

بل ان احد كتاب « التطور » وهو توفيق حنا الله طالب بالشاء « مدرسة
 للسنخط » « أولى بنا ان ننشئ مدرسة لكي نعلم فيها هذا الشعب كيف
 يسنخط وعلام . يسنخط .. على هذه القوييد .. على هذه القيم الجسامدة ،
 فالسنخط هو الناحية السلبية للمطالبة بالحرية .. والحياة » (٢) .

غير ان بعض هؤلاء الراحضين يتلمس الطريق نحو شحن «سنخط»
 بالوعي الطبقي .
 « لقد آن لحقوق الافراد ان تتحدد في دولة الاجرام الابيض ، ولقد

(١) التطور — مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور — مارس ١٩٤٠ .

آن لهذه الامة ان تخلق نقاب التقاليد الاسود ، ثم لقد آن للشباب الجرى والفكر الحر ان يعلو منصة الحكم فى البلاد .

هكذا يقول زاهر غالى فى محاورته « دولة الاجرام الابيض » وهو يقول على لسان الزعيم فى هذه المحاوره « تقوم العلاقة بين الفرد والدولة على اساس خضوع الفرد لسيادة الدولة التشريعية والقضائية . فعلى الدولة ان تكفل للفرد العمل والحرية وتحسين ظروف الحياة بتخفيف الضرائب الإجتماعية وتحقيق الانسجام الاقتصادى . ان المشكلة التى يعانىها العالم الآن ليست مشكلة وجود الانتاج وليس وجود الثروة وانما حسن توزيع الثروة » .

وربما كان كنتروفتش أكثر وضوحا من غيره من هؤلاء « الساخطين » فتحت عنوان « دنيا بلا عيب » يكتب ويقدمون كماليات الاغنياء على ضروريات الفقراء الاولى ويسمونها مدينة . . جواهر تتألق فى الفترينسات ثم تغطى جلد امرأة اصطناعية لا انسانية فيها . ملذات غاية فى الدقة وفى التفاصيل تختبر من اجل الفئة القليلة المحترمة .

اذا كان مصير العالم ان تحول جميع منتجاته فى سبيل ارضاء النفوس التى لاتعرف الا الاستغلال فالأفضل الا يكون العلم والأفضل المسودة الى كهوف ما قبل التاريخ .

من جيل لأخر يتنازلون عن ذرة من سلطتهم يسمون هذه انسانية وتطورا اجتماعيا « (١) » .

وهو يقول تحت عنوان « الحلول المباشرة » « ان استمرار المساوىء والمظالم مائة عام لا يبرر استمرارها مائة سنة اخرى ، ولا يبرر تقليد السلحفاة فى التقدم نحو المراحل الجديدة » لكننا نلمح بالفعل اتجاهات فوضوية فى عبارة لعلماء الفلتت من كنتروفتش « كثيرا ما تكون الدراسات الفلسفية والاقتصادية العويصة للمشاكل وسيلة للتهرب من الاصلاح اللازم اتخاذه فى الحال » (٢) .

واذا كانت الكلمات السابقة جميعا تقف « بالتطور » عند حدود « السخط » غير الواعى ، و « الرفض » الخالى من اى مضمون طبقى ، فان كلمات اخرى كانت أكثر وعيا وأكثر التصاقا بحقائق الواقع . .

وفى محاولة لتلمس الواقع ومشاكله ، وربما فى محاولة لاستشارة المثقفين ودفعهم الى التفكير فى مشاكل المجتمع توجه « التطور » « دعوة للتفكير فى حالة المجتمع المصرى » تقول « . . ونحن نتوجه الى كل من يعينهم امر هذا المجتمع بهذين السؤالين :

١ - تعيش الايدى العاملة وهى سواد الشعب ومصير الثروة فى

(١) التطور - مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور - مارس ١٩٤٠ .

البلاد في أشنع حالات الفقر والبؤس والمرض . والوزارت المتعاقبة تعلن انها مهتمة بتحسين حياة هذه الاغلبية المهضومة الحق . فما هي الوسائل التي نراها لحل هذه المشكلة الاجتماعية التي قد تؤدي الى اشد الاخطار ؟ ما رأيك في التوزيع الحالي للثروة في المجتمع المصري وفي وسائل تنمية هذه الثروة ؟ ما رأيك في طرق مكافحة الفقر والمرض والبطالة ؟ ما رأيك في نظام العمل وأجور العمال ؟ ما رأيك في نظام الضرائب ؟

٢ - تشييع روح الضعف والتشاؤم وفقدان الثقة والحوافز الشخصية في نفسية هذا الجيل وهي ظاهرة من ظواهر الانحلال تناولها بالبحث والتحليل اكثر من كاتب ، الا ان اغلب ما كتب في هذا الموضوع لم يخرج عن نطاق البحوث السطحية التي لا تستند على حقائق علم النفس الحديث . فما هي الاسباب التي تعتقد انها أدت الى هذه الحالة ؟ وما العلاج الذي تقترحه لتلافي أضرارها في المستقبل ؟ (١) ،

وكان استمرار نشر هذين السؤالين في ثلاث اعداد متتالية تأكيداً من المجلة على اهتمامها بتلقي آراء القراء حولها او دعوتهم للتفكير فيها . . . وهو موقف متقدم يتجاوز السخط غير الواعي والرفض غير المتزن بموقف طبقى ، فالسؤال الاول واضح ومحدد الهدف وهو في ذاته يوحي بأن بعض اصحاب التطور كانت تؤرقهم مسألة البحث في نظام العمل . . . وأجور العمال . . . وتوزيع الثروة . . . الخ .

ويسير على نفس النمط مقال لعل كامل بعنوان « الفكر في خدمة المجتمع » يقول فيه « . . . فالمفروض ان الفكر يجب ان يتطور بتطور المجتمع الانساني » ، يعبر عن آماله وأحلامه ، يفضح عيوبه ونقائصه ، يكون صدى لمطالبه ورغباته ، يحمل العلم ليسير في الطليعة ويشق الطريق الذي لا مناص منه دون تردد او خوف . . . لقد تحطمت الان الفكرة الرجعية القديمة القائلة بأن الجماهير لا تفي وانها عبارة عن قطيع ينساق وراء الابطال ، ان الابطال لا يبنون التاريخ بل التاريخ هو الذي يبنى الابطال . الابطال لا يغيرون التاريخ ، بل ان تغير التاريخ وتطور الامم اجتماعيا واقتصاديا تطورا لا يمكن ان يقف سيره المتواصل مهما حاولت جهود الجامدين هو الذي يغير مبادئ الابطال » .

هل كان « علي كامل » يتصدى بكلامه هذا للنزعات الفوضوية ؟ ربما . . . ويمضي على كامل قائلا « . . . ان الفكر الذي لا يكون صدى للاغلبية العظمى من الشعب فيه منعكس احلامه وآماله وأوجاعه في وقت واحد ، هو فكر خائن غريب عن الوطن الذي نشأ فيه » .

« . . . ان ثمانين في المائة من شعبنا المصري تعيش في الجوع او ما يشبه الجوع فاين هو الفكر الذي يبحث في مشاكلهم ويجد لها علاجاً حاسماً

(١) التطور — يناير — فبراير — مارس ١٩٤٠ .

مشرفا . . . تدل الاحصاءات الرسمية على ان الفقر ينشر تعاسته في مصر بشكل افظح مما كانت عليه البلاد منذ عشر سنوات او اكثر ، وان الثروات تزداد تركزا في أيدي عدد محدود جدا من الافراد .

» . . . ان لتطور المجتمع الانساني قانونا علميا لا يستطيع اي قساف سيره انسان ولقد اصطلح هذا القانون في كل عصر وفي كل امة بمقاومة فيالق الرجعية والجمود . . . ولقد كان دور رجال الفكر حاسما في كل فترة من فترات التطور الاجتماعي للانسانية ، وكل أملنا الا يستمر مفكروننا أقل فضلا من نظرائهم في الامم الاخرى في تطور المجتمع المصري والسير به نحو تحقيق العدالة الاجتماعية « (١) وبواصل على كامل ادانته للمجتمع الرأسمالي . . . فيكتب في مقال بعنوان « الثقافة والرجل المثقف » « أدرك المفكرون الاحرار بعد الحرب الماضية انها كانت حربا على الشعوب وليست لصالحها وخيرها . أدركوا انها كانت حربا أشعل نارها رجال البنوك وتجار المدافع وأصحاب المصانع الكبرى رغبة في تقسيم العالم من جديد . بعد ان تطورت حال الصناعة في الامم الاوربية بشكل جعل اصحاب رؤوس الاموال فيها يفكرون في الخروج من المازق الذي أوجسدهم فيه التناقض العجيب في تركيب المجتمع الذي يعيشون فيه ونظم انتاجه . ذلك ان تطور الصناعة والاندفاع في الانتاج السريع مع بقاء الشعب في حالة الفقر والعجز عن شراء جعلهم لا يجدون علاجا لتوزيع منتجاتهم والحصول على المواد الخام لمصانعهم الا بالغزو والفتح على حساب الشعوب البريئة المسالمة » (٢) .

هنا تبدو الكلمات واضحة . . . والموقف الطبقي يشع بين السطور . . . ان الفارق بين ن . ل . ج أو كنفروفتش ، وبين على كامل هو الفارق بين البقاء على هامش السخط والرفض الخالي من الوعي وبين الفهم الماركسي لحقائق المجتمع الرأسمالي . .

ويكتب جورج حنين بعنوان « اختراق المراحل » ، « . . ان مسائل الحرية والسلم والخبز مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فلا قيمة للحرية عند الرجل الذي ينقصه العيش والسلم ، ولا قيمة للخبز اذا اختلط بالاستعباد ، ولا قيمة للسلم لرجل فقد الخبز والحرية . وعلى الشباب ان يوفق بين هذه العناصر الثلاثة الثمينة ، عليه ان يجعلها اساسا قويا لبناء المجتمع في المستقبل ، ولئن تعدر عليه بعد المسافة فله ان يخرق المراحل بالحماسة وبسرعة اندفاعه » (٣) .

لئن كان جورج حنين قد ركز دعوته على « الشباب » متجاهلا الأساس الطبقي للصراع الاجتماعي فان ثمة كتاب آخرين أدركوا ان اداة أي تغيير هي العمال والفلاحين . . . هكذا أكد في مقالاته عصام الدين حنفى ناصف . .

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ .

(٢) التطور — فبراير ١٩٤٠ .

(٣) المرجع السابق .

« ... وقد جرى الاغنياء على مطالبة الفقراء بالتضحية كما ظنوا ان الامر فى حاجة الى تضحية ، فاذا رابط جيش اجنبى على الحدود كان على كل عامل او فلاح مصرى ان يتقدم للقاء الموت دون ان تغمز عينه او يختلج صدره او تهجس نفسه بالسؤال عما قدمه له الوطن من المتع والخيرات .. وعما قدمه للوطن اولئك الذين قدم لهم الوطن كل شىء . اما اذا كان فى الامسر ضرائب زهيدة لا تبلغ ربع نظائرها فى البلدان الاجنبية فهنا يثور السادة الاغنياء ... (١)

ونعت عنوان « صحافتهم » يكتب عصام ناصف « كنا نحسب ان ثورة البرجوازيين الرجعيين (نلاحظ انها المرة الوحيدة التى استخدم فيها لفظ برجوازية فى مجلة التطور) ضد التعليم الالتزامى قد خمدت الى الابد، ولكن فاضيا رقيق الشعور هو الاستاذ يوسف يعقوب رأى فى بعض القضايا التى نظرها ان هناك آباء يبلغ بهم الفقر حدا لا يستغنون فيه عن استغلال اطفالهم .. وهنالك بوق آخر من أبواق الرجعية هو الاستاذ محمد زكى عبد القادر أعجبه هذا رأى الخطير فكتب فى « الاهرام » يقول « ان المسألة التى يتعين بحثها فيما يختص بقانون التعليم الالتزامى هى : هل التعليم مقدم على الخبز او الخبز مقدم على التعليم ؟ هل يجب ان يعطى الطفل لقمة لياكل او قلما ليكتب ؟ ان هذا القانون فى حاجة الى تعديل كبير بل لعله فى حاجة الى الالغاء . ولا بد من بحث المسألة كلها بشىء من الجراءة والفهم الصحيح » . ولسنا ندري ما هى الحاجة الى « الجراءة » هنا ، فان الدفاع عن وجهة النظر الرجعية ليس الان ولم يكن فى اى عهد من عهودنا محتاجا الى الجراءة .. ان الخبز والتعليم كليهما ضرورى ، ولكن هذا لا يسوغ للاستاذ ان يضع سؤاله فى هذه الصيغة المضللة فان فى وسع الدولة ان تعطى كل طفل لقمة لياكل وقلما ليكتب ومن واجب الدولة ان تقدم الخبز والتعليم معا الى هذا الشعب الجائع البطن والراس .. اما محاربة الفقر بالجهل فلا يؤدى الا الى نتيجة عكسية » .

ثم يختتم عصام مقاله العنيفة قائلا « .. ونحن نطمئن حضرته .. فسيجد الفلاحون والعمال والصعاليك دائما ما يقرأونه ونحن سنزودهم بما يقرأون » (٢) وفى مقال آخر يقول عصام ناصف قررت ان « انشر التعاليم الاشتراكية وأدعو اليها » (ونلاحظ انها المرة الاولى والاخيرة التى ترد فيها كلمة الاشتراكية فى مجلة «التطور» وكانت كلمة الاشتراكية فى ذلك الحين تنير الدهشة المقرونة بالاستخفاف عندما يدور الحديث عليها باعتبارها مسألة ذات علاقة بمصر ..)

« .. وقد نصحتني بعضهم بعد محاكمتي على كتابي « الاشتراكية

(١) المرجع السابق .

(٢) التطور — مارس ١٩٤٠ .

الجديدة « و » التجديد الاجتماعي » ان اتحاشى التعرض للخطر بتعاشى ذكر كلمة « الاشتراكية » والاكتفاء فى كتاباتى بعرض ما لا يتعدى الان من المطالب الخاصة بتحسين حال الطبقة العاملة فى مصر . ولكنى رفضت الاصلاح الى هذه النصيحة واجبت محدثى انى أعنى بفرس كلمة الاشتراكية فى أذهان المصريين ونشرها وجعلها مألوفة فى مصر اكثر مما اعنى ببعض اصلاحات معينة ، وقد عقبى القول بالعمل فأخرجت كتاب « حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية » و « مبادئ الاشتراكية » و « المسألة الاشتراكية » وقد بلغت مصر فى النهاية بعض ما رجونه لها فكثرت فيها الدعوات الى الاصلاح الاجتماعى وظهر الاتجاه الاشتراكى فى أبحاث الباحثين ودعوات المصلحين . ثم يوجه عصام كعادته لطمة عنيفة لشركائه فى المجلة من الساخطين والاصلاحيين قائلا « . . ومع ان هذه الدعوات ليست فى الصميم ، ومع ان معظمها ليس جديا ، ومع ان الكثير منها لا يعدو النذب والعيول ، ومع ان الكثير منها يدعو الى انقاذ كبار المزارعين واصحاب المصانع فى طيات الدعوة الى انقاذ لفلاحين والعمال ، فاننا نسجل مع الاغتياب ان جهودنا قد أصابت بعض النجاح فهى على الاقل قد نجحت الى حد ان الكثيرين من المرتزقة والمهرجين قد أصبحوا يتطفلون عليها » (١) .

وهكذا يمضى عصام ناصف مهاجما « المنحرفين » بكل العنف الممكن ، ومهاجما ايضا الرجعيين من كبار الملاك العقاريين والبرجوازيين . . . وعندما تثار ثائرة اعضاء مجلس النواب على « مشروع قانون يمنع الحجز على بعض حاجيات الفلاحين » ويصيح أحمد بك عبد الغفار فى البرلمان قائلا : « اننا اعترض على هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لانها قائمة على مبادئ ثورية بلشفية . . » يواجه عصام ناصف مجلس النواب بمقال عنيف بقول فيه « ان النواب ليسوا سوى جماعة من اصحاب الاملاك او ممن يطمعون ان يصبحوا كذلك ذات يوم ، وان الاغلبية الساحقة من الشعب المصرى اى الفلاحين ليس لهم من يمثلهم فى هذا المجلس ، وان رجال الاحزاب السياسية المختلفة وان اختلفوا فى المسائل الثانوية وتنازعوا على الحكم . . فانهم يقفون صفا واحدا عندما يتعلق الامر بطبقته » .

ثم يمضى عصام فى هجومه على النواب متهما اياهم بالكذب والتهريب والخداع . . ويقول « والواقع ان اتهام المصلحين بالترويج للبُلْشَيفِيَّة (نلاحظ انها المرة الاولى التى ترد فيها كلمة البلشفية علم صفحات والتطور ، ليس الا الطراز الحديث من سلام الرجعيين الابدى ، فقد كان السادة فى العهد القديم يتهمون المصلحين بالاباحية وبهذه التهمة ارفع سقراط العظيم على تناول السم ، ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان السادة انفسهم اباحيون ، وكانوا فى القرون الوسطى يتهمون المصلحين بالالحاد ولكن هذه التهمة لم تعد صالحة للاستعمال لان الدول المتعدينية تحمى

(١) التطور - ابريل ١٩٤٠ .

الاحاد ، ولأن الاحاد لا يغضب احدا غير الطائفة التي لا يهم غضبها احدا ا
ادن فالبلشفية ا » .

تم يوجه حديثه الى الاغنياء قائلا « ولعل السادة الاغنياء والنسواب
المحترمين يفهمون قبل فوات الوقت ان الترويج للمبادئ البلشفية وتحجيبها
الى قلوب الشعب لا يكون بالمطالبة بهذه الاصلاحات الطفيفة التي اذا نحسن
رحبتا بها فليس ذلك على انها اصلاحات حقيقية بل على انها دلالة على اتجاه
التفكير نحو الاصلاح ليس الا ، وانما يكون هذا الترويج بمحاربة هـــــ
الاصلاحات وافهام البائسين الذين يحسون مسيس الحاجة الى الاصلاح ،
ان الاصلاح قرين البلشفية ، وان فرض الايلولة على تركات الاغنياء بلشفية ،
وان نشر التعليم الالزامى بلشفية ، وان تعليم البنات بلشفية ، وان محاربة
البدخ والتبذير بلشفية ، وان المطالبة بترقية احوال العمال والفلاحين
والجنود بلشفية ، وان الدعوة الى تخفيض رواتب كبار الموظفين وزيادة
رواتب صغار الموظفين بلشفية وان المطالبة بتشريع يحمى الفلاحين مسن
استبداد الملاك بهم بلشفية . . وعلى ذلك فان حضرات النسواب المحترمين
لا يخدمون انفسهم ولا طبقتهم حين يكثرون من ترديد الاتهام بالبلشفية» (١) .
ويكتب عصام مقالا عنيفا آخر بعنوان « نحو امة عديمة الطبقات» يشن
فيه هجوما شديدا على الرأسماليين فيقول « تمتاز الرأسمالية في مصر بأنها
حديثه العهد ، ولذلك نرى في بعض اصحاب رؤوس الاموال عندنا صفات
« المحدثين » في الثراء ، فهم يلقون الكلام على عواهنه دون ان يحاولوا
التضليل والتمويه ، وهم يفترضون - مبدئيا - ان الله هو الذي وضع نظام
الطبقات ، فمن كان يكدر ويكدر فقد سخره الله للكدر والكساح ومن كان
يستمتع ويتأمر فقد خلقه الله للامارة والاستمتاع ، وهم يزعمون ان الثراء
- في حد نفسه - دليل على الكفاية وعنوان للاستحقاق ، فمن كان ثريا
فجدير بالدولة ان تمد له في اسباب الثراء ، ومن كان فقيرا فحقيق به ان
يزداد فقرا ومسغبة ، وهم يعتقدون ان الديمقراطية هي نظام سيادة اصحاب
رؤوس الاموال ، وليس البرلمان الا نقابة لهم يبحثون فيها شـــــون
طبقتهم » (٢) .

.. وضمن نفس التيار يمكن وضع بعض مقالات رمسيس يونان ..

وقد كتب رمسيس يونان عددا من المقالات لعل أهمها تعليقه المبدع على
كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » للدكتور طه حسين . . وفي البداية يقول
رمسيس « يزعم قوم أن الدكتور طه حسين مجدد متطرف ، وأنه ثوري
التفكير ، بل يزعمون أنه ملحد ، ونبحث عن هذه الصفات الخسلة في طه
حسين وعما يشابهها مما يكال له بغير حساب ، فنعجب ولا نعترف أي
المقاييس يصطنع هؤلاء القوم فيما يزعمون » .

(١) التطور - مايو ١٩٤٠ .

(٢) التطور - أبريل ١٩٤٠ .

ويمضي رمسيس مفندا آراء طه حسين فيقول « ليس يكفي ان يكفل الدستور حرية الافراد ليصبحوا احرارا حقا ، فلا بد من ان نمارس الحرية لتتعلم الحرية ، ولا بد ان يعتمد الفكر الحر على خبرة وتجربة حرة ليتعوم وينضج ويتم » .

ثم يفون « خلاصة هذا ان تسعة اعشار فتيان وفنيات مصر لا يسمح لهم الان بنصيب من التعليم ، اذا استثنينا هذا الهزل الذي يعلم في المكاتب الانزامية ولا يصيب مع ذلك الا اقلية من ابناء الفراء . هذا بينما يقتضج ابواب التعليم على مصراعيها امام ابناء الطبقتين الفنيه والمتوسطة — سواء منهم الاذكياء او الاغبياء — ما داموا يدفعون مصروفات هذا التعليم . ونحن نخدع انفسنا عندما نقول ان الاغنياء يدفعون مصروفات تعليم ابنائهم ، فمن المعلوم اولا ان هذه المصروفات لا تصل الى نصف ما يتكلفه الطالب فعلا ، اما النصف الاخر فان الامة هي التي تدفعه . واذا ذكرنا الامة فقد ذكرنا ذلك الرجل البائس الذي هو مصدر كل ثروة في مصر — نعتي الفلاح . ومسين المعلوم ثانيا ان ثروة الاغنياء في مصر ليست نتيجة مجهودهم المستقل وانما هي في نهاية الامر نتيجة مجموع مكس من التصحيات يبذلها الفلاح المصري في كل دقيقة من حياته وبكل قطرة من دمه . فلماذا لا نعلن الحق ونقول ان الفراء هم الذين يتفقون على تعليم ابناء الاغنياء » .

ثم يمضي رمسيس يونان ليطالب ليس فقط بحسب ابناء الفراء في التعليم المجاني وانما « لا بد — فوق التعليم المجاني — من اعانة ابناء الفراء على نفقات معيشتهم من ملابس وغذاء » .

ويطالب بفرض ضريبة على الاغنياء « تسمى ضريبة التعليم يعفى منها من لا يزيد دخله عن ١٠٠ جنيه في العام على ان يكون ضريبة تصاعديه ومثل هذه الضريبة لن نعمت الاغنياء جوعا ولن تسيرهم حفاة الاقدام ولن يضطروهم الى اكل المش وشرب الماء الملوث والنوم في حظائر البهاشم بل ستتركهم كما هم في نعيم مقيم » (١) .

ويجدر بنا قبل ان ننقل الى موضوع آخر ان نشير الى ان « التطور » قد دافعت عن طه حسين بقدر ما هاجمته فعندما يتقدم خمسة من اعضاء مجلس النواب باستجواب الى وزير المعارف « بشأن الاسباب التي حدثت بالوزارة الى اسناد وظيفة مراقب الثقافة العامة الى رجل كطه حسين عرف بنزعات وآراء ضد تقاليد البلاد وأخلاقها ودينها » .

تعلن « التطور » « نحن مع طه حسين » ونقول « لقد انتقدنا طه حسين على صفحات هذه المجلة لا لهذه التهم التي يلصقونها به وانما لروح المحافظة الظاهرة في علاجه لمستقبل الثقافة في مصر وفي طريقة توجيهه لهذه الثقافة بما لا يلائم اتجاهات العصر ولكن اذا كانت عوامل الرجعية قد

(١) التطور — يناير ١٩٤٠ .

شاعت ان ترفع رأسها من جديد لتقضى على الخطوة التى اجتازتها البلاد على يد مفكرين كمله حسين وغيره ممن لا نؤمن نحن بهم تمام الايمان كمعبر صادق عن حقيقة النزعات المتوثبة فى نفسية هذا الجيل . . فنحن نصرح فى وجه دعاة الرجعية هؤلاء ، نحن مع طه حسين الى ان نقضى على كل القوى التى تحاول ان تخلق لنا فى القرن العشرين « عصور وسطى جديدة » (١) .

اما رابع الاربعة اصحاب التيار الراديكالى فى « التطور » فهو « فيصل عبد الرحمن شهبندر » وهو يكتب تحت عنوان « الحدود والقيود » مناقشا ضبيعة النظام المصرى . . والحدود التى يقوم الدستور المصرى على اساسها ثم يقول « . . جاء الدستور ناطقا بان الامة مصدر السلطات ولكن الدستور فيما نص عليه قد اقر الاسس النظرية لسلطات الامة فحسب ، بينما الامر الواقع من ناحية اخرى يدلنا دلالة لا ريب فيها على ان الشعب عنصر لا شأن له فى تسيير دفة الدولة . . . شيد الدستور الاركان النظرية الحكم الشعب ، ولكن فاته ان ثمة عوامل اقتصادية واجتماعية تقلب الاوضاع رأسا على عقب فتتغل مقاليد السلطة من يد الى اخرى . . وتجعل من السيد مسودا ومن الرئيس رؤوسا فكيف لامة ينهش فى أضلاعها الجوع ويطبق على ابنائها الجهل ان نقيم من نفسها رقبيا على أناس تفردوا بالمال والعلم والسلطة وامتلكوا ما على الارض وما فى باطنها وأقاموا الانظمة القانونية التى تجعل قوام السلطة وقفنا عليهم وعلى ذريتهم من بعدهم » (٢)

والدين . . كان واحدة من الممارك الهامة التى تصدت لها « التطور » ، واذا كان « زكى سلامة » قد وجد الجراءة لكى يكتب مقالة « نشوء فكرة الله وتطورها » (٣) فان الآخرين قد اكتفوا بمناقشة الدور الذى يلعبه رجال الدين تجاه عملية تطوير المجتمع . .

وفى مقال عاصف بعنوان « تيارات رجسية » يعلن أنور كامل « نحن نرفض هذه السجون التى تضمها على عقولنا فئة ضئيلة جاءتها القوة عفوا . ان كان المجتمع الحاضر لا يكفل الحرية لارواحنا وأجسادنا فلا أقل من ان نحيا أحرارا بتفكيرنا وخيالنا » . ثم يبدأ المقال بهجوم مباشر وعنيف « لرجال الدين فى التاريخ صفحة سوداء . وليس يجهل أحد أطوار الصراع الذى نشأ بينهم وبين رجال الفكر الحر من قديم الزمن حتى بلغ أشده فى القرون

-
- (١) التطور — مارس ١٩٤٠ .
 - (٢) التطور — فبراير ١٩٤٠ .
 - (٣) التطور — فبراير ١٩٤٠ .

الوسطى وحتى انتهى بانتهااء سلطتهم المباشرة بانتشار الافكار الجديدة . .
ثم يتجه بهجومه ضد « جماعة الاخوان المسلمين » دون ان يذكر اسـمـا
صراحة وانما يكتفى بالقول « جمعيات نشأت في مصر في السنوات الاخيرة
وعملت على مزج الدين بالسياسة من جديد مستغلة في هذا اسم الدين في
الخصومات السياسية والمنازعات الحزبية الرخيصة . . واذا كانت هذه
الحركات الرجعية قد اتخذت لنفسها هذا الشكل الهستيري الحاد فقد كان
طبيعيا ان تضع في مقدمة اهدافها العمل على خنق حرية الفكر » .
ثم يندد بلجوء اعضاء هذه الجماعة الى استخدام القوة ضد خصومهم
« لو كان القائمون بهذه الحركات مخلصون في عقيدتهم لما رفعوا السيف في
وجه القلم ، فالدين القوى يستطيع ان يصمد للنقد دون ان يتطرق الشك
اليه . ان استعمال القوة المادية ضد الفكر وهو قوة معنوية دلالة على العجز
والقصور » (١) .

ويلتقط الكرة عصام ناصف — كمادته — ليشن هجوما عنيفا على
الشيخ المراغي قائلا « لاشك ان جماعة رجال الدين في مصر من أنشط
الجماعات ، والمسائل الدينية تعتبر في مصر — دون مسوغ — من المسائل
المثانة ولذلك يتحاشاها الكثيرون ، ولكن هذا الاعتبار يجعلها في نظري
أجدر بوضعها على منضدة التشريع . . » ثم يقول « يسرنا لو خفف رجال
الدين من نشاطهم فان البلاد مرتبكة ومشغولة بمسائل أهم من مسالتهم » (٢) .
وفي مقال بعنوان « بين الجامعة والازهر » يطالب أنور كامل بدمجها
في معهد واحد حتى لا يبقى الجيل الجديد نهبا للانقسام بين « الجامعة التي
تمثل العقلية الجديدة والازهر الذي يمثل العقلية المحافظة » (٣) .

واذا كانت « التطور » قد اعلنت في افتتاحية عددها الاول انها « لا تقدم
للناس برنامجا معينا لحل المشاكل المختلفة » .
واذا كانت قد حاولت ان تستطلع الرأي وأن تتحسس الطريق نحو
فهم المشاكل المحددة . . بتوجيهها الى قرائها « دعوة للتفكير في حالة المجتمع
المصري » .

واذا كان أنور كامل قد نعى على الاحزاب الاخرى تسرعها في اعتماد
البرامج « التي لا تستغرق من كاتب مواضيع الانشاء اكثر من ساعة او نصف
ساعة » والتي تكتفى « بالدجل والتهريج والشعوذة حتى اصبح من العادي
جدا ان نقرأ في الصحف السياسية والاجتماعية نفس الكلمات التي تكتب

(١) التطور — مارس ١٩٤٠ .

(٢) التطور — مارس .

(٣) التطور — فبراير ١٩٤٠ .

للدعاية عن بعض العفاير التي تسعى جميع الامراض « (١) »
 فان « التطور » قد وجدت الجراء بعد ذلك لتقدم برنامجا ٠٠ يسئل
 برنامجين ٠ الاول بعدم به راهر على بحث عنوان « نورة على التعاليد » اشريا
 فيما سبق الى فقرته الاولى الخاصة بالمرأة ٠ اما الفقرة الثانية وعنوانها
 « التضامن الاجتماعي » ونقول « يجب الاخذ بمبادئ النظام والتضامن
 الاجتماعي والتي بمضمونها على كل فرد شبه النزام طبيعي عمل الغير هو
 الواجب الاجتماعي - ان ابسط مبادئ الاسانية على بتحسين حالة الطبقات
 المعيرة من الامة وبخفيف الامة ، وذلك باصلاح نظام توزيع الثروة بين
 الافراد - على الحكومة اولانمية السروة الاهلية - قوة الانتاج - وذلك بادخال
 الآلات واتعم الحديثه في الزراعة وانهاض الصناعة الوطنية وانتشاساف
 موارد الثروة الطبيعية في البلاد ٠٠ تم لا قيمة لزيادة كفايه الانتاج ان لم
 نغنون بتوزيع عادل للثروة وبارتفاع مستوى المعيشة حتى يتزن الانتاج
 بالاستهلاك - يجب على المشرع اذن ان يتدخل ، عملا بنظام توزيع اصليح ،
 مطلقا مبدأ تصاعد الضريبة بنسبه اعلى من النسبه الحالية ، وبرفع فئسة
 ضريبة التركات ، وبتحديد الملكيات العقارية الكبيرة - ويجب على المشرع
 ايضا ، اخذا بسياسه انتاج اصليح ، ان يتدخل بالاستيلاء على بعض فروع
 الانتاج الكبير لتخفيف مظالم المنافسة ولاستغلالها بوجه اقدر ماليا ٠ - تم
 اخيرا : على المشرع ان يتدخل لحماية العامل الضعيف امام صاحب العمل
 بتعيين حد أدنى وحد اعلى لساعات العمل ٠٠

ثالثا - الدين والدولة : يجب فصل الدين عن الحياة المدنية تشريعا -
 كما يجب ايجاد تشريع وضعى لمسائل الاحوال الشخصية وغيرها حتى
 يتكيف مع ملابسات الحياة الجديدة ٠
 رابعا - الرتب : يجب الغاء الرتب الفخرية تحقيقا للمساواة
 الاجتماعية ٠

خامسا - الوقف : يجب الغاء الوقف حتى لا يستولى بعض الافراد على
 دخل دون ان يؤدوا عملا ٠٠ « (٢) »
 ويكفي لابرار اهمية هذا البرنامج انه كان يطالب بتحديد الملكيات
 العقارية الكبيرة وباستيلاء الدولة على بعض فروع الانتاج الكبير ٠٠
 ويقدم أنور كامل برنامجا آخر ، لكننا يتعين علينا ان نذكر انه كان
 يقدمه وهو يتراجع امام ضغط شديد من بعض الجمعيات التي طالبت
 رئيس الوزراء بايقاف مجلة « التطور » على اساس انها « تعمل على نشر
 الاباحية وهدم الفضيلة والدين وتقويض اركان النظامين الاجتماعيين
 والدستوري » ٠

وفي مواجهة ذلك يحاول أنور كامل ان يعلن برنامجا معتدلا ٠
 ١ - تدافع مجلة « التطور » عن حقوق الافراد وتطالب بتحسين حالة

(١) التطور - مارس ١٩٤٠ ٠

(٢) التطور - مايو ١٩٤٠ ٠

بعضيات العاملة التي هي مصدر النروه في هذه البلاد وهي لا ترى في هذا
سما للنظام العام وانما ترى فيه سحيقا «يسعد مبادئ العدالة الاجتماعية»
١ - ندافع مجله «التطور» عن حرية المراه وصادى بحثها في المساواه
في ناهى الحقوق والالتزامات قبل الرجل وقبل المجتمع .

١ - ندافع مجله «التطور» عن حرية الفكر يصعب عامه . وهو امر
يضمن مبدأ حق الفرد في حرية الاعتقاد الدينى وفي حرية التصريح بهذا
الاعتقاد وهي بحارب في نفس الوقت التعصب ويرى فيه عامل من عوامل
التحرر يمس الحرية الشخصية ويضر بمبدأ التضامن الاجتماعى . لما
انها تعارض بشده كل تدخل من الهيئات الدينيه في الشئون الدينيه ، ولا
يوافق على استغلال الشعور الدينى الذى نعوهم به بعض الاحزاب لتحقيق
اغراضها الحزبيه » (١) .

والحقيقه ان «التطور» قد حاولت في كثير من الاحيان ان تلمس
مواقف محددة اراء المشائل الاساسيه في المجتمع . . يمكن ان نستخلص
منها محاوله « لبرمجه » مواقف متنازلة تبحث لنفسها عن طريق اكثر
تحديدا ووضوحا . .

وبحث عنوان « في سبيل سياسة انشائية » يعلق جورج حنين على
تقرير مكتب العمل عن عام ١٩٢٩ ويطلب « بأسبوع الساعات الاربعين »
ويقول انه « بمثابة لابوس للراسماليه » ويطلب « بالحد الأدنى للاجر »
وذلك « لا بد من القيام بعمل اساسى مباشر . لا بد من اراحة مركز ثقل
النروه الاهليه . . ويتحتم ايجاد تنظيم جديد للاجور ينتهى برفع المرتبات
الشهرية التي تتراوح بين ٢ جنيه و ٢٥ جنيه رفعا تنازليا وانقاص المرتبات
التي تتعدى ٥٠ جنيه انقاصا تصاعديا » ويطلب ايضا « بتكوين خزانه دائمة
للتعمير الوطنى عن طريق فرض ضريبة تصاعديه على الترككات وكذلك
بالاستيلاء على ارباح الشركات التي تقوم باعمال عامه متى تعدت هذه
الارباح ١٠ بالمئه من رأس المال » (٢) .

ويقدم محمد صادق دراج دراسة جيدة « عن أجور العمال » يستخلص
خلالها من الاحصاءات الرسميه « ان متوسط الاجر الذى يتناوله العامل
ليعول اسره مكونة من ثلاثة اشخاص هو سبعة قروش . . وان حوالى ٧٠
بالمئه على الاقل من العمال يعيشون دون الكفاف » (٣) .

وتحتفل «التطور» بعيد اول مايو - عيد العمال الدولى وتطالب العمال
المصريين بالاحتفال به . . وتقول «وقد احتفل بعيد اول مايو في مصر لأول
مرة في مدينة المحلة الكبرى في أواخر سننى الحرب الفائتة ، ثم احتفل به

(١) التطور - ابريل ١٩٤٠ .

(٢) التطور - مارس ١٩٤٠ .

(٣) التطور - مايو ١٩٤٠ .

بعد ذلك فى مدينة بور سعيد ، ولايزال عمال البحر الاحمر يحتفلون به كل عام ، (١) .

ويقدم أنور شتتا صورة نثرية درامية لعمال الفحم فى ميناء بور سعيد بعنوان « حاضر يا ريس » يوضح فيها مدى الاستغلال الذى يتعرضون له .. (٢)

وتحت عنوان « فوضى النظام الاجتماعى » تقول « التطور » فى إحدى الشركات الكبيرة يعمل ما يزيد على عشرين ألف عامل وعاملة بأجور يومية تتراوح بين ثلاثة قروش وخمسة وليم عمل يبلغ إحدى عشرة ساعة يوميا ، (٣) .

وهكذا كانت « التطور » معبرا ضروريا لجماعات المثقفين كى يتحولوا من السخط المجرد والرفض اللاواعى الى الفهم الطبقي والماركسي لحقائق العصر ..

البعض وعى التجربة فاستقام أمامه الطريق وخاص غمار المعركة .. والبعض اكتفى بالسخط والرفض الفوضوى .. فغاب من ذاكرة التاريخ سريعا ..

وبين المحاولات العنيفة لتخطى الهامش الحديدى الذى يرفض الانتماء والذى رسمه جورج حنين بدقة ، والرغبة الجامحة لدى البعض فى الخلاص من اسار المثقفين المنعزلين والالتقاء مع حركة الجماهير المصرية العارمة .. انقسمت « الفن والحرية » .. وقامت جماعة « الخبز والحرية » .. وكانت هناك تنظيمات ماركسية سرية تتكون سريعا لتلبى حاجات التطور وتعتبر عن مرحلة جديدة تمر بها مصر .. « تحرير الشعب » « الحركة المصرية للتحرير الوطنى » وتواكب المثقفون اليساريون نحوها . ولم يعد « الهامش » مقبولا ، وصار التمايز اساس كل فهم سليم .. وسحب جورج حنين الضمان المالى .. وتوقفت « التطور » عسسن الصدور ..

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) التطور — أبريل ١٩٤٠ .

كنت أتصور ان الرجل يراوغنى .. فقد اشتهر دوماً بالتحفظ والحذر الشديد الذى يصل الى حد الانغلاق والحلقية ..

روى لى قصة اهتمامه بالشعب المصرى ، وبالفكر الماركسى ، وكيف أسس اتحاد أنصار السلام فرع فى القاهرة وآخر فى الاسكندرية ، وكيف ساعدوا الجمهوريين الاسبان ، كيف رتب لقاء بين نهرو ومصطفى النحاس، كيف تجمع حوله عديد من الشخصيات التقدمية فى اتحاد انصار السلام ، وكيف حاول هذا البعض (جورج حنين ... راؤول كورييل وغيرهم) ان ينشطوا نشاطاً واسعاً ، وأنا خشيت ان يهدد نشاطهم كيان الجمعية وأن يكشفنا للبوليس السرى » (١) .

وروى كيف أنه « فى عام ١٩٣٩ وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية لم يكن من الممكن استمرار جمعية السلام فى العمل فتحوّلت الى جماعة باسم «مجموعة الدراسات» وبدأنا فى اعتماد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين .. »

لكننى كنت أحاول دائماً وخلال جلستين امتدتا الى ما يزيد عن عشر ساعات احدهما فى القاهرة والاخرى فى باريس .. كنت أحاول ان اتجه بالحديث نحو عملية تأسيس التنظيم الشيوعى الذى عرف بعد ذلك بأسماء عديدة « طليعة العمال » « الفجر الجديد » « د . ش » « العمال والفلاحين » الخ .. ويتهرب بول جاكوب دى كويمب متبرماً .. « أنا مصمم على اننى لم أؤسس تنظيمًا ، أنا وضعت البذور ثم تركتها لتنمو .. انا كنت من الناحية المبدئية ضد ان يقوم اجنبى بتأسيس تنظيم .. اننى أقرر بوضوح ان تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد ان تنحيت انا عن العمل .. لقد عملت فى مصر عشر سنوات من النضال الديمقراطى والماركسى بهدف نقل الفكر الماركسى الى عدد من المصريين وهذا هو كل دورى .. وبعد ذلك تركتهم يفعلون ما يشاءون » (٢) .

(١) راجع النص الكامل لمذكرى النحاس مع بول جاكوب دى كويمب ، د . ريمت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة بيروت ، ص ٢٤٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

وعندما ألحقت بالسؤال تبرم الرجل من جديد قائلا « أولا أود أن أؤكد أنني منذ ١٩٤٠ قد شعرت شعورا قويا بأن دورنا قد انتهى . كنا قد وضعنا البذور ويكفي هذا بالنسبة لاجانب . وكان رأينا أن نترك الأمر للمصريين وحدهم وإذا احتساجوا الى بعض المعلومات أو المساعدات مثل الترجمة وما الى ذلك فأننا نقدمها لهم . لكن قيامنا نحن الاجانب بتأسيس منظمة شيوعية مصرية كان أمرا مرفوضا » .

وعندما سألته في ختام حديثي معه « هل تريد أن نضيف شيئا حول النشاط في الأربعينيات ؟ أجاب بشكل قاطع « اسأل أصحاب هذا النشاط ، أما أنا فكان دوري قد انتهى تماما » (١) .

واتجهت الى أصحاب هذا النشاط . . وأجريت مناقشات معمقة مع اثنين منهم يوسف درويش وصديق سعد وأدركت مساهمتها أن بول جاكوب دى حومب لم يكن يراو عسى وإنما كان يقول الحقيقة ، ومن مناقشتاتي معهما أذكرني أن أصل الى الحقائق التالية .

بعد حل اتحاد انصار السلام تكونت « مجموعة الدراسات » . . وفي داخل مجموعة الدراسات لمير عني ثانت هناك مجموعة ضيقة جسيما تدرس الماركسية وتعتنقها ، ويمكن التأكيد بأن تواجد هذه المجموعة الماركسية يمتد حتى أيام اتحاد انصار السلام . وهذه المجموعة الضيقة كانت تتكون أساسا من الاجانب ، ولكن بول جاكوب حاول أن يصل بأفكاره ونشاطه الى المصريين باعتبار أن ذلك هو الواجب الاساسي . .

ومن الاجانب الذين كان معظمهم من أصل يهودي الى مصريين ذوي أصل يهودي وذوي ثقافة اجنبية . فالمجتمع الاجنبي كان في ذلك الحين مجتمعا معزولا له ثقافته وتقاليده ولغته ، بل وصحافته وأشعاره وفنونه واهتماماته الخاصة المتميزة عن ثقافة وتقاليده ولغة الشعب المصري . .

كان الاجانب مجموعة كبيرة العدد متعددة الجنسيات لكنها متقاربة التفكير والثقافة والمستوى الاجتماعي ، وكانت في مجموعها متعالية على الشعب المصري ترفضه وترفض أفكاره وتقاليده وتراثه ولغته ولا تربطها بمصر سوى رابطة الإقامة ، التي لا تنظر الى مصر الا كبلد سهل استغلاله واستغلال ابنائه والاستمتاع في رحابه بالامتيازات الاجنبية .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

كانوا يحتقرون الشعب المصرى واللغة العربية ويرفضون استخدامها
او يتحدث بها .

وكان البعض منهم يتحدث عن الحريات والديمقراطية ويحلمون
بمجتمعات افضل ولكن ليس للمصريين وانما لشعوبهم الاصلية ..
ولكن الاجانب الماركسيين كانوا يمثلون مرحلة جديدة حاولت جاهدة
ان تربط عقيدتها بكفاح يومى من اجل الشعب .. غير ان الوصول الى
الشعب المصرى كان بعيد المنال فثمة حواجز حقيقية .. اللغة ، التقاليد ،
كراهية الاجانب الخ .. وهكذا كانت الحلقات الماركسية الاجنبية تبقى
حبيسة التجمعات الاجنبية عاجزة عن اقتحام حواجز العزلة ..

.. وبول جاكوب دى كومب رجل حريص ، لا يعرف القفز ولا السرعة
.. انه يخشى اى خطوة متسعة ، او حتى معتدلة ، انه يتلفت عشر مرات
قبل ان يخطو خطوة واحدة . وظل يعمل حوالى ست سنوات كاملة فى نشاط
علنى وسرى متصل ليكون مجموعة صغيرة جدا معظمها من الاجانب وليس
فيها من يمكن القول بانهم مصريون سوى ثلاثة من اصل يهودى وذوى
ثقافة اجنبية هم ريمون دويك - يوسف درويش - صادق سعد .

وكان هذا الكسب المتواضع كافيا لبول جاكوب لدفع هؤلاء الثلاثة
الى الاعتماد عن المجموعة الاجنبية .. كان يصدهم عنها ليعملوا مستقلين ..
كان .. كما قال لى صادق سعد فى نقاش معه .. يصرخ فيهم « لستم اطفالا ..
لقد بلغت سن الفطام » .

وفى ١٩٤١ وجد الثالث (صادق سعد - ريمون دويك - يوسف
درويش) سبيله للعمل المستقل ..

- واتفق الثلاثة على العمل فى شعبتين منفصلتين
- ريمون دويك وصديق سعد ليعملا وسط المثقفين

ويوسف درويش باعتباره محاميا عماليا للعمل وسط العمال .. على
ان يكون صادق سعد مسئولا للاتصال بين الشعبتين .
ولنمسيك الآن بالخيط الاول .. مرجئين نشاط يوسف درويش الى
فصل قادم نتحدث فيه عن مجلة « الضمير » .

.. ريمون دويك وصديق سعد اتصلا بسعيد خيال ومصطفى كامل
منيب واشتركا معهما فى تأسيس « جماعة نشر الثقافة الحديثة » لكنهما
كعادتهما ووفقا لتعليمات الحذر الشديد التى احاطت بكل تصرفاتهما لم
يفاتحا الاثنين فى اى شيء ، وحاولا مجرد استخدام « جماعة نشر الثقافة
الحديثة » كمنبر علنى لهما دون ان يشعر احد من شركائهما بذلك .
وقد ادى ذلك الى تردى الوضع وطردهما من هذه الجماعة .. ويرى

سعيدخيال القصة في مناقشة أجريتها معه فيقول « حضر شخص من الحزب الشيوعي الفلسطيني اسمه «الحسيني» ولا اذكر بقية اسمه ، وقابل مصطفى كامل منيب وخلال الحديث معه قال له ان لديهم معلومات ان مؤسس « جماعة نشر الثقافة الحديثة » هو بول جاكوب دي كومب فلما نفى مصطفى كامل منيب ذلك ، اكد له « الحسيني » ان جاكوب كان في فلسطين وأبلغ الحزب الفلسطيني بذلك .. ولم يبلغني مصطفى كامل منيب بذلك لانه كان يعلم انني عنيف في تصرفاتي في مثل هذه الحالات ، واكتفى بأن اقترح على ابعاد صادق سعد وريمون دويك من الجماعة على اساس انهم من اصل شبه اجنبي وانهم ليسوا مصريين تماما .. ووافقت على ذلك وتم ابعادهما .. وبعدها شرعا في تأسيس « الفجر الجديد » .

ويروي صادق سعد انه خلال تواجده مع ريمون في « جمساعة نشر الثقافة الحديثة » كانا قد تعرفا « الى عدد من المثقفين المصريين منهم أحمد رشدي صالح ، عبد الرحمن الشرقاوي ، نعمان عاشور ، سعد مكاوي ، محمد اسماعيل محمد ... »

وتعرفنا بأبو سيف يوسف عن طريق محمد اسماعيل وبعل الراعي عن طريق أحمد رشدي صالح .
وهكذا فان الماركسيين الاجانب توصلوا الى انصاف المصريين وانصاف المصريين تلاحموا مع عدد من المثقفين المصريين .. وأصبح من الممكن بالرغم من ابعادهم عن « جماعة نشر الثقافة الحديثة » ان يلعبوا دورا مستقلا .. وتأسست مجلة « الفجر الجديد » .

.. ويكمل صادق سعد روايته ...

.. « كان أحمد رشدي صالح اكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل له الحصول على ترخيص باصدار مجلة « الفجر الجديد » باسمه .

لكن الحصول على ترخيص كان مجرد تخط للعبئة الاولى وظلت عبء اساسية اخرى هي التمويل ..

ويمضي صادق سعد « وفي جلسة لمناقشة كيفية اصدار المجلة انار أحمد رشدي صالح مسألة التمويل ، وأبلغناه اننا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر رشدي صالح على معرفة مصدر التمويل ، واضطرونا الى ان نشرح له الامر ، وعلاقتنا بالمجموعة الاجنبية السرية التي تعمس خلف

« مجموعة الدراسات » وكيف ان هذه المجموعة هي التي ستمول اصدار
المجلة .. ووافق رشدي صالح على الانضمام الى مجموعتنا الضيقة » .

وهكذا وتحت الضغط .. تحول الثلاثة الى اربعة .. فقد أجبروا على
مفاتيحة رشدي صالح .. لكنهم ظلوا كما هم اربعة .. دون اية زيادة ..

وظلت العلاقات مع العناصر الأخرى على أساس انها مجرد عناصر
صديقة ولم تجر مفاتيحة أي منها .. ويقول صادق سعد « أنا كنت مسئول
المجموعة التي تعمل وسط المثقفين وفي نفس الوقت كنت حلقة الاتصال
مع يوسف درويش ونشاطه وسط العمال » .

وظللنا كذلك حتى اواخر ١٩٤٦ ، ولم نفكر في مفاتيحة الاصدقاء
والتحول الى العمل التنظيمي الا بعد ان أغلق صدقي المناير العلنية بقراره
الشهير في ١١ يوليو ١٩٤٦ » .

★ ★ ★

وفي ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول من مجلة « الفجر الجديد » .
وكانت في البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثاني عشر
الصادر في ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما اعلنت « الفجر الجديد » انها سوف
تصدر بعد ذلك اسبوعية .. وتعلن في رسالة حماسية توجهها لقرائها
« تعمل لجنة التحرير الآن لاعداد « الفجر الجديد » لان تصدر اسبوعية
اجتماعية ثقافية .. وهي اذ تقدم على هذه المسئولية الضخمة تشق بكم
وتتوجه اليكم .. ايها الاصدقاء اننا نكافح لنخلص حياتنا جميعا من كل ما
يسىء الانسان ويحد من حريته .. ونحن موقنون باننا سننجح في مهمتنا
لأننا نؤمن بعملنا وأهدافنا ونؤمن بشعبنا وبالشعوب الأخرى » .

والغريب ان العدد التالي لهذا الاعلان وهو العدد رقم ١٣ قد صدر
بدون تاريخ .. وبعده يصدر العدد الرابع عشر وتاريخه ٦ ديسمبر ١٩٤٥
.. وهكذا كانت هناك فجوة لا نعرف لها سببا ونلاحظ بعد ذلك ان العدد
الخامس عشر يصدر يوم ١٦ ديسمبر أي بعد عشرة ايام من العدد السابق
عليه وفي هذا العدد نجد الاعلان التالي « تصدر « الفجر الجديد » مجلة
التحرر القومي والفكرى اسبوعية ابتداء من ٤ يناير ١٩٤٦ .. ثم تنتظم
المجلة بعد ذلك اسبوعية كل اربعة .. وتستمر في الصدور حتى يلغى
ترخيصها في ١١ يوليو ١٩٤٦ في تلك المذبحة الجماعية التي نظمها
الطاغية صدقي لكل الصحف التقدمية في ذلك الحين » .

★ ★ ★

والشعار الذي اتخذته « الفجر الجديد » لنفسها ابتداء من العدد الاول

كان « مجلة الثقافة الحرة » ، وفي العدد السابع الصادر في ١١ أغسطس ١٩٤٥ ، يبقى الغلاف الخارجى كما هو مع اضافة غلاف داخلى يحمل نفس الشعار « الفجر الجديد - مجلة الثقافة الحرة » لكنها تضيف شعارا جديدا « نحن نجاهد لكي لا يندم احد على الحياة » .

وفي العدد ١٣ يتغير شكل الغلاف فتظهر عليه لوحة تشكيلية بعنوان « الثورة المصرية - بريشة جورج دموس » كذلك يتغير شعار المجلة الى « الفجر الجديد - مجلة التحرر القومى والفكرى » .

ويشهد العدد ١٤ وهو فى اعتقادنا اول الاعداد الاسبوعية تطورا جديدا فلون الغلاف ثابت وكان يتغير فى الاعداد السابقة ، واللون الثابت هو اللون الاحمر ويضم الغلاف لوحة تشكيلية بتوقيع نصر ، وكذلك العدد ١٥ ، وابتداء من العدد ١٦ يتغير رسام الغلاف ليصبح « الزميل عمر » .

وابتداء من العدد ٢٤ الصادر فى ٦ مارس ١٩٤٦ تطبع احرف الصفحة الأخيرة بالحبر الاحمر وتخصص لباب ثابت بعنوان « الى زميل » الى وفى العدد ٢٤ ايضا برواز فى الصفحة الثالثة بعنوان الى زميل الى اصدقاء « الفجر الجديد » هذه التحرير نهائيا . وابتداء من العدد ٢٦ يرد يوسف ابو سيف فقد انضم الى التحرير نهائيا . وابتداء من العدد ٢٦ يرد اسم ابو سيف كسكرتير لتحرير المجلة . .

وكان مقر ادارة المجلة ٣٢ شارع ابراهيم باشا وابتداء من العدد الثالث يتغير المقر الى ٣٥ شارع شريف باشا ، وفى العدد ٢٤ يتغير العنوان من جديد الى شارع البنك الوطنى لكن « الفجر الجديد » تطلب الى قرائها مراسلتها على صندوق بريد ١٩٢٤ القاهرة . ونلاحظ ان هناك بروازا فى العدد ٢٩ يقول « عنوان المجلة الوحيد من ب ١٩٢٤ » .

ورويدا رويدا بدأت « الفجر الجديد » ترفع شعارات عنيفة وتتحول من مجرد مجلة ثقافية الى مجلة سياسية وبرزت فيها المعالم الماركسية بشكل واضح تماما ، ومع تفجر الحركة الوطنية فى مطلع عام ١٩٤٦ تزداد جرعة الحماس فى « الفجر الجديد » « نحن نقول الحقيقة ولكننا لا نستطيع ان

(١) الفجر الجديد ، ٢٧-٢-١٩٤٦ .

نقولها كاملة (١) « أيدوا » « الفجر الجديد » مجلة النضال الوطنى الديمقراطى
 — اكتبوا لها — وزعوها — اتصلوا بها فهي لسانكم الناطق بالأمم وأهدافكم، (١)
 « ليكن اتحاد الطلبة والعمال بداية اتحاد المنقذين بالطبقات الشعبية » (٢)
 « الفجر الجديد مجلة التحرر الوطنى والنضال الديمقراطى » . . .
 « مع العاملين المخلصين من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية » (٣)
 « يا أصدقاء « الفجر الجديد » اكتبوا إلينا . ابعثوا بكمياتكم وانتقاداتكم
 وتوجيهاتكم — انكم بهذا تساهمون فى حركة التحرر الوطنى القومى والفكرى
 وتنطلقون معنا الى تحقيق غايات شعبنا الحر المناضل » (٤) .

★ ★ ★

وكانت « الفجر الجديد » ككل المجلات اليسارية والتقدمية تعاني من
 نقص مواردها المالية وقد توجهت الى قرائها بنداء تقول فيه « الى أصدقاء
 « الفجر الجديد » تجتاز « الفجر الجديد » أزمة مالية حادة ، فقد أصبحت
 الآن أمام امرين إما أن تتغلب عليها فتظل تصدر فى نفس الحجم ، وب نفس
 العدد ، وإما أن تعجز فينخفض الحجم وعدد المطبوع . وانتم ايها الزملاء
 أيدتم « الفجر الجديد » وما تزالون فأصبح اسبوعيا بعد ان كان نصف شهرى
 وتضاعف عدد الموزع منه . . . واليوم نواجه معكم هذه الازمة ولا بد لنا من
 ان نجوزها طافرين . . . ابعثوا الى الادارة بتبرعاتكم ، خفضوا مصروفاتكم
 الكمالية وابدوا بقروشكم وجنيهااتكم صحيفتكم التى تؤمنون بنضالها . .
 ادعوا اصدقاءكم الى التبرع ، سيروا معنا صفا تغلب على هذه الازمة المالية
 الحادة » (٥) .

وفى العدد التالى نداء آخر يقول « كان للنداء الذى وجهته « الفجر
 الجديد » الى قرائها اثر كبير ، نشط له الكثيرون من الاصدقاء يساهمون
 فى تدعيم الفجر الجديد وايصاله الى زملائهم .
 على ان ارتفاع اثمان الورق وعدم تمكننا من الحصول على الكمية
 الكافية من التموين قد اضطرنا الى تخفيض عدد المطبوع من « الفجر » .
 ولذلك أصبح من الاهمية بمكان ان يتعاون جميع الاصدقاء على توزيعه
 بأيديهم لان المعروض فى السوق سيقل حتما . . » (٦) .

(١) الفجر الجديد ، ٦-٢-١٩٤٦ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٣-٢-١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

(٤) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

(٥) الفجر الجديد ، ٢٠-٣-١٩٤٦ .

(٦) الفجر الجديد ، ٢٧-٣-١٩٤٦ .

وفي عدد تال توجه « الفجر الجديد » الى اصدقاء « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد تقديرا على مساهمة الزملاء موزعي « الفجر الجديد » الذين واطلبوا وما زالوا على توسيع انتشاره ، وترجو بمناسبة قرب انتهاء المسام الدراسي ان يبذل الاصدقاء موزعوا « الفجر الجديد » بالجامعة والمعاهد اقصى جهدهم حتى يبلغ « الفجر » قراء الطلبة اثناء العطلة الصيفية ٠٠٠ » (١)

وكان من الطبيعي ان تحاول « الفجر الجديد » الاعتماد على توزيع اصدقائها . ليس فقط لان ذلك يوفر عمولة التوزيع لمالية المجلة ولا لان ذلك كان وسيلة لتجميع الاصدقاء والانصار وربطهم بعمل شبه منتظم وانما ايضا لان السلطة كانت تطارد عملية توزيعها ٠٠ وتحت عنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دنيئة » تكتب « الفجر » « يشاء البوليس السياسي ان يوالى « الفجر الجديد » بمضايقاته ... وأن يعطينا في كل يوم دليلا على انه آلة في يد الاستعمار ... فبالامس أوحى الى حرس الجامعة بأن يطردوا بائع الصحف لانه ينادى على « الفجر الجديد » وأجبروه على ان لا يعرضه امام باب الجامعة ضمن ما يعرضه من صحف ٠٠٠ » (٢)

وعلى اية حال فان التبرعات التي جمعت لم تكن كافية الامر الذي يبرح بانها كانت مثلها مثل قيام القراء بالتوزيع مجرد خطة لربط القراء بمجلتهم لاهداف سياسية ففي عدد لاحق نلاحظ بروازا بعنوان « تدعيم الفجر الجديد » يقول « بلغت التبرعات لتدعيم « الفجر الجديد » حتى الان خمسة جنيهات ٠٠٠ ابها الاصدقاء نحن نريد ان يكون « الفجر الجديد » - لسانكم القوي - وانتم لستم أفرادا - لستم عشرات او مئات ، وانما انتم ملايين ، انتم يا من تؤمنون بحق شعبنا في الحياة الحرة الكريمة ٠٠ تقفوا صفا واحدا ٠٠ أيدوا « الفجر الجديد » (٣)

والذي يؤكد ان حملة التبرعات كانت سياسية في جوهرها برواز آخر في عدد آخر « ما يزال تأييد اصدقاء « الفجر الجديد » والمؤمنين بكفاحه يتوالى - حتى بلغت التبرعات داخل القطر اكثر من ثلاثين جنيها - ونحن نعلم ان هذه الجنيهات جمعت بالقرش من قراء « الفجر الجديد » فهي تمثل تأييد جماهير لا تأييد أفراد - وهي عنوان لنضال الطبقات الشعبية التي تثق بخطتنا السياسية . فقد أرسل اليها عشرون عاملا مثلا عشرون قرشا ٠٠ وأرسل البنا اصدقاء « الفجر الجديد » بدعيات خمسين قرشا ٠٠٠ ودفع الزملاء بالمنايا خمسين قرشا ٠٠ »

وامتدت الحملة الى الاقطار العربية « فأرسل لنا زميل بالعراق ستة شللات وساهمت أسرة مجلة « الغد » بفلسطين بخمسة جنيهات جمع

(١) الفجر الجديد ، ١٠-١١-١٩٤٦ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٧-١٨-١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ٦-٧-١٩٤٦ .

العمال وطلاب الحقوق بالكاظمية بالعراق ستة جنيهاً ونصف » (١) .
 .. ويبدو ان هذه الحملة السياسية سواء في جمع التبرعات او
 التوزيع قد حققت نجاحاً هاماً « الفجر الجديد » توجه تحية الى اصدقائهم
 تقول فيها « ها نحن نعود فننشر « الفجر الجديد في ٢٤ صفحة والفضل
 في ذلك لكم انتم ايها الزملاء فقد شجعتم « الفجر » واضطركم بنشاطكم في
 التوزيع وزارة التموين ان تزيد الكمية التي كانت تصرفها لنا - وقد برهنتم
 بنضالكم ومضاعفة جهودكم لنشر « الفجر الجديد » . ان شعبنا مجيد
 التقدير دافق الحيوية فما قد قفز توزيع « الفجر » عن طريق شركة التوزيع الى
 ستة أضعاف ما ابتدأ به ، وسيسير نضاله معكم قدماً وسيبلغ كل وطني
 مخلص والى غد سعيد قريب » (٢) .

لكن هذا الانتشار كان يواجه عقبات واضطرابات مستمرة .. فلقد
 اشرنا من قبل الى محاربة موزعي المجلة .. ونلاحظ ان « الفجر الجديد »
 تعود لتشكو مرة اخرى من الحملة الموجهة ضدها .. وثمة باب ثابت
 بعنوان « يحاربون « الفجر الجديد » بوسائل دينية » يرد فيه بعض مما
 واجهته المجلة من اضطهاد « علمنا ان موظفاً كبيراً في شركة مصر للغزل
 والنسيج بالمحلة الكبرى كلف من قبل الشركة بجمع كل ما يصل الى المحلة
 من نسخ « الفجر الجديد » وتشترى الشركة النسخة بخمسة قروش اي
 بما يعادل ٢٥٠ في المائة من ثمن النسخة الاساسي ثم علمنا ان الشركة
 تعد هذه النسخ . وواضح ان اولي الامر في الشركة يريدون الاتصال
 بتوجيهات « الفجر » الى العمال . ولكن هذا لن يحول ابداً بين العمال وبين
 المفكرين الديمقراطيين الاحرار فهم جميعاً طليعة شعبنا الباسل المناضل
 في سبيل حرياته » .

« .. علمنا ان بعض اصدقاء « الفجر الجديد » القائلين بتوزيعه قد
 اكتشفوا ان عناصر فاشية تسرق نسخ « الفجر الجديد » وتدمرها
 تماماً » (٣) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد .. فقد بدأت المطاردة الفعلية
 بالقبض على ثلاثة من محرري « الفجر الجديد » هم أحمد رشدي صالح -
 صادق سعد - نعمان عاشور .

لكن النيابة « افرجت عنهم بكفالة عشرة جنيهاً لكل منهم .. ولكن
 لم ينته التحقيق الى الآن » ..

وعقب الافراج توجه « الفجر الجديد » « تحية » .. « الفجر الجديد »
 يشكر الزملاء الذين كتبوا اليه «هنيئاً باطلاق سراح الاساتذة أحمد رشدي
 صالح وصادق سعد ونعمان عاشور ، ويكرر عهده لهم انه سيواصل نضاله
 التحرري بعزيمة لا تكل ويحيي الاقلام المخلصة التي هزتها موجة الارهاب

(١) الفجر الجديد ، ١٧-١٨-١٩٤٦ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٥-١٦-١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٥-١٦-١٩٤٦ .

فكتبت مدافعة عن الحرية ومؤيدة نظامنا الديمقراطي .. (١) «
وتحية أخرى الى أحمد رشدي صالح يوقعها «صديق» بعنوان « اخي
رشدي » لعلها توضح جو الارهاب الذي أحاط بالمناخ الثقافى فى ذلك
الحين فهى تقول « عندما التقى القبض عليك لم تساورنى الدهشة ولكنى تأملت
كل الالم . لم تساورنى الدهشة لانى أعلم - كما تعلم - ان ديمقراطيتنا لم
تزل بعد ناقصة عرجاء ولكنى تأملت حين تذكرت ان الملايين الذين أرقعوا
أرواحهم واسألوا دماءهم لم يستطيعوا رغم هذه التضحية ان يلقوا بذور
الحرية فى كل بلاد الارض .. وعندما طالعنا صحف الصباح بخلطها وجهلها
وبأبائتها واتهاماتها الهوجاء صدمت صدمات مذهلة .. وعندما لقيت
« بعض » من كانوا يسمون انفسهم اصدقاء انتابنى فزع شديد فقد علت
وجوههم ابتسامات دنيئة شوهاء » (٢) .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد .. فان محررى « الفجر الجديد »
يروون وقائع أخرى تحت عنوان « اذن فهذه هى الديمقراطية ؟ » « ... لم
يكتف البوليس السياسى . هذه الآلة الخاشعة الخارجة على كل عبادىء
الديمقراطية بتعقب بعض محررى « الفجر الجديد » شهورا كاملة ، ولم
يكتف بتقديمهم للمحاكمة وارسلهم الى السجن بل راح يطاردهم حتى فى
السجن نفسه وفى التحقيق ذاته ا بل ما كاد يفرج عن محسور « الفجر
الجديد » وزميليه حتى راح البوليس السياسى يضغط على المطبعة كي
ترفض طبع « الفجر الجديد » وأرسل من زعائفه نفرا يتلصصون ويسرقون
بروفات المقالات ، فهل هذه هى حرية النشر ياوزير الداخلية ؟ » (٣) .
وكانت « الفجر الجديد » قد أسست دارا للنشر باسم « دار القرن
العشرين للنشر » كانت تتخذ لنفسها عنوانا هو نفس مقر المجلة بشسارح
البنك الوطنى ونفس صندوق البريد ١٩٢٤ القاهرة ..

وقد أصدرت هذه الدار عددا من الكتب « الاستعمار البريطانى فى
مصر » تأليف الينور بيرنز ترجمة احمد رشدي صالح ، الفلسفة المادية
الجدلية تأليف دافيد جست ترجمة محمد اسماعيل ، حول الفلسفة الماركسية
(رد على العقاد) تأليف ابو سيف يوسف ، كرومر فى مصر تأليف أحمد
رشدي صالح ، مأساة التموين صادق سعد .. الخ » (٤) .

ولم تسلم « دار القرن العشرين » من هجمات البوليس هى الاخرى ..
وعندما وقعت حادثة اغتيال امين عثمان كانت فرصة متاحة امام البوليس
لمهاجمة منازل المديدين بحثا عن «قنابل» .

(١) الفجر الجديد ، ١١-١-١٩٤٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الفجر الجديد ، ١٥-١-١٩٤٦ .

وتنشر « الفجر الجديد » نص عديد من البرقيات ارسلت الى رئيس الوزراء ..

« هاجم البوليس منزلى بحجة البحث عن قنابل وانى واثق انه ليس لدى الحكومة ادنى شك فى براءتى من هذه التهمة واعتقد ان ذلك عن تدبير بسبب عملى فى منشأة وطنية ديمقراطية هى دار القرن العشرين للنشر . احتج على هذا الاسلوب الارهابى - ابراهيم دويك ، (١) . وبرقية اخرى :

« فتش البوليس منزلى امس بحجت البحث عن قنابل ورغم وثوقه من براءتى من تلك التهمة الجائرة التى يبرأ منها كل مواطن ديمقراطى .. احتج على هذا التدبير الارهابى من جانب البوليس السياسى وأطلب وقفه - نعمان عاشور » . وبرقية ثالثة ..

« الى وزير الداخلية .. فتش بوليس بولاق منزلى اليوم الساعة ٢ صباحا دون امر من النيابة احتج بشدة على هذا الاجراء الخارج عن القانون وأطالب بالتحقيق - صادق سعد » .

كذلك أرسل أحمد رشدى صالح برقية الى رئيس الوزراء والنائب العام « الساعة الثانية صباح الثلاثاء فتش البوليس منزلى بأمر نيابة جنوب القاهرة بدعوى البحث عن قنابل احتج على هذا الخلط المقصود الذى يراد به تشويه كفاحى الوطنى بإظهارى وزملائى الديمقراطيين بمظهر مرتكبى وسائل الارهاب من الفاشيين خدام الاستعمار » (٢) .

وقد اثارت هذه المطاردة المستمرة حملات استنكار انعكست على صفحات بعض الصحف اليومية والاسبوعية الصادرة فى مصر فى هذه الفترة .. وانعكست ايضا - وهذا امر له دلالة - على صفحات المجلات التقدمية العربية ، وتنشر « الفجر الجديد » مقتبسات من حملات التأييد نقلا عن جريدة «النضال» البيروتية و « الغد » الفلسطينية و « صوت الشعب » السورية .. و « الشعب » العراقية .. الخ (٣) .

لكن الاضطهاد لا يتوقف .. ويتواصل متصاعدا حتى تاتى المذبحة الجماعية التى نظمها الطاغية صدقى فى ١١ يوليو ١٩٤٧ لكل الصحفي والمجلات التقدمية والوطنية .

ويساق معظم محررى «الفجر الجديد» الى السجن ..

★ ★ ★

(١) الأرجح أن نسخة التوقيع هو رمون ابراهيم دويك فهو الوحيد الذى كان يعمل فى دار القرن العشرين بهذا الاسم .

(٢) الفجر الجديد ، ٧-١٩٤٦ .

(٣) الفجر الجديد ، ١١-١-١٩٤٦ ، و ٣٠-١-١٩٤٦ .

ولأن عدد محرري « الفجر الجديد » كان في بداية الامر محدودا جدا
فقد اضطروا الى ان يكتب الواحد منهم اكثر من مقال في العدد الواحد ،
واضطروهم ذلك الى التوقيع في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ..

وكان لابد من البحث عن اصحاب هذه الاسماء حتى يمكن للدارس ان
يعرف الكاتب الحقيقي لكل مقال ..

وبعد جهد .. امكن ان نحدد اصحاب هذه الاسماء المستعارة ..
نوردها هنا حتى يسهل علينا فيما بعد المضي في نسبة المقالات الى كتابها وحتى
يسهل على الدارسين متابعة أية دراسة مستقبلية لاعداد « الفجر الجديد » ..

أحمد رشدي صالح .

جهاد
أحمد سعيد

صادق سعد .

نهاد
حسن زاهر

علي الراعي .

علي الكاتب
رأفت ..

أبو سيف يوسف

رأفت يوسف
أ . يوسف

ريمون دويك

ابراهيم الكاشف
محمد أمين

يوسف درويش
اسماعيل محمد

حسن زكي
اسماعيل يحيى

وكان يحرق من الاسكندرية ثلاثة هم لطفى عزوز ومحمد مسـبـحـي
وشخص اسمه شعلان وكثيرا ما كان كل منهم يوقع باسم «اسكندراني» او
« من الاسكندرية » ..

وبالتدريج تكتسب « الفجر الجديد » كتابا جديدا بحيث لم تعد
بحاجة الى الاكثار من استخدام هذه الاسماء المستعارة الا لاسباب سياسية
.. ولقد كتبت « الفجر الجديد » بعد صدور أعداد قليلة منها اقلاما تقسيمية
وديمقراطية عديدة منها نور الشريف ، أنور شتا ، سعد مكاوي ، نعمان
عاشور ، عبد القادر التلمساني ، لطفى عزوز ، محمد اسماعيل محمد ، أنور
المشري ، عبد القادر القط .. الخ .
كما انها فتحت صفحاتها امام كتاب من مختلف المجموعات الماركسية ..

فلاحظ ان كتابا كثيرين من ايسكرا ومن الحركة المصرية للتحرر الوطنى قد شاركوا فى تحريرها أمنال محمد خليل قاسم ، كمال عبد الحليم ، انور عبد الملك ، لطيفة الزيات ، محمد الجندى ، محمود توفيق ، زكى هاشم سعيد خيال ، ابراهيم سعد الدين .. الخ .

كذلك فقد فتحت « الفجر الجديد » صفحاتها للعديد من الشعراء والكتاب التقدميين العرب عبد المعين الملوحي ، رثيف خسورى ، مختص عمرو ، عدنان البنى ، وصفى البنى .. الخ .

★ ★ ★

واستعراض كل ما قدمته « الفجر الجديد » مسألة صعبة بقدر ما هي بعيدة عن هدفنا ، فلقد تواجدت طوال ١٤ شهرا صدر خلالها انسان وأربعون عددا لكننا سنحاول قدر طاقتنا ان نقدم نماذج اساسية للفكر والمواقف التى نسجت منها « الفجر الجديد » مقالاتها باعتبارها الاساس الفكرى الذى نهج عليه محرروها فيما بعد عند تأسيسهم للتنظيم الشيوعى « طليعة العمال » .
والخيوط عديدة .. فلنحاول الامساك بأكثرها اهمية ..

★ ★ ★

ولنبدا بالفن الذى كان سلاحا هاما فى نشر الوعى الثورى ، والذى بدأ يلعب دورا هاما فى تشكيل الوجدان المصرى باتجاهات متقدمة منذ تأسيس جماعة الفن والحرية وصدر نشرتها المطبوعة بالرونيو « الفن والحرية » عام ١٩٣٩ ، ثم صدور مجلتها العلنية « التطور » .
لكن « الفجر الجديد » تأتى فى مرحلة النضج .. نضج الوعى والفن معا . فلاحظ ان الاتجاهات السيريالية تختفى وتحل محلها محاولات جادة وذكية لفهم الاتجاهات والادوات الادبية والفنية على اساس المنهج الماركسى ..

والشعر الذى كان يبدو على صفحات « التطور » بدائيا فى مضمونه وشكله يشمر على صفحات « الفجر الجديد » قصائد رائعة كانت الهكاما لجيوش الشباب المتدفق حماسا فى ذلك الحين ..
والنماذج عديدة لا يمكن حصرها ، وهكذا نضطر اضطرارا الى الاجتزاء ..
فمنذ العدد الاول يلوح عبد الرحمن الشرقاوى ، بقصيدة عنوانها « الفجر الجديد » .

« يا رفاق المجد قد عشنا الى الان حيارى
فهللوا .. وضع النهج .. الى المجد .. البدارا

انها الحرية الكبرى .. جعلناها المنارا
.....

والتموا في رحلة المجد أقانيم العذارى
ودعوهن يغنين النشيد السلام
يا عذارى .. هذه جلوة مجد وغرام
فتعالين لكي نرقص للمهد السعيد
بذكر الموتى .. ونشدو شدة الفجر الجديد » (١) .

والشعراء العرب يجنون هم أيضا مجالا على صفحات « الفجر الجديد »
فبعد المصين الملوحي ينشر قصيدته الشهيرة « ثورة الشام » :

« سكر العالم بالنصر وغنى وسكرنا
وسعى للفجر يطوى الليل طيا وسعينا
.....

نحن في معركة الحرية الكبرى اشتركنا
فهزمتنا وهزمتنا وقتلنا وقتلنا
وعلى الظلم ، على النازية الحمقى انتصرنا
.....

أفتحتم ان نخاف السجن ان نورا رأينا
أفتحتم ان نخاف القيد ان حقا نطقنا
أفتحتم ان نخاف السم ان ماء شربنا
أفتحتم ان نخاف السل ان ريحا نشقنا
.....

قد شربنا الماء سما وشممتنا الورد نتنا
ونشقنا الريح سلا وسمعنا السوط لحنا
ورأينا النور سبجنا فكفانا ما حملنا » (٢)

ثم يقتحم الميدان رائدا الشعر الثوري الحديث ... محمد خليل
قاسم وكمال عبد الحلیم ، وفي قصصيدة « الريف » دموع فلاح ، يقول
محمد خليل قاسم :

« أواه قد حملوا حصيدى للقصور العالية
ومضيت أرقبهم وروحي كالذبيحة دامية

(١) الفجر الجديد ، ١٦-١٥-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٦-١٥-١٩٤٥ .

وذرفت دمعى كلالصم وقد عقلت لسانيه
وقفزت أمنيهم فعاقوني بريح عاتيه
بالوعد ، بالقانون طورا بالامانى الواهيه
بالمنطق المافون ، كلا بالدموع العائيه
بالعلم بالاكبال تهوى بالعقول الواعيه
وهبتهم قوتى وسرت الى ظلام الهاويه « (١)

اما كمال عبد الحليم فينشر قصيدته الشهيرة « صراع ودموع » :

كل يوم يمر ليس من العسر	اذا لم تفضسه في كفساح
وحرام عليك ان تبصر الشعب	دماء تجمدت في جراح
وحرام عليك ان تبصر القوم	عرايسا في عاصفات الرياح
يتشاكون بالدموع فتبكي	لبكاههم وتكتفى بالنواح
.....	
أطلق الثورة التي تسكن الصدر	وجفف دموعك الماضيات
انما نخسر القيود وما القيود	جميلا على آف الأبيات
لن ينال الحقوق الا أباء	يتحدون معجزات الثقاة
هي حرب الحياة اما حياة	او مات يكن معنى الحياة (٢)

وقصيدة اخرى لكمال عبد الحليم بعنوان « هذه الثورة » :

« كتل تحمل رايات الدماء الغائيه
لم تعد ترهب أنغام الرصاص الداويه
لم تجد في كفها الا سلاح التضحية
فمضت تستطع صرعى فوق ارض داميه
غير ان الراية الحمراء تبدو عالية » (٣)

ومحمود توفيق يكتب قصيدة عنوانها « غدا » :

« نضج الجرح وعاف العبد سوط السيد
في غد نحيا فيا شوقي الى ذاك الغد » (٤)

-
- (١) الدجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٥ .
(٢) الدجر الجديد ، ١٩-١-١٩٤٦ .
(٣) الدجر الجديد ، ٢٧-٢-١٩٤٦ .
(٤) الدجر الجديد ، ١٣-٣-١٩٤٦ .

ولم تكتف « الفجر الجديد » بأن تصبح منبرا للمدرسة التورية الجديدة للشعر في مصر والبلدان العربية الأخرى ، لكنها حرصت على أن تقدم لقراءها نماذج من الشعر الثوري الأجنبي .

ففي دراسة ممتعة يقدمها « على الكاتب » (على الراعي) عن الشاعر الزنجي الأمريكي « لانجستون هيوز » يودر أمثلة رائعة من شعره منها قصيدة يتوجه فيها إلى « لينين » قائلا :

« ايها الرفيق .. لينين روسيا
في علا قبرك الرخامي
اعطني يا رفيق لينين
مكانا إلى جوارك
انا ايفان الفلاح
لقد حاربته معك يا رفيق لينين
وها قد انتهت أعمالي

....

افسح لي يا رفيق لينين
واترك لي مكانا بجوارك
انا شانج من معامل الصهر
أضربت في سوارع شنفهاى
ولأجل الثورة
أحارب ، وأجوع وأموت » (١)

ودراسة أخرى « لعل الكاتب » أيضا عن شاعر افريقيا « بانكل اوونور - رينز » يقدم فيها نماذج عديدة من أشعاره منها « الصديق الوحيد » :

« روسيا موطن العمال والاحرار
انى أنحنى أمامك أشد الانحناء
فانك تبشرين بقرب طلوع النهار
يوم تصبح الحرية ملكا لي
انى أنحنى أمامك - لا كعبد
فكلانا يمقت هذا ويزدرية
انما انا جزء من الجنس البشرى

(١) الفجر الجديد ، المجلد ١٩٤٥ .

الذى انقسمت ان تذهبى بأحزانه « (١)
ودراسة ثالثة . . لنفس الكاتب عن « شاعر الثورة الاشتراكية
فلاديمير ماياكوفسكى » ويحرص على ان يقدم من بين نماذج عديدة
لماياكوفسكى قصيدة بعنوان « اخوانى الكتاب » :

« ماذا عندكم اليوم تكتبون عنه ؟
ان وكيل اى محام يجد الحياة
اشوق ألف مرة مما تجدون
ايها السادة الشعراء
ألم تملوا الاوراق
والقصور
والحب
وازهار الليلاك ؟
ان كان مثلكم الخالقون
فانى أبصق على كل فن » (٢)

ولعله هو نفس الدرس . . الذى حاولت « الفجر الجديد » ان تلقنه
للكتاب والادباء المصريين فى هذه الفترة . . ان يلتفتوا الى مشكلات شعبهم
ويتركوا الحديث عن القصور وازهار الليلاك . . ولقد كانت هذه واحدة من
اهم الواجبات التى شعرت « الفجر الجديد » انه يتعين عليها القيام بها . .

فافتتاحت العدد الاول عنوانها « مهمة الكاتب » فى مقسّماتها برواز
صغير يحاول « أحمد رشدى صالح » ان يقدم به « الفجر الجديد » فيقول
« كما تقولد أشباح الفجر ، مهمومة حيية باهتة . . كذلك « الفجر الجديد »
الجديد ، أقلام طريفة الوجود وان كانت فتية الحياة يشرعها اصحابها وقبـد
جد بهم السعى ولا يزال يجد الى الافق الموعود . . ثم يأتى المقال « مهمة الكاتب
فى ان يجعل من قلعه ذروة الألام العامة والرجاء العام واللفتة الموجهة للنضال
المشرد فى دروب الحياة . ونفثة المناضل المخلص لتتحرر الحياة . . ان يجعله
تعبيرا عن ذاته غير المنفصلة عن ذات المجتمع . عن كفاحه غير المنعزل عمن
كفاح المجتمع عن الانسان فيه ، غير المقطوع عن الانسان اينما كان وكيفمسا
استوى فى الحياة » (٣) .

وفى نفس العدد الاول ينشر ا . ي . ابو سسييف مقسالا عن

-
- (١) الفجر الجديد ، ١-١١-١٩٤٥ .
(٢) الفجر الجديد ، العدد ١٣ (بدون تاريخ) .
(٣) الفجر الجديد ، ١٦-١٥-١٩٤٥ .

« الفن والطبيعة والمجتمع » لا يقول فيه « لا ينبغي ان نعارض المثال بالحقيقة لان المثال هو التعبير الاسمي عن الحقيقة » .
واذا جئنا الى العدد الثاني فائنا نجد « احمد رشدي صالح » يلح مسن جديد على دور الكاتب والفنان « اننا نحمل مشعلا قد يكون خافت الضوء ، ولكنه قبل بزوغ شمس الغد سيصبح سراجا وهاجا . . . غدا ، عندما تغيق الحضارة من الجشع والانانية وعندما تكف عن الدمار ، سيكون لنا فن جديد ، فن مجيد » .

وهو يؤكد ان « غاية » الفجر الجديد « ان يتيح للمفكرين والكاتب الاحرار في مصر منبرا جديدا يواصلون من فوقه جهادهم ليصلوا بتقافتنا الى مستواها الاعلى . وليصلوا بينها وبين نضال الشعب المصري المجيد في سبيل حريته وطمانينته الداخلية والخارجية وليصلوا بين ثقافتنا وثقافات الشعوب الاخرى . . . وهم بهذا يوجهون ثقافتنا الحاضرة الى طريق عالمي ، لم يستطع متزعمو الفكر قبلهم ان ييسروه » (١)

ومقال آخر في نفس العدد « بين الفن الصحيح والفن الزائف » لعل الراعي وفيه يؤكد ان الفن « لا يمكن ان يعيش في الابراج العاجية او في غيرها من حصون تقام ضد الحياة . . . وهو ايضا لا يمكن ان يكون متاعا او ميزة لفريق من الناس دون فريق بل هو متاع الانسانية كلها ، ومتاع كل فرد من أبنائها . . . والفصل بينه وبين الحياة او تمكين بعض الناس منه دون بعض عملية لا انسانية منافية للحياة . . . وهي بعد هذا لا يمكن ان تدوم » (٢) .
وفي نفس العدد مقال ثالث بقلم جهاد (احمد رشدي صالح) عن حافظ ابراهيم « حافظ ابراهيم في شعره السياسي » .

وهكذا تمضي « الفجر الجديد » لتركز في اعدادها الاولى على الدراسات الفنية وعلى تحديد مهام الاديب ودوره من وجهة نظر شعبية وتقدمية ، لكنها لا تليث ان تزداد جرأة لتقدم دراسات ماركسية عن الفن . . . بدأها « على الكاتب » (على الراعي) بمقال بالغ الاهمية بعنوان « الجدلية والفن الحديث » استعرض فيه مواقف عديد من المفكرين الماركسيين وخاصة ماركس وانجلز من عملية الابداع الفني وينقل عن ماركس عبارته الشهيرة « ان الوعي لا يشكل الحياة ، ولكن الحياة تشكل الوعي » . وعلى هذا اذا اردنا ان نفهم الوعي او اي مظهر من مظاهره كالفن مثلا ، فقد وجب ان نبدأ بالافراد الاحياء الحقيقيين انفسهم ، كما يضطربون في الحياة « ونعتبر » الوعي وعيهم هم فقط » .

(١) المقال موقع ا.ي. أبو سيف ، وقد اشار أبو سيف يوسف في مناقشة معه في مناقشة معه انه صاحب المقال وانه مترجم وان كان قد مات على (الفجر الجديد) ان يشير الى ذلك عند نشرها للمقال .

(٢) الفجر الجديد ، اكتوبر ١٩٤٥ .

ثم تمضى الدراسة لتقدم رأى لئين فى تحديد معايير يمكن استخدامها لتقييم الفن ، تطبق الماركسية مقياسا ذا وجهين عندما تقيم الفن ، فهي اولا تقيم العمل الفنى بالمقياس النسبى الذى يتأثر بالحقة التى تم فيها العمل وبالطبة التى يعبر عنها ، وتطبق ايضا مقياسا مطلقا على هذا العمل لترى ان كانت قيمته النسبية تحوى لبا من الحقيقة الموضوعية ام لا . . .

ثم يختم « على الكاتب » مقاله بعبارة وجهها لئين الى « كلارا فريتكين » يقول فيها « لا يهم مطلقا ما يعنيه الفن لنا نحن ، ولا ما يعنيه لبضع مئات او حتى آلاف من الناس فى أمة كأمتنا تعد بالملايين . الفن ينتمى الى الشعب ، وجدوره يجب ان تمتد الى قلب الجموع نفسها ، فهذه الجموع يجب ان تفهم الفن وان تحبه ، وعلى الفن ان يوحد بين عواطفها وافكارها وارادتها ، وان يرتفع بها الى مستوى اعل . . . وعليه ايضا ان يوظف الفنانين بين هاته الجموع وأن يرعاهم ويقوم على تقدمهم » (١) .

وهكذا كانت « الفجر الجديد » مدرسة رائدة للفن النوزى الذى لا يجابه فقط جمود وتعالى وانعزالية فنان الاقطاع والرأسمالية وانما يجابه ايضا ... وهذا هو الاساس ... جموح عناصر « الفن والحرية » التى استخدمت رفضها لاساليب ومناهج الفن الرجعى سبيلا للسيرىالية والفوضوية التى كانت تستمد جدورها ومشروعيتها من الاتجاهات التروتسكية التى كانت سائدة فى صفوفها . . .

ولا تكتفى « الفجر الجديد » بتقديم نماذج من الفن التقدمى المحلى والعالمى ولا بتقديم الدراسات النظرية الماركسية حول الفن وانما هى تحاول ايضا ان تستخدم المنهج الماركسى فى دراسة تاريخ الفن فى مصر . . . فنعمان عاشور يكتب دراسة ممتعة عن « القوى المتهارة والقوى النامية فى الادب المصرى » (٢) ثم يكتب دراسة مفصلة عن « معالم القصة فى الادب العربى » تنشر فى عدد من متتالين يتناول فيهما بالدراسة قصص توفيق الحكيم والعقاد وتطور كل منهما والفكر الذى يمثله والطبة التى ينتمى اليها . . . (٣)

وثمة دراسة هامة اخرى « عن الشعر العربى فى مصر » اعداها حسن زاهر (على الراعى) وهى دراسة ممتازة امتدت عبر اعداد ثلاثة تنساولت بالدراسة تطور الشعر المصرى وأثر ثورة ١٩١٩ كثورة وطنية برجوازية على تطور الشعر واتجاهاته ، وتتناول بالتحليل النزعات الرومانتيكية فى الشعر وعلاقاتها بالتطور السياسى فى مصر . . . وهو يلج فى دراسته هذه على ربط تطور اساليب التعبير الفنى بتطور الاساس الاقتصادى للمجتمع فهذا الاساس

(١) الفجر الجديد ١ - ٧ - ١٩٤٥

(٢) الفجر الجديد ١٦ - ٨ - ١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ٦ - ٢ - ١٣ - ٢ - ١٩٤٦ .

« ينتج مظاهر اجتماعية معينة ، الادب واحد منها » (١) .

... « عندما قررنا الاستقلال عن المجموعة الاجنبية ، وسعيها للارتباط بالواقع المصرى تمهيدا لتأسيس تنظيم شيوعى كان ههنا الاول هو دراسة الواقع المصرى وتفهمه كمحاولة اولية لتحديد الخط السياسى لهذا التنظيم .. وكان على « الفجر الجديد » ان تقوم بهذه المهمة » .

هكذا قال لى صادق سعد ، وهو يحكى ذكرياته عن هذه الفترة ..
والحقيقة ان « الفجر الجديد » قد بذلت جهدا ناجحا فى هذا الصدد فقد وجهت كتابها وفتحت صفحاتها امام دراسات جادة وهامة فى مختلف المجالات كانت تتلمس ان تقول كلمة الماركسية فى مختلف المشاكل التى تواجهها مصر ..

واذا القينا نظرة على العدد الاول فاننا نجد عدة مقالات تحاول كل منها ان توضح يدما على مشكلة هامة ..

« مصر والسياسة الصناعية » وفيه ينادى سعد مكاوى بضرورة تدخل الدولة فى رسم سياسة التصنيع .. ولما كانت المسألة غير قاصرة على الصناعيين انفسهم او العمال وحدهم ، بل المسألة تمس الشعب كله من قريب اذ هى تتعلق بحياته ورفاهيته .. كل هذا يوجب على الدولة ان تنحى فكرة الاقتصاد الحر جانبا ، وتتولى هى رسم سياسة انتاجية اجتماعية معينة تفرضها على الافراد . هذا مع بقاء الملكية الفردية لوسائل الانتاج محترمة مرعية .. ثم يمضى مؤكدا « النتيجة التى نصل اليها اذن هى واجب الدولة الحتمى فى ان ترسم سياسة صناعية عامة على اساس مقدرتنا الانتاجية ، وغرضها مصلحة الشعب ومصلحة الشعب فقط .. ثم ان عليها واجبا آخر اكثر من الاول اهمية الا وهو فرض هذه السياسة على الجميع وتنفيذها بلا هوادة مهما كانت الاعتراضات » .

وفى نفس العدد دراسة اقتصادية بعنوان « فى التمويل » وهى بغير توقيع .

ونعتقد ان كاتبها هو صادق سعد الذى كتب بعد فترة وجيزة كتيباهن « مأساة التمويل » يتضمن نفس الافكار الواردة بالمقال ... ويبدأ المقال « عندى ان اسباب مشكلة التمويل تتلخص فى أربعة عناصر هى المضاربة بالاسعار .. والاحتكار .. وتأخر اقتصادنا الزراعى والصناعى .. وبيرقراطية الادارة الحكومية اى الفصل هذه الادارة عن الجماهير الشعبية » .

وختام المقال « ومما لا شك فيه ان الحلول الحاسمة الناجمة لمشكلة التمويل لن تأتى من القرارات « الفنية » لتلك اللجان « الفنية » بل ستتأتى

(١) الفجر الجديد ، ١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-١٩٤٦ .

بتوسيع الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في بلادنا سنتأتي باستيلاء الدولة على انتاج كبار المنتجين استيلاء كاملا وبتخفيف هذا الاستيلاء على متوسطي المنتجين ثم باعفاء صغارهم من الاستيلاء اعفاء كاملا حتى نحصل هؤلاء من الشركات الاحتكارية وسنتأتي بحلول المشكلة من اشتراك الجماهير الشعبية المستهلكة في لجان مراقبة التمسوين ، وبتوسيع الديمقراطية السياسية ، وبالعفاء الاحكام العرفية والرقابة خصوصا ، حتى يتسنى لتلك الجماهير الشعبية المستهلكة ان تعبر عن مطالبها تعبيرا واضحا صريحا » (١) .

• وتناقش « الفجر الجديد » ايضا قضايا التعليم وديمقراطيته باستفاضة . وبتوقيع « مدرس » تنشر مقالا عن التعليم الالزامي تناقش فيه اسباب فشل هذا النمط من التعليم وتقول « ان كل محاولة ترمي الى نجاح هذا التعليم في مصر يجب ان تكون مقرونة باصلاح شامل يتضمن النواحي المتعددة للمجتمع المصري واهمها رفع المستوى الاقتصادي ورفح مستوى المعيشة بين جماهير الشعب المختلفة اى اتخاذ الاساليب الصناعية في الزراعة والاتجاه نحو الصناعة ، وتعديل الملكية الزراعية بحيث يعمل هذا التعديل على زيادة ملكية صغار الفلاحين وبث الروح التعاونية بينهم . . . ان الاصلاح الذي يتفق مع الديمقراطية والتطور الصناعي يتطلب تحويل التعليم الاول في المدن الى تعليم ابتدائي مجاني مع تقديم المساعدات اللازمة للفقراء من التلاميذ » (٢) .

وفي العدد التالي مقال آخر بعنوان « مجانية التعليم الابتدائي حقيق اكتسبه الشعب المصري » هو في الاساس تلخيص لمقال نشره د . طه حسين في جريدة « البلاغ » مدافعا عن مجانية التعليم وديمقراطيته (٣) .

وتواصل « الفجر الجديد » حملتها « التعليم والديمقراطية في مصر » بقلم امين ت كلا . . . وهو مقال ممتاز يربط بين الديمقراطية والحقوق الاجتماعية مبينا انه لا ديمقراطية بغير الحد من الفوارق الطبقية . . . وما سبق نرى ان الديمقراطية في دورها الحالي تتجه نحو الحد من الفوارق الطبقية بحيث يكون التعليم في مدرسة واحدة لابناء الشعب جميعا . . . ان وجود نوعين من المدارس : مدارس لابناء عامة الشعب ومدارس خاصة لغيرهم من ابناء المثقفين والطبقات الوسطى والغنية امر يتنافى مع الديمقراطية ورجعة الى الوراء لا تقرأها تطورات العصر ولا تستند الى اساس قومي » .

ويطالب المقال في نهايته بتحويل التعليم الالزامي في الريف الى تعليم

(١) المرجع السابق .

(٢) الفجر الجديد ، (١٩٥٥) ١٩٥٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٦ .

ابتدائي مجاني حتى يفتح أمام طلابه قنوات التعليم الأخرى ويطالب كذلك بمجانية التعليم الثانوي (١) .
ولم يكن هذه سوى محاولة لتقديم نموذج متكامل لاسلوب معالجسة « الفجر الجديد » للقضايا الاجتماعية . ولما حاول ان يقدم نموذجا آخر . . وهو موقف « الفجر الجديد » من قضايا الريف المصري . . .
فقد حاولت « الفجر الجديد » ان تتابع النزعات الإصلاحية التي تكاثرت في ذلك الحين وان تقول فيها رأيا متميزا . .

ونعليفا على مشروع خطاب بك المقدم لمجلس الشيوخ يكتب احمد سعيد (صادق سعد) « ملاحظات على تحديد الملكية » وصادق سعد يشارح باعلان ان « البرجوازية » « ترى في التفاوت في الملكية ضررا مزدوجا لمصالحها المباشرة لان تركيز الارض الزراعية تركزا احتكاريًا يسبب غلاءها وارتفاع الایجار ومن ثم يسبب غلاء المنتجات الزراعية ، ونتيجة هذا الغلاء ان الراسماليين يضطرون ان يدفعوا أجورا أعلى لعمالهم . . . ومن جهة أخرى فتفاوت توزيع الملكية يسبب فقر الفلاحين ، اى عجز غالبية الأمة عن استهلاك البضائع المصنوعة » .
والمشروع اذن « برجوازي » في أساسه ، وهو ايضا « غير جدى » لكنه « رغم عدم جديته يمثل خطوة الى الامام » ، لانه يبرهن للطبقات الشعبية المصرية ان الوضع الاحتكاري الحالي ليس وضعًا منزلا من السماء . . . بل على النقيض من ذلك فان في استطاعة ممثل الشعب ان يحددوا من حقوق الملكية المقدسة تحديدا يتفق واحتياجات الشعب نفسه » (٢) .

وعندما يقدم مربي غالى مشروعا آخر في كتيب بعنوان « الإصلاح الزراعي » يتصدى « أحمد سعيد » ايضا للرد عليه . . واصفا الكتيب بأنه « يعبر تعبيراً صافياً عن بعض المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى بيننا ازاء المآزق الظاهر الذى وصلنا اليه فى شئوننا العامة » ، وينتقد صادق سعد الكتيب انتقادا مرا بوضوح المآزق الذى وضع الكاتب نفسه فيه عندما تجاهل الجوهر الطبقي للمشكلة وذلك لانه « نظر الى الحالة الحاضرة لتوزيع الارض على انها توزيع سيء للملكية وليس احتكارا لوسيلة من وسائل الانتاج » ولانه صمم على « عدم التحيز لمذهب اجتماعى بذاته » . . وهكذا « جاء الكتيب هزيلا نحيفا ينقصه حب الشعب العميق وقد دفعه عدم التحيز لمذهب اجتماعى بذاته الى عدم التحيز للديمقراطية نفسها فقد يبحث القارئ عن هذه الكلمة طوال الصلحات الملة للكتاب ، ولكن عبثا ودون جدوى » (٣) .
وحول مشكلة فلاحية اخرى هي مشكلة العمد تكتب « الفجر الجديد »

(١) الفجر الجديد : ١٦-١٧-١٩٤٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الفجر الجديد : ١٦-١٧-١٩٤٥ .

« نظام العمدة لا يساير نهضتنا الوطنية ويسوق تقدمنا الديمقراطي » وهي دراسة جيدة كتبها أحمد رشدي صالح وقد أوضح فيها أن « الأساس التي يقوم عليها نظام العمدة غير ديمقراطية فالأساس الأول فيه أنه نظام طبقي ... الأساس الثاني هو أساس استبداد الأقلية ، والثالث أنه نظام شبه اقطاعي ... » ثم يقدم الكاتب مشروعاً متكاملًا يطالب فيه « ١ - العمد على إلغاء الأساس الطبقي الحالي بإلغاء شرط الاحتياز - ٢ - العمل على إلغاء استبداد الأقلية في القرية بالأكثرية - ٣ - انتخاب العمدة انتخاباً مباشراً - ٤ - أن يقام إلى جانب العمدة مجلس قرية منتخب » (١) .

وثمة دراسات جادة للمشكلات الأساسية في الاقتصاد المصري منها دراسة عن « البنوك في مصر » وفي هذه الدراسة يلاحظ « أحمد سعيد » (صادق سعد) الطابع الاحتكاري للنظام البنكي في مصر ، ويلاحظ أيضاً بالإضافة إلى الصفة الاحتكارية صفة أخرى أسمها « الاتحاد الشخصي » ، وأعني بالاتحاد الشخصي وجود شخصيات قليلة تدير مؤسسات صناعية وتجارية ومالية مختلفة في أن واحد فتفرض عليها جميعاً خطة واحدة واتجاهاً واحداً . فهناك مثلاً حافظ عفيفي باشا وهو عضو مجلس إدارة ٢٣ شركة منها بنك مصر ، وهناك أيضاً عبد المقصود أحمد بك وهو عضو مجلس إدارة ٢٧ شركة منها شركات بنك مصر والبنك الأهلي . وهكذا يرتبط بنك مصر بالبنك الأهلي ارتباطاً يمكننا أن نسميه شخصياً لأنه ينشط خلال الشخصيات الكبرى المتقاربة » .

وبعد هذه اللوحة الدكية ، لا يفوت الكاتب أن يذكر في ختام مقاله بأن هذا التركيز القوي « يوسع أمام الدولة فرصة فرض إشرافها - إشراف الشعب المصري - على تلك المجموعة الصغيرة من الاحتكارات المالية » (٢) .

وثمة دراسات أخرى عن الواقع المصري ذات أهمية لا بأس بها مثل « الآلات البشرية والصناعة المصرية » بقلم « أ . ش - الاسكندرية » و « التشريعات العمالية في مصر » بقلم حسن زكي (يوسف درويش) ، « مشكلة التغذية في مصر » « لطفى عزوز » ، « النهضة الصناعية والضرائب الثقيلة » أحمد رشدي صالح ، « ملاحظات عابرة على التقرير السنوي لاتحاد الصناعات » م . ص وهو في الغالب محمد صبحي من الاسكندرية وكلها دراسات هامة توحى بجديّة الجماعة في دراسة الواقع المصري ، وإن كان يتعين علينا أن نتوقف عند بعضها للإشارة إلى ملاحظات سريعة ...

فصادق سعد يكتب مقالاً بعنوان « يجب أن نقبل الرأس مال الاجنبي بشروط » (٣) .

ثم يعود فيصحح نفسه في عدد تال قائلاً أنه « قد اتضح من المناقشة

(١) الفجر الجديد ٢١-١-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ١٦-١-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ٤-١-١٩٤٥ .

التي جرت مع بعض الزملاء ان العنوان لم يكن يحمل المعنى المقصود ، وقصد
 انفق على ان العنوان الذى يؤدى الفكرة المقصودة هو : يجب ان نغرض شروطنا
 على الرأسمال الاجنبى « (١) » .
 ويتعين علينا ان نشير كذلك الى ان صادق سعد قد قدم لقراء « الفجر
 الجديد » دراسة ممتازة بعنوان « تطور مصر الرأسمالى ١٩١٩ - ١٩٤٥ » (٢)
 لعلنا لا نغالى اذا قلنا انها تمثل وصول الماركسيين المصريين الى مرحلة متقدمة
 فى فهم التطور الاقتصادى والاجتماعى لبلادهم * * *
 وثمة مقال آخر بالغ الاهمية نشرته « الفجر الجديد » بدون توقيع
 وعنوانه « يجب ان نصلح الجيش على اساس وطنى ديمقراطى » وفيه يتقدم
 الكاتب ببرنامج من ست نقاط :
 ١ - جعل الخدمة العسكرية اجبارية .
 ٢ - تخفيض مدة الخدمة .
 ٣ - رفع مستوى المعيشة للجنود وضباط الصف .
 ٤ - تسهيل الترقية من الجندية الى رتب الضباط مع تحسين احوال
 صفار الضباط .
 ٥ - الغاء البعثة العسكرية البريطانية ، واذا اقتضت الضرورة فيجب
 الاستعانة ببعثة عسكرية تنتمى الى منظمة الامم المتحدة .
 ٦ - تطهير هيئة اركان الحرب وكبار الضباط من العناصر
 الفاشية » (٣) .
 * * * ومع تصاعد المد الثورى ، تتحول الدراسات الاكاديمية الى حملات
 اثارة ، وبدلا من العناوين الهادئة نجد عناوين مثل « شعب يموت وحكومة
 عاجزة » (٤) .
 « ماذا تصنع بنا السينما ... بصنع الاغنياء الافلام ليراهم الفقراء » (٥) .
 « افتح الراديو تجد الراسماليين » (٦) * * « الاستعمار الذى يقول :
 هنا القاهرة ، الاستعمار البريطانى + الرجعية = الشعب المصرى = محملة
 الاذاعة » (٧) .

وحول الديمقراطية السياسية وحرية الفكر وحرية الصحافة وضرورة

-
- (١) الفجر الجديد ، ١-١٢-١٩٤٥ .
 (٢) الفجر الجديد ، العدد ١٣ - بدون تاريخ .
 (٣) الفجر الجديد ، ٣٠-١-١٩٤٦ .
 (٤) الفجر الجديد ، ١٣-٢-١٩٤٦ .
 (٥) المرجع السابق .
 (٦) الفجر الجديد ، ٢٧-٢-١٩٤٦ .
 (٧) الفجر الجديد ، ١٢-٣-١٩٤٦ .

الغاء الاحكام العرفية .. كتبت « الفجر الجديد » عديدا من المقالات .. كذلك سلطت كثيرا من الضوء على نشاطات الاحزاب السياسية الاخرى .. وقد شددت الهجوم على جماعة مصر الفتاة والاخوان المسلمين بالذات .. ولستنا نعتقد ان في ذلك شيئا ملفتا للنظر فهو مسألة طبيعية ، لكن الامر الذي اهتممت بالتدقيق فيه هو موقف جماعة « الفجر الجديد » من حزب الوفد . ذلك ان كثيرا من الكلام قد قيل حول علاقة ما .. بين هذه الجماعة وبعض سياسة الوفد او بعض اجنحته ، وقيل ان هدف هذه الجماعة قد تركز في وقت ما ، ليس من اجل تأسيس تنظيم شيوعي وانما من اجل خلق تيار يساري في صفوف حزب الوفد ..

غير ان الاقاويل ليست غداء صالحا لكتب التاريخ ، ولهذا كان من الضروري البحث عن الحقيقة من خلال مقالات ودراسات قادة هذه المجموعة .. ونعتقد انه من المفيد لقاء حزمة مكثفة من الضوء حول هذه المسألة ذلك انها تمس صميم التكوين الفكري والنضالي لجماعة « الفجر الجديد » وهي تمثل حقيقة اساسية وضرورية لكل باحث في تاريخ التنظيمات الشيوعية المصرية ..

ماذا قالت الفجر الجديد عن الوفد ؟ وماذا كان موقفها الحقيقي منه ؟ لنحاول البحث عن اجابة متكاملة لهذا السؤال ..
ثمة مقال بالغ الاهمية كاتبه هو « محمد امين » (ريمسون دويك)

والعنوان « الديمقراطية المصرية بين انتصارها واعدائها » .. ويتطرق الكاتب كثيرا لحزب الوفد والدور الذي لعبه في الحياة السياسية في مصر .. كان الوفد منذ نشأته القائد للكفاح الوطني الديمقراطي . فالوفد هو الذي تزعم ... تحت قيادة سعد زغلول ... النهضة الوطنية الديمقراطية عام ١٩١٩ وهو الذي انطلق بعد ذلك يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية في الستة والعشرين سنة الاخيرة . وقد استهدف الوفد طوال هذا المدة لحملات الاستعمار الاجنبي تارة ، ولحملات اعداء الديمقراطية من الاجانب والمصريين تارة اخرى ..

ثم هناك « جماعات وهيئات رجعية كان عمادها الشباب المضلل الغرير تحت لقيادة العناصر الفاشية السافرة وغير السافرة ... ولم يكن هم هذه الجماعات والهيئات غير محاربة الوفد لحساب خصومه من الاجانب والرجعيين » ..

ثم يبدأ الكاتب في تمجيد مواقف الوفد الوطنية والديمقراطية .. « ويبدو عمل الوفد في الكفاح الوطني الديمقراطي ممثلا في جالبيين . اولهما الحرص على الدستور والنظام البرلماني ومحاولة تدعيم قواعدهما ، وايضا في سلسلة المشروعات الديمقراطية الاصلاحية التي حققها الوفد في فترات حكم مصر . ولعل الاصلاحات التي قام بها في فترة حكمه الاخير هي اهم الاعمال الديمقراطية التي حاول القيام بها في الميدان الاقتصادي والاجتماعي منذ ايام نهضته الاولى » ..

ويبدو ان يحدد الكاتب هذه الاعمال قائلة يجد ضرورة لعودة التركيز على

ديمقراطية الوفد « ولئن كانت هذه الاعمال جميعها يرجع حدوثها الى حد ما — لظفر الديمقراطية وتصاعد قواها واشتداد ساعدها في فترة انجازها الا انه يتحتم الا يغيب عن ذهننا ان ديمقراطية الوفد هي صاحبة الدور الاول في وجودها » .

وبرغم ما نلمحه من مبالغة في تركيز الكاتب على « ديمقراطية الوفد » فاننا نلاحظ انه يعود ليوضح انه « اذا أمعنا النظر في ديمقراطية الوفد — بوجه عام نجد انها تقف عند حدود معينة ليست هي الحدود التي تتطلبها الديمقراطية في الوقت الراهن » . ويمزى ذلك الى سببين أولهما تحدد طبيعة ديمقراطية الوفد بطبيعة تكوين الحزب نفسه : فعلى الرغم من ان الوفد — تؤيده غالبية الشعب الا ان قيادته لا تمثل تمثيلا حقيقيا صادقا بين الطبقات والطوائف ونخص بالذكر طبقة العمال والفلاحين الاجراء وطائفة طليعة الديمقراطيين من المثقفين المصريين . والسبب الثاني هو وجود عناصر بين صفوف الوفد يقل قدر اقتناعها بالديمقراطية عن قدر اقتناع الاغلبية وتنعكس قلة ديمقراطيتها من حين لآخر على بعض اعمال الوفد » .

• • ويؤكد الكاتب ايضا ان اثر هذه الحقيقة قد ظهر مؤخرا « في موقف غالبية الطبقة العاملة وطلبة الديمقراطيين من المثقفين فهم على الرغم من تأييدهم — غير المعلق على شرط — للوفد في كفاحه الديمقراطي ضد خصوم الديمقراطية ، وعلى الرغم من تقديرهم العظيم للاعمال الديمقراطية التي ينجزها الوفد ، وهو في مضمار كفاحه الديمقراطي الا انهم يشعرون — مع ذلك ان مصلحة وطنهم تتطلب ديمقراطية اكثر من التي يقدمها الوفد » (١) . وعندما شكل الطاغية صدقي حكومته عام ١٩٤٦ ، وحاول ان يكسب الوفد الى صفة داعي النحاس الى المشاركة في المفاوضة ممتدحا وطنيته فوجيء الجميع ير دضعيف من الوفد يفتح باب المساومة .

ويعلق على ذلك رأيت يوسف (أبو سيف يوسف) في مقال بالغ الاهمية لانه يحدد موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد • • ومع ان الوفد كان يمثل الطبقة البرجوازية المتقدمة الا ان امكانيات هذه الطبقة قد أخذت تضعف بانعزالها شيئا فشيئا عن الشعب ، وبظهور طبقة شعبية اخرى هي الطبقة العمالية • • و كان ان تغلبت العناصر اليمينية على سياسة الوفد ووجهتها • وكانت النتيجة ان أصبح اميل من ذي قبل الى التفاهم مع المستعمر • ومنذ اقيمت الوزارة الوفدية الاخيرة وسياسة الوفد مطبوعة بطايع التردد ازاء المستعمر وازاء المشاكل الداخلية على السواء • فهو في كفاحه للمستعمر يقف عند حد ارسال مذكرة ضعيفة للسفارة البريطانية ثم تعلن صحفه بعد هذا ان الوفد قد أدى واجبه كاملا غير منقوص • ثم يصدر بيانا اقوى يوجهه الى الامة المصرية وتعلن صحفه مرة اخرى ان الوفد قد أبرأ ذمته وأدى واجبه اما في الداخل فهو لا يعرف كيف يدافع دفاعا سليما عن حقوق الشعب وحرياته الأساسية • .

(١) الفجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٥ .

ويمضى أبو سيف يوسف لينتقد حتى من كانوا يسمونهم بالجنساح اليسارى فى الوفد فيقول « وقد اعترف الدكتور مندور بشذوذ سياسة الوفد وتنكبها عن الطريق السليم فوصفها بأنها حل نصفى ، تم عاد فوصفها بأنها نضحية للوفد فى سبيل وحدة الامة .. ولكننا من ناحيتنا نرى انه حصل انتهازى لانه ضحى بمصلحة الطبقات الشعبية فى سبيل مصلحة حزبية » (١) . ولعل فى ذلك ما يكفى لاي باحث عن الحقيقة حول موقف جماعة « الفجر الجديد » من الوفد .. وان كنا استكمالا للحقيقة — ذاتها — يتعين علينا ان نشير الى ان هذه المجموعة قد بالغت بالفعل فى الامكانيات التورية والديمقراطية لحزب الوفد او بالدقة لبعض جماعاته وأجنحته وقد ألقت كثيرا من ثقلها وجهودها فى نشاط تركّز اساسا فى صفوف وفدية .. الى حد ان الكثيرين قد تصوروا فى البداية انها مجرد « نتوء » يسارى فى حزب الوفد .

★★★

ولقد اهتمت « الفجر الجديد » اهتماما كبيرا بالوحدة العربية ، وكانت تشعر على الدوام ان مجال حركتها ومحط اهتماماتها ليس قاصرا على مصر وحدها ..

ومنذ البداية أكدت « الفجر الجديد » ان تأسيس جامعة الدول العربية كان خطوة ايجابية ، بل الهائلة كانت فى نظرهم احد منجزات الوفد « الديمقراطية » .. بل انها اعتبرت تأسيس الجامعة « حدث دولى له مغزاه وله اثره » ، فبهذه الخطوة تعبر الامم العربية عن ارادتها فى ان تتخذ مكانها الحق الى جانب سائر اعضاء الاسرة الدولية . وبهذه الخطوة تتجمع الدول العربية وتتكتل فى تعاهد وثيق تصوغه وحدة شعوبها فى مصالحها الاساسية ومثلها العليا . ويمضى كاتب المقال زكى هاشم قائلا « والاثر البارز لجامعة الامم العربية هو انها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصبغة التى غلبت عليها الى الآن .. صبغة التفكك والتجزؤ والانحلال » .

ويحدد زكى هاشم ان اول واجبات الجامعة العربية هو حل القضية الفلسطينية .. « وفلسطين هى التى ستسجل دون ريب اول انتصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التى ترمى الى استغلال شعبها العربى واسعياده » . وحينذاك سيخلد للعرب فى تاريخ التقدم الانسانى فضل القضاء على ركن قوى من اركان الاستغلال الاستعمارى فى العالم « . لكن الكاتب يطالب المهيمنين على الجامعة بأن « يشعروا بالشعوب

(١) الفجر الجديد ، ١٢ - ٣ ١٩٤٦ .

العربية بأن سياسة الجامعة إنما تجرى لصالح الجموع .. لصالح الشعوب
لا تمنعه فئات ضئيلة منها لا يعنها إلا الاستغلال والابراء» (١) .
لكن الهجوم لا يلبث أن يبدأ ضد مسلك الجامعة العربية تجاه قضايا
متعددة .

ويكتب صادق سعد بعنوان « جامعة الدول العربية على ضوء موقفها من
مسألة سوريا ولبنان » ينعي فيه على الجامعة أنه « اتحاد دول .. أي اتحاد
طبقات حالية وليست اتحاد شعوب » (٢) .

ونعود « الفجر الجديد » لتسأل مرة أخرى « هل نسينا مسألة الشام؟
وندنو الجامعة العربية بأن زمننا طويلا قد انقضى منذ اجتماعها الأخير
وقد اعتبرت الجلسة مستمرة .. ومع ذلك لم نصف مسألة الشام نصفية
نهائية » (٣) .

وفي مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية في الجامعة العربية »
يكتب أحمد سعيد (صادق سعد) .. « ولكن الجامعة العربية — جامعة الدول
العربية .. كما سميت بحق — تناقضت عن مطالب الشعوب العربية الاقتصادية
واعملت نفلغل الرأسمال الاجنبي في حياتها الاقتصادية ولم تبسأل بان
الاستعمار يخنق الآن الطبقات الشعبية العربية ، لماذا ؟ لان هذه الجامعة
جامعة دول وليست جامعة شعوب ، فهي تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها .
ولان الحياة السياسية للشعوب العربية لا تزال متأخرة ، ونشككو صفت
الاستعمار التثليل . وبهذا ينضج السحل المسائل الاقتصادية للشعوب
العربية معقود يتحرر هذه الشعوب من الاستعمار نحررا لا يأتي عن طريق
الزعماء والسياسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبي نفسه » (٤) .

وفي باب « حركة العالم في اسبوعين » وهو باب ثابت كانت تعرض
فيه « الفجر الجديد » اهم الاحداث العالمية وكان دائما بغير توقيع لكن محرره
كان في اغلب الاحيان « امور عبد الملك » نجد هجوما شديدا على جامعة الدول
العربية واتهام صريح لها بأنها « أداة بريطانية » وادانة لتجاهلها لقضية
فلسطين ولتبعدها عن مشكلة السودان ثم تجد صريح « فالجامعة تسير في
طريقها الخاص بها ، اما شعوب الشرق الطامحة الى الحرية فلا تنتظر منها
شيئا الا اذا اصبحت جامعة للشعوب العربية تمثل فيها شعوب الشرق العربي
تمثيلا صحيحا فتعمل على توثيق العلاقات بينها والتضامن ضد الاستعمار » (٥) .

وفي تعليق حاد بعنوان « الجامعة العربية في دورتها الحاضرة » بقلم
« علي الكاتب » (علي الراعي) نجد تركيزا شديدا على تراخي وتساهل الجامعة
العربية تجاه القضية الفلسطينية ، ثم « ان المجلس بتكوينه الحالي يقف حائلا

(١) الفجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٥ .

(٢) الفجر الجديد ، ١٧-١٨-١٩٤٥ .

(٣) الفجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٥ .

(٤) الفجر الجديد ، ١٦-١٧-١٩٤٥ .

(٥) الفجر الجديد ، ١٨-١٩-١٩٤٥ .

بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل في ذلك اساليب وعمول من الدبوت والاضطهاد تقريرا كثيرا من الفاشية التي نراها في الصهيونية ولا نراها في نفسها . . ان مجلس جامعة الدول العربية غير جاد في محاربة الاستعمار كله ومتراخ في محاربة عميله وصنيعة الاستعمار الا وهي الصهيونية . هذه حقيقتنا بالغة نصدمننا صدماء في نصرقاته « (١) » .
ونعلا عن جريدة « الاتحاد » الفلسطينية بنشر « الفجر الجديد » مغالا عنوانه « الاحرار العرب لا يؤيدون سياسته عزام باشا ولا خطه الجامعة العربية اراء الاستعمار » (٢) .

ومن الهجوم على الجامعة العربية الى الهجوم على امينها العام ، وتعليقا على موقف عبد الرحمن عزام باشا امام لجنة التحقيق البريطانية الامريكية في مسألة فلسطين يكتب « سعد لبيب » « الطريف حقا ان سعادة الامين العام نسي ان هناك شيئا اسمه الاستعمار البريطاني في فلسطين . وان هذا الاستعمار هو الذي مكن للصهيونية في فلسطين وانه هو الذي يستند الصهيونية دائما في موقفها . . ما كان اغناك يا سعادة الامين العام عن هذه التصريحات والبيانات الواضحة جدا ، وما كان اغنى الانجليز عن ان تكون هكذا واضحا صريحا . اما الشرق ؟ ولكن مالك انت وللشرق ؟ ان شعوبه تعمل وستنصر دون حاجة اليك » (٣) .

واذا كان جوهر الهجوم الذي شنته « الفجر الجديد » على جامعة الدول العربية هو انها جامعة دول ... اي طبقات حاكمة . . وانه يتعين عليها لكي تنجح ان تكون جامعة شعوب . . كان من حق « الفجر الجديد » علينا ان نذكر لها انها حاولت قدر طاقتها ان تقيم اوسع الروابط مع الشعوب العربية ومع طلائعها التقدمية ، وعلى صفحاتها كتب كثير من المفكرين التقدميين العرب . . ونوقشت مختلف القضايا العربية سوريا ولبنان ، السودان ، الاقلييات القومية ، فلسطين . . مناقشة مستفيضة ومن وجهة نظر متقدمة . .

★★★

واذا كانت قضية فلسطين واحدة من أهم قضايا الوطن العربي . . واذا كانت بعض الاوضاع الخاصة « بالفجر الجديد » ولتعلقة بمنشأ مؤسسيها تجعل للتعرف على موقف هذا المنبر من القضية الفلسطينية اهمية خاصة ، فاننا سنحاول ان نستعرض بايجاز بعضا من الجهد الدائب الذي بذلته « الفجر الجديد » دفاعا عن عروبة فلسطين وادانة للصهيونية . .

-
- ١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .
 - ٢ - الفجر الجديد ، ٢٠ - ١ - ١٩٤٦ .
 - ٣ - الفجر الجديد ، ١٢ - ٢ - ١٩٤٦ .

ولقد لاحظنا ان كثيرا من هجمات « الفجر الجديد » ضد الجسامعة العربية كانت يستب تهاونها او تفريطها في الدفاع عن حقوق عرب فلسطين، لكن هذا لم يكن سوى بداية ، فان « الفجر الجديد » قد ركزت في كثير من الاحيان مدفعيتها الثقيلة في هجوم عنيف مركز ضد الصهيونية . . . ونحت عنوان « كفاح فلسطين الوطني الديمقراطي » يكتب « وطني » « الصهيونية حركة استعمارية ليست في الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار اكثر ما يمكن من منابع المواد الأولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة » والصهيونية تجد سنداً قانونياً في تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ، ويربطها هذا بالانتداب ، ويكون سبباً من الاسباب التي تجعلها ضد الحركة الوطنية في فلسطين . ولذا يقاومها العرب . . . غير ان كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعني كفاح اليهود اطلاقاً (١) .

وعلى صفحات « الفجر الجديد » يكتب « مخلص عمرو » احد القادة النقابيين الفلسطينيين مقالاً يدعو فيه العمال العرب الى التوحيد « لمحاربة الصهيونية بين صفوف العمال وفضحها كحركة استعمارية رأسمالية » (٢) وفي نفس العدد تشير « الفجر الجديد » في بابها الثابت « حركة العالم في اسبوعين » الى ان « الولايات المتحدة تعمل كل ما في وسعها لتأييد الصهيونية . اي لتأييد دخول رأسماليين مستغلين الى فلسطين العربية » (٣) .

واذا كان هذا العدد يصدر في ذكرى وعد بلفور فان « الفجر الجديد » تنشر نداءً بتوقيع فلسطيني عنوانه « ليسقط الاستعمار والصهيونية » جاء فيه ان « الشعب العربي يعلم ان قضية حريته تفسر على مقاومة الصهيونية والاستعمار معا . فالصهيونية رأسمالية استعمارية وليسست حركة عنصرية او دينية » .

ويمضي النداء « نناديكم ايها المصريون الوطنيون ان قفوا معنا صفا واحداً ، وناضلوا معنا الاستعمار وقاوموا الصهيونية » (٤) .

وتدين « الفجر الجديد » الصهيونية بأقوال أقطابها وصحافتها وتنقل عن جريدة « دافار » الصهيونية الصبارة التالية لتبرزها « اننا نعتبر بان مصيرنا مرتبط بمصير الاستعمار البريطاني ونعترف بهذه الشركة » (٥) .

ويبدو أن خلافاً ما قد برز في صفوف بعض « أحرار » في مصر حول الموقف من الهجرة اليهودية الى فلسطين مع اتفاق الجميع على ادانة الصهيونية

١ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٦ - ١٩٤٥ .

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ١١ - ١٩٤٥ .

٣ - المرجع السابق .

٤ - المرجع السابق .

٥ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .

ولهذا تنشر «الفجر الجديد» مقالا تنقله عن «الاتحاد» الفلسطينية بعنوان «يقاومون الهجرة الى فلسطين» ونقدمه الى قرائها بالمقدمة التالية « نشر المقال التالي بجريدة «الاتحاد» الغراء ، ولقد رأت لجنة التحرير أن تنقل فقرات منه لقراء «الفجر الجديد» دحضاً لما قد يكون شائعا بين بعض الاحرار في مصر والبلاد العربية من أن موقف الاحرار من الهجرة يجب ان يكون مختلفا عن موقفهم من الصهيونية ذاتها . ويجوز بنا ان نتذكسر قرار الحزب الشيوعي (يقصد الحزب الشيوعي الفلسطيني) الاخير بمعارضة انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ذلك القرار الذي ووفق عليه بالاجماع» (١) .

لكن حملة «الفجر الجديد» ضد الصهيونية لم تمنعها من استنكار الدعاوى والتحركات العنصرية ضد اليهود المصريين أو المقيمين بمصر ، وعندما قامت المظاهرات المتعصبة التي قادها الاخوان المسلمون وأعضاء مصر الفتاة ضد محلات ومساكن بعض اليهود كتب «جهاد» (أحمد رشدي صالح) «نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطني مجيد يجب أن نقوم به في حزم وقوة . فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الامريكي والبريطاني الآن لتثبيت دعائهما في البلاد العربية» لكن ثمة تيارات رجعية والتفت عند هدف مشترك في تحويل حركتنا الوطنية عن مجراها الحالي ضد الاستعمار البريطاني والاشتراكية الرجعي . الى حركة عنصرية .. ولقد كانت قيادات اضرابات ٢ نوفمبر في يد هذه الفئات الرجعية ولذا فهي لم تفقد الطبقات الشعبية شيئا - وأفادت الاستعمار كثيرا - وثبت اقدام الحكومة أكثر من ذي قبل» .

ويمضي «جهاد» قائلا : ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا في ٢ نوفمبر وجهة خاطئة . اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية ، أنها لا تحترم الاقلية اليهودية وأنه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا في بلد واحد» (٢) .

.. وقد فتحت «الفجر الجديد» صفحاتها لنشر النصوص الكاملة لبيانات «عصبة مكافحة الصهيونية في العراق» منها بيان بمناسبة «يوم وعد بلفور» يقول «ونحن بصفتنا يهودا وعربا بنفس الوقت نعلن استنكارنا لوعد بلفور واحتجاجنا عليه ، وندعو كل مواطن الى التضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأييف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وايقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة» (٢) .

وبيان آخر من نفس العصبة «الى الرأي العام العربي والديمقراطيين جميعا» يحمل العناوين الفرعية التالية «يهود العراق ضد الصهيونية - الاستعمار البريطاني يؤيد الصهيونية - الارهاب الصهيوني ستارلؤامرة

٢ - الفجر الجديد ، ٢٠ - ٢ - ١٩٤٥ .

١ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - تاريخ .

٢ - الفجر الجديد ، العدد ١٢ - بدون ١٩٤٦ .

الاستعمار - يجب عرض قضية فلسطين على مجلس الأمن »
كذلك تنشر « الفجر الجديد » عديداً من وثائق وبيانات « عصبة التحرر

الوطني الفلسطينية » (١) .
وإذا كنا ننظر إلى « الفجر الجديد » كمثير سياسي وليس كمجرد مجلة فإننا نلفت النظر إلى دراستين هامتين قدمتا باسم « الفجر الجديد » إلى ندوة أعدتها « دار الأبحاث العلمية » حول القضية الفلسطينية وقد نشرنا ضمن الدراسات المختلفة التي قدمت للنسوة في النشرة غير الدورية التي كانت تصدرها « دار الأبحاث العلمية » * والدرستان مقدمتان « عن أسرة تحرير الفجر الجديد » اولاهما بعنوان « فلسطين ومناوات الاستعمار » بنلم صادق سعد ، والثانية بعنوان « الحركة الوطنية في فلسطين » بقلم أحمد رشدي صالح .

ويقول صادق سعد في دراسته « . . فتشريد اليهود في أوروبا وبقياء الاضطهاد العنصري التي تؤلمهم إنما تعالج باستتباب الديمقراطية في أوروبا ، وإن يكن بد من إيواء اليهود المشردين في بلاد غير أوروبا نفسها ، فلم لانقبلهم انجلترا او الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ، إلا ان الاستعمارين البريطاني والأمريكي لا يريدان في الحقيقة ان يقوموا بعمل انساني - بمساعدة اليهود والمشردين - وإنما يريدان ان يدخل مهاجرون في فلسطين ، أو على الأقل ان يهودا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسألة الهجرة لا مسألة الحكم الديمقراطي المستقل في فلسطين » .

أما رشدي صالح فيقول في دراسته « ان الاستعمار ، والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب ، هم المسئولون عن المذابح المتكررة التي قامت بها بعض الجماهير العربية ضد اليهود . وأما الزابح من هذه المذابح والكراهية الدينية ، فهو الاستعمار الذي نجح في تحويل الانتظار بعيداعنه ، وهو الرأسماليون الصهيونيون الذين نجحوا في اجتذاب عطف وحماس جماهير اليهود وزجهم في الحركة لتتجهبت اقتحام الاستغلال الصهيوني في فلسطين ، وهم الاقطاعيون العرب الذين القوا بالجماهير العربية في المعمة ، في حين انهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ، ويبيعون أرض فلسطين للماسرة الصهيونيين » .

ولست أعتقد انني بحاجة إلى اية اضافة أو أي تعليق . . فقد كان مرقف « الفجر الجديد » من القضية الفلسطينية واضحاً . . وكافياً . . . لكنه

١ - الفجر الجديد ، ٢٣ - ١ ، ٦ - ٣ - ١٩٤٦ .

* النسخة التي بين ايدينا ملروسة الغلاف ومن ثم فاتها مجهولة التاريخ ومبتدىء الصفحة ٣ . وبها دراسة بعنوان كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين - عبد الرحمن الناصر - من دار الأبحاث العلمية ، وتضمن دراسات مختلفة يمثل اصحابها مختلف المساهرين والتنظيمات الماركسية ومن بينها دراستان باسم « الفجر الجديد » وأخرى باسم أسرة تحرير « أم درمان » . . الخ .

يُعين علينا أن نضع في الاعتبار أن جزءاً من هذا الوضوح والحماس يجب أن يسبب إلى طبيعته منتقياً «موسى» العجر الجديد» وحاجتهم - أسر من غيرهم - إلى إبداء هذا العذر من الوضوح» .

ورويدا رويدا بدأت الملامح الماركسية تتضح على صفحات «الفجر الجديد» هالده انثوري العام والحرية الجماهيرية الضميمة التي لم تشهد لها مصر منيلاً منذ ١٦١٦ وبهاقم الصراع الطبقي بل ذلك جعل من الضروري أن يصبح الفكر الماركسي وجبه داسه على مانده «العجر الجديد» .

وابتداء من العدد الرابع بدأت المحاولات الحذرة لتلمس بعض جوانب الفكر الماركسي ولان صاحب هذه المحاوله «ابو سيف يوسف» في مقالته «فلسفه ام اسطورة» والمعان مجرد استعراض فلسفي لاقدار متعددة عَن فلسفه الحره . ولم ترد فيه مطلقاً تلمه الماركسيه ، لكنه لان محاوله جيده لطرح قضايا الديالكتيك بصورة مبسطه . ويختتم ابو سنسيف مقاله «فالمذهب الحرلي يمكن ان يعهم فهما عمليا سليما ، وقد وجدت الفلسفه التي قدمته في صورة قبلها العمل واقرها العلم ومعنى بها «الماديه الجدليه» التي استعانت بمنهجها الديالكتيكي على دراسه الطبيعه والانسان في تطورهما وخرجت من ذلك بمذهب انساني متناسق» (١) .

وفي نفس العدد نقد لكتاب الفه الدكتور مصطفى كمال فايد بعنوان «الثورات الثلاث» وكانب النقد وهو اسماعيل محمد يبدأ بهجوم صلب على كتاب له راس دجاجة وجسم فيل ، ورأس الدجاجة فارغ لا خير فيه ، وجسم الفيل يصلح لان يعرض في حدائق الحيوان ومسند الملامه . والكتاب هجوم على ثورة أكتوبر الاشتراكية والنقد دفاع حار عنها (٢) .

.. ويبدو ان عبارة الماركسية قد ظلت لفترة لا ترد على صفحات «الفجر الجديد» الا ردا لهجوم او تصديا لادعاءات الخصوم .

فاسعد حلیم يرد على كتاب أصدره محمد صبيح عن روسيا «لغسه بالمغالطات وحشاه بحملته الرجعية المفرضه» ويقول أسعد حلیم في معرض رده «وقع الاستاذ صبيح في كتابه عن «روسيا» في عدد كبير من الاخطاء التاريخية والاحصائية ، نكتفي بأن نشير الى بعضها فان احصاءا شاملا لها يحتاج الى جهود مصلحة الاحصاء والتعداد» (١) .

١ - الفجر الجديد ، ١ - ٧ - ١٩٤٥ .

٢ - المرجع السابق .

لكن أسعد حليم اكتفى بنقد الأخطاء التاريخية والإحصائية والجغرافية
.. ولم يتعرض للسياسة في قليل أو كثير ..
ونحتاج بعد ذلك إلى تقليب صفحات عديدة من أعداد المجلة .. حتى
نعر على برواز صغير بعنوان مختارة « فلسفة ماركس المادية هي الوحيدة
التي أوضحت للبروليتاريا طريق الخلاص من العبودية الروحية التي كانت
الطبقات المضطهدة جميعا تزح تحت أعبائها ، ونظرية ماركس الاقتصادية
هي الوحيدة التي بينت موضع البروليتاريا الحقيقي من النظام العسـام
لرأسمالية » (١) .

وهنا نلمح بداية جادة لمنعطف طريق حقيقى .. انها المرة الاولى التي يرد
فيها ذكر الماركسية كنظرية قادرة على تحرير الانسان .. ويبدو ان الامر كان
صعبا في بدايته وخاصة بالنسبة لاناس كان الحذر الشديد شعارهم الاساسى
ومنهجهم فى العمل .. فقد القيت هذه « المختارة » فى زاوية من زوايا احسدى
الصفحات .. دون مقدمات ودون تعليق ..

ولكن ابو سيف يواصل — فيما بعد — تقديم دراساته الفلسفية « الانسان
والطبيعة فى الفلسفة الجدلية » وهى دراسة جادة لكنها تظل فى اطارها الفلسفى
.. الجاف ..

وتحتاج لجهد كبير فى تفهمها وخاصة بالنسبة لقارئ هذا الزمان ..
وكما عودنا « اسماعيل محمد » فانه يكون أشد الكتاب جرأة فى العرض
لمهاجمى الماركسية وتفنيد هجومهم .. وردا على كتاب العقاد « فى بيتى »
كتب اسماعيل محمد مقالا كان نقطة تحول خطيرة فى تاريخ « الفجر الجديد »
فمن خلال مواصلة انتقاد كتاب العقاد والرد عليه .. دخلت « الفجر الجديد »
بصراحة معصمة الدفاع الصريح والجاد عن الماركسية .

وفى برواز يقدم به « اسماعيل محمد » رده على العقاد يقول « ينتهز
الاستاذ العقاد كل فرصة تعرض له ، بل انه يخلق الفرص لمهاجم الآراء الحرة
ويكيل للاشتراكية والشيوعية الشتائم بنفس اللهجة ونفس المستوى الذين
يهاجم بهما الوفد وغيره من العناصر الديمقراطية فى مصر ... ولقد أسس
الاستاذ كثيرا فى مهاجمته للاشتراكيين والشيوعيين وتفضل على الفيلسوف
العالمى الكبير ماركس ، وعلى زميله فريدريك انجلز ولينين بالقاب واوصاف غير
علمية تغلب عليها أساليب السوق التى اشتهر بها الاستاذ العقاد مما يعدها
كثيرا عن دائرة البحث العلمى » .

ويمضى « اسماعيل محمد » منفدا آراء العقاد .. وهذه نهاية المطاف التى
كان حتما عليه ان يبلغها فهو قد هاجم الاشتراكيين والشيوعيين ما انفسح

القرطاس أمامه . وما خلا الميدان من أقلام تسفه أباطيله - وهو قد عرض بالذاهب العلمية الاجتماعية لينتهي الى هذا الحسوس الرخيص والتضمين المهين لكرامة الانسان .

وينتهي المقال بهجومه بادانة أفكار العقاد الميتافيزيقية « فليست أريد ان أغالط العقاد في معتقداته الميتافيزيقية ، وانى مستريح بالا لأن العقاد انصرف بعقريته اخيرا - الى عالم لا قيود فيه ولا حدود وان عقريته تضيق بالبحث العلمى المحدود ، وتزج به فى غيوم من التيه وشتات من الايمان بالاشسباح والكفر بالقيم الحققة فكفاء من التراث العلمى هذا التيه ، وكفانى مسن هلله آرائه هذا القدر » (١) .

ولم تكن مقالة اسماعيل محمد هذه سوى بداية . . لهجوم عارم ، او بالدقة دفاع عارم عن الماركسية وتزخر صفحات « الفجر الجديد » بردود على العقاد ، وصاحب الرد الذى سنعرض له الان هو ابو سيف يوسف . . ونحن نستطيع ان ندحض اتهام الماركسية بأنها عقيدة جامدة وتبشير ، بالنظر فى طبيعة هذه الفلسفة نفسها . . على اننا قد قلنا فيما تقدم ان الماركسية تتفق مع العلم فى أنها تنظر الى الحقيقة نظرة نسبية وترى ان الوصول اليها عمل تحققه الانسانية والاجيال المتعاقبة لا فرد واحد . ومعنى هذا ان الماركسية أسلوب لدراسة الاشياء وليست عقيدة تظهر فى فترة فاعليتها ثم تخبو عندما نحاول تطبيقها فى عصور مختلفة . . . لقد بدأ اختبار الفلسفة الماركسية وفسد دل الاختبار على نجاحها البين الملموس . . . ان الفلسفة الماركسية فلسفة حركة ، بل لعله من الافضل ان يقال انها الفلسفة الاولى والوحيدة للحركة العامة ، حركة العقل البشرى فى محاولته ان يوافق الحقيقة موافقة وثيقة ومدللا باستمرار على هذا التوافق بنجاحه العملى » (٢)

ويكون الرد على العقاد مناسبة للحديث فى كل شىء حتى عن « عصور انسانية من كارل ماركس » وفى مقدمة هذه الدراسة المترجمة عن كتاب « الماركسية والفرد » لاسقف كنتربرى تكتب « الفجر الجديد » « يتهم العقاد الماركسية بالباطل فى كل شىء . . ولقد زعم ان ماركس لم يحيا حياة انسان وحقا ان ماركس لم يكن يتصف بالصفات الاساسية التى تجعله انسانا فى نظر العقاد واشباهه فهو لم يكن أنانيا ولا بوقا للرأسماليين والمستغلين ولا دعبا يفسد كل القيم ليعيش فى لين ويسر بينما الملايين من البشر مستعبدون ومضطهدون . لقد كانت حياة ماركس وحدة كاملة من العواطف والآراء . . وكانت حياته الشعوربة فياضة زاخرة لان مادتها المجتمع الانسانى كله ، وكانت غنية دافقة لان معينها العقل وكانت أرهى ما تكون الحياة الانسانية لانها جمعت الى فيض الشعور ، سيطرة الفكر وجهاد الحر الكامل لتتحرر الانسانية » (٣) .

١ - المرجع السابق .

٢ - الفجر الجديد ، ١ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٣ - الفجر الجديد ، ١٦ - ٩ - ١٩٤٥ .

ويكون الرد على العقاد .. مناسبة أيضا لتقديم دراسة عن « دور الفرد في التاريخ » وموقف الماركسية منه . وفي مقدمة لهذه الدراسة تكتب « الفجر الجديد » قائلة « يعتمد بعض أعداء الفلسفة الماركسية من الكتاب الماجورين الى محاولة نقدها وتفنيدها متظاهرين في الوقت نفسه انهم انما يدافعون عن العلم والعقل والكرامة الانسانية — ولما كانت الماركسية لا تعارض العلم ، بل وتحترم مناهج البحث العلمي .. ولما كانت في صميمها فلسفة انسانية بكل معاني الكلمة فان هؤلاء الكتاب قد عمدوا عن قصد الى تشويه آراء ماركس بحيث تبدو على غير حقيقتها ، والى تخريج بعض أقواله تخريجا يتنافى مع مضمون الفلسفة الماركسية ومنطقها الداخلي » (١) .

ولم يقتصر الامر على مقالات عديدة اخرى لدحض هجمات العقاد وانما أعدت « الفجر الجديد » كتيباً ترد فيه على العقاد بعنوان « من حقائق الماركسية .. رد على العقاد » وتنشر « الفجر الجديد » اعلاناً عن هذا الكتيب تقول فيه « أعدت لجنة التحرير بحثاً وافياً في الرد على الآراء المغرضة التي تداغ هذه الأيام بقصد تشويه العيار المتقدم في مصر وغيرها من البلاد العربية — هذه الآراء التي ينفرد العقاد وأمثاله بالصدارة في اذاعتها بين الناس . وان لجنة التحرير يهمها ان يبلغ هذا البحث كل قارئ وصديق يؤمن بجهد شعبنا ويرغب في الاستهداء بالحقائق العلمية التي لا يستقيم كفاحنا التحريري وغيرها » (٢) .

ثم يصبح الحديث عن الماركسية مسألة معتادة .. بعد ذلك ، بل انه يجتاح حواجز الحذر ليقدم — على سبيل المثال — مقالا لـاحمد سعيد (صديق سعيد) بعنوان « ثورة أكتوبر .. مرحلة تحول في تاريخ البشرية » ومن البداية يقول صديق سعيد « بثورة أكتوبر استولت البروليتاريا — طبقة العمال وطلبة الكادحين — على الحكم السياسي في روسيا . وكانت هذه هي المرة الاولى التي تتولى فيها الغالبية الشعبية الحكم السياسي ..

لقد انفق المجتمع الاشتراكي الذي اسسته ثورة أكتوبر لا تستولي طبقة طفيلية على نتيجة جهود الكادحين بل ينتج الشعب لنفسه ، ويراقب الانتاج الاجتماعي ويشرف عليه ، حيث ان وسائل الانتاج ملكا له » .

وبمضي المقال « .. واذا كانت الشعوب توجه أنظارها نحو الاتحاد السوفييتي فليس ذلك لأنها تنظر منه ان « بنصر » لها الثورة بل ان هذه الشعوب جميعاً تعلم علم اليقين ان الحرية لن تأتي لها من الخارج بل عليها ان تبنيها بأيديها وبكفاحها هي » (٣) .

وهناك أيضاً عرض لكتابات ستالين عن « الثورة الاشتراكية » يقدمه

١ — الفجر الجديد ، ١ — ١١ — ١٩٤٥ .

٢ — الفجر الجديد ، ٦ — ١٢ — ١٩٤٥ .

٣ — الفجر الجديد ، العدد ١٣ — بدون تاريخ .

نعمان عاشور وفي نفس العدد « صور من حياة لينين بمناسبة يوم ٧ نوفمبر » بقلم عبد العزيز فهمي ثم تتوالى الدراسات « بين الماركسية وعلم النفس » بقلم علي الكاتب (على الراعي) حقوق الافراد وواجباتهم في الاتحاد السوفيتي « بقلم ابو سيف » (١) . ثم رسالة من عامل ميكانيكي ببغداد بعنوان « اميل لودفيج والماركسية » (٢) ودراسات اخرى عديدة من أهمها دراسة من ثلاثة

فصول بعنوان « بماذا نفس التغيرات الاجتماعية ؟ » بقلم اسماعيل يحيى (اسماعيل محمد) وهي تقديم جيد للفكرة الماركسية حول تطور المجتمعات والقوى الفاعلة في عملية التطور هذه (٣) .

ثم تبدأ « الفجر الجديد » في تقديم افكار ماركسية عن الاقتصاد السياسي في باب بعنوان « قاموس الاقتصاد السياسي » وفيه تقدم تعريفا لعلاقات الانتاج - السلع - التبادل النوعي (٤) .

ثم هي تنقل عن جريدة « المصري » عدد ١-٢-٤٦ فصلا هاما بعنوان « لينين والمسألة القومية » (٥) .

ثم تخطو « الفجر الجديد » خطوة اخرى هامة وهي تعزيز علاقاتها مع الاحزاب الشيوعية العربية فهي توالى نشر العديد من المقالات نقلا عن « الاتحاد » و « الغد » الفلسطينيتين و « الطريق » اللبنانية . . بل وتوالى نشر اعلانات لهذه المجلات « تصل القاهرة المجلات التقدمية العربية التالية . . الطريق - لبنان ، الغد - فلسطين ، الاتحاد فلسطين ، الرابطة - العراق » (٦) .

وعندما تنفجر الحركة الثورية في مصر في مطلع عام ٤٦ ويتعرض التقدميون والشيوعيون المصريون للاضطهاد تحرص « الفجر الجديد » على ان تنقل لقراءها تضامن الشيوعيين العرب مع الشيوعيين والتقدميين المصريين . . نشرت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الفراء في عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٤٥ مقالا للمناضل الحر الاستاذ فؤاد نصار يقول فيه « تجتاح مصر اليوم موجة من الارهاب الاسود . . لقد افزع النشاط التحرري العناصر الرجعية مهادنة الاستعمار فراحوا تضرب يميننا وشمالا تنقلد نفسها من المصير المحترم » .

ومقال آخر من مجلة « الغد » الفلسطينية بعنوان « الاشتراكية جريمة في مصر » ودفاع حار من جريدة « الشعب » العراقية . . الخ (٧) . . ثم

-
- ١ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .
 - ٢ - الفجر الجديد ، ٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .
 - ٣ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ٢٢ - ٦ - ٢ - ١٩٤٦ .
 - ٤ - الفجر الجديد ، ١١ - ١ - ١٩٤٦ .
 - ٥ - الفجر الجديد ، ٣٠ - ١ - ١٩٤٦ .
 - ٦ - المرجع السابق .
 - ٧ - الفجر الجديد ، ١٩ - ١ - ١٩٤٦ .

تنقل لقراءها كلمات من خالد بكداش « ان حوادث مصر الدامية هي اليوم على كل شفة ولسان ، بل هي في أعماق كل قلب وكل نفس في سوريا ولبنان وجميع الاقطار العربية ... فكل عربي مهما كان مولده يشعر ان مصر في عنقه دينا عليه ان يفديه ، وأحسن أشكال هذا الولاء هو رفع الصلوات عاليا بالتضامن مع الشعب المصري في نضاله لاجل الاستقلال والجداء .. »

ان الشعوب العربية التي تناضل في كل قطر لاجل الاستقلال والجداء تلتفت اليوم بأنظارها الى وادي النيل وقلوبها تزخر بعاطفة التضامن والاخاء نحو الشعب العربي الكبير الذي يرفع اليوم في الشوارع والساحات لسواء النضال الشعبي في سبيل الحرية والحياة فلتتحيا مصر مستقلة ديمقراطية حرة - عاش التضامن بين الشعوب العربية في سبيل الجداء والاستقلال ، في سبيل الحرية والديمقراطية ، (١) .

.. عندما استقل الثلاثي صادق سعد - يوسف درويش - ريمون دويك على الحلقة السرية الماركسية (لم يكن اسسم) التي كانت تعمل خلف واجهة « مجموعة الدراسات » العلنية كان يستهدف كما أشرنا في فصل سابق الى العمل في شعبتين ، العمل وسط المثقفين وقد تولاه كما رأينا صادق سعد وريمون دويك وانضم اليهما أحمد رشدي صالح . والعمل بين العمال وقد تولاه يوسف درويش وذلك باعتباره محاميا عماليا .

واذا كانت الجماعة الاولى قد انغمست في العمل وسط المثقفين وارتبط اسمها باسم مجلتها « الفجر الجديد » ..

فان يوسف درويش قد حاول قدر طاقته الانغماس في العمل النقابي العمالي ويمكن القول انه قد حقق - الى حد كبير - نتائج هامة ..

والبداية مجموعة من الطلاب المتحمسين ينشطون في حي السبئية لتأسيس فصل لمحو الأمية ، يلتقي بهم يوسف درويش الذي يسكن بجوارهم في حي بولاق يلتقط المحامي الماركسي الشاب الذي يحاول جاهدا ان يجد لنفسه ركيزة يستند اليها في سعيه نحو كسب كوادر عمالية .. يلتقط هذا الخيط ..

ويتحول منزله (رقم ٧ سكة جلال الملك أمام حوش فايد) الى مقر لجماعة جديدة « جماعة الثقافة الشعبية » وتؤسس هذه الجماعة مركزين لمحو الأمية الاول في شارع وابور النور بالسبئية والثاني في ميت عقبة (١) .

« ومن خلال فصول محو الأمية التقى يوسف درويش بمحمود العسكري . اما يوسف المدرك فقد كان يعمل عند بعض أقارب ريمون دويك وتعرض به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش » (٢) وكان هناك ايضا طه سعد عثمان

١ - من محضر نقاش أجرى مع يوسف درويش .

٢ - من محضر نقاش أجرى مع صادق سعد .

وكان هو أيضا شخصية نقابية هامة فقد ظل رئيسا للنقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكي وملحقاته بالقاهرة وضواحيها من ١٩٣٨ الى ١٩٤٣ ثم أميناً لصندوق هذه النقابة من ٤٣ الى ١٩٤٤ ثم مراقبا عاما لنفس النقابة عام ١٩٤٥ (١) والمرجح ان العسكري هو الذي قدم طه محمد عثمان الى يوسف درويش فقد كاتا ينشطان معا في نفس النقابة .
وبهذا الثالث « المدرك - العسكري - طه عثمان » يكون يوسف درويش قد وضع يده على احد المفاتيح الهامة للنشاط وسط قطاع عمالي اساسي . . .

ويكون قد حقق خطوة هامة بالالتقاء مع كوادر عمالية صرفة ومصرية صرفة واضعا بذلك اساسا هاما لمستقبل المجموعة السرية التي ينتمى اليها .
ويمكننا الان ان نترك الحديث ليتولاه واحد من هذا الثالث هو طه سعد عثمان .

« كنت في ذلك الوقت مع نفر من العمال والنقابيين نقرا بعض الكتب والكتابات الاشتراكية ، وكان المثقفون الاشتراكيون الذين اتصلوا بنا منذ فترة داني النقاش معنا ، وخاصة بعد اسقاط فضالي عبد الجيد في الانتخابات حول قضية السلطة والطبقة العاملة ، وانه لا وصول الى السلطة الا بتنظيم سياسي ، ومجلة تنطق باسمه وتقوم بعملية الربط بين اعضائه . وبعد نقاش استمر مدة طويلة ، اتفقا على ان نكون لتنظيميا سياسيا هائيا للطبقة العاملة ، وأن تصدر مجلة تنطق باسمه » .

« وفي اجتماعات طويلة تم الاتفاق على ما يأتي :

١ - ضرورة عمل برنامج للتنظيم السياسي يحدد مطالب كافة الفئات الشعبية ووطنيا واقتصاديا واجتماعيا ، على ان تناقش بنود ذلك البرنامج من اللجنة التأسيسية مجتمعة بعد ان كلف ثلاثة بوضع مشروع البرنامج وكذلك مشروع بيان يوزع مع البرنامج .

٢ - ان يكون اسم التنظيم هو « لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » باعتبار ان هذه اللجنة في حقبة الامر ، ان هي الا لجنة تحضيرية لحزب الطبقة العاملة المصرية السياسي ، وعلى ان يعلن اسم الحزب بعد ان تتمكن اللجنة عن طريق العمل السياسي والجهادي من استكمال مقومات الحزب فعلا وبعد ان ترتبط فعلا بكتل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الشعبية الاخرى التي لها مصلحة في تحقيق البرنامج .

٣ - اتفق على ان تستاجر اللجنة مجلة اسبوعية تنطق باسمها ، وكلف الزميل محمود محمد العسكري لسابق خبرته في هذا المجال باتمام ذلك .
٤ - اتفق على ان يكون اول يوم لالغاء الاحكام العرفية في مصر هو يوم اعلان اللجنة « (٢) » .

وهكذا صدرت مجلة « الضمير » . . كمجلة عمالية تمثل مثبرا هائيا

١ - طه محمد عثمان . مذكرات . وثائق من تاريخ الطبقة العاملة - مقال مجلة « الكاتب » يوليو ١٩٧١ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٧٥ .

هو « لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » .. وهو منبر تأسس بإشراف مباشر من حلقة ماركسية (بغير اسم) تستهدف التحول من خلال نشاط جماهيري واستقطاب أعداد من المثقفين والعمال المصريين الى تأسيس تنظيم شيوعي .
ولسنا نعتقد انه يمكننا هنا ان نتابع تطور الجهود التي بذلها يوسف درويش ومع هذا الثالث تأسيسا للجنة العمال للتحرير القومي ، او اعدادا لتأسيس منبر شيوعي فان ما نريده هو متابعة مجلة « الضمير » كواحدة من الصحف اليسارية المصرية .

وصاحب المجلة الاصل هو الدكتور عبد الكريم احمد السكري ، وهو معروف كواحد من الشخصيات التقدمية .. ومن هنا فان المسألة لم تكن مجرد استئجار رخصة جريدة بقدر ما كانت مشاركة سياسية تلتقي عند حدود مبادئ متفق عليها .
ويمكن التعرف على مواقف د . السكري من مقالاته في « الضمير » ذاتها فقد استمر في الكتابة فيها حتى بعد أن اسلم ادارتها لمحمود السكري ..

وفي مقال بعنوان « العمال للانتاج القومي كالعمود للجسم الانساني » كتب الدكتور السكري يقول « قوام الانتاج في محيط حلقة الاعمال المختلفة كالزراعة والصناعة والتشييد والبناء والتعمير والتجميل والطباعة وكل ما يحتاج اليه العالم الانساني من مطالب الحياة هو العامل .. ومن هنا كان له ان يفخر بحق حين يرى نفسه الوسيلة الوحيدة للانتاج القومي . ولكن هل يدرك المجتمع كيف استطاع هذا العامل ان يخرج هذا الانتاج وهل يستطيع المجتمع ان يتصور كم بذل من جهد وتحمل من عناء وتعرض للمخاطر وواجه الصعاب وكم أثقل كاهله واحترق . ونظن ان الزمن الان .. يدفع الطبقة العاملة الى ان تسمي وراء حقها المهضوم ومطالبها العادلة في ان يكون لها نصيب من الحياة الرغبة يتناسب مع جهودها وتضحياتها . ولا تستطع هيئة منصبة ان تقف امام جهاد العمال في سبيل حقوقهم المشروعة العادلة » (١) .

وقد كتب د . السكري سلسلة من المقالات بعنوان « ابها العامل .. دعني أحدثك » قال في واحد منها « انت عامل .. ومعنى ذلك انك مواطن منتج .. وعلى هذا الاساس الصحيح أرجو ان تحيي في نفسك شعور الثقة بالنفس والاعتزاز بالكرامة ..

واذا كان حقك اليوم في الحياة قيد البحث . واذا كان مجالك الحيوي ما زال ضيقا محدودا مما اصابك بهذا العسر المادي فان جهادك المشروع في المطالبة بما تراه حقا لك .. يخلف ما تشعر به من ألم في نفسك ويسرى

عنك ولو على الاقل لانك مجتهد مجاهد في سبيل مطالبك المشروعة ، وما ضاع حق وراء مطالب « (١) » .

وحتى بعد ان قبض على الثالث (المدرک - العسكري - طه سعد) في الفترة من يناير حتى مايو ١٩٤٦ صمم الدكتور السكري على معاودة اصدار المجلة وانتقل بها الى مسقط رأسه بنى سويف واصدرها من هناك وان كان قد حرص على ان يبرز في رأس صفحتها الاولى انها « لسان حسان لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » (٢) .

ويبقى اسم السكري هو التوقيع الوحيد في هذه الاعداد بما يوحي ان محرريها الاصليين لم يريدوا ذكر اسمائهم لاسباب متعلقة بالامن ، وان الدكتور السكري هو الذي تصدى لتحمل المسئولية كاملة .
وكان لابد له ان يشارك زملاءه في مصيرهم . . . فقبض عليه وتشر « الضمير » « قبض البوليس السياسى فى الاسبوع الماضى على اكثر من ثلاثين شخصا - فى جهات مختلفة . . من الزملاء ، ومنهم رئيس تحرير هذه المجلة الدكتور عبد الكريم السكري ، واستمر حجزهم فى قسم الازيكية ليلة ٢٥ ، وليلة ٢٦ الماضى وقد تولت النيابة التحقيق فقررت الافراج عن ٢١ بالاضمان الشخصى . . ومنهم الدكتور السكري » (٣) .

ويخرج السكري من السجن ليكتب فى «الضمير » « ايها العامل دعنى احدثك عن ليلتين على الاسفلت » فيحدث العامل قائلا « انت عامل . . والعمال قضية هى قضية الكادحين والمرهقين وهذه القضية ليست وليدة احداث هذا العام بل ولا احداث هذا القرن . فقضية العمال مشكلة اجتماعية خطيرة تناولها بالدرس والبحث والتصوير منذ اكثر من الفى عام اى منذ ان تحدث الفلاسفة الاقدمون أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو عن الطبقات وتوزيع الاعمال على الطبقات ونصيب كل طبقة من الاشتراك والمساهمة فى الانتاج . . »

ثم يروى الدكتور السكري فى نفس المقال قصة القبض عليه
وكان من الطبيعى ان يجمع العمال شملهم وأن يتكتلوا فى نقاباتهم المشروعة وأن يعتمدوا على جهود المخلصين منهم فى مطالبة اولى الامر بالحد من هذه السيطرة (سيطرة اصحاب المصانع) ، وبينما نحن فى نقابة من هذه النقابات نطلب اصول عدد الضمير لاصداره فى موعده اول يوليو اذ فوجئنا بحصار عسكري من البوليس السياسى وزج بنا فى حجز بقسم الازيكية . .
وهكذا يتضح لنا ان نفس المجموعة (المدرک - العسكري - طه سعد

١ - الضمير ، ٢٤ - ٦ - ١٩٤٦ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - الضمير ، ٨ - ٧ - ١٩٤٦ .

عثمان » كانت تعد أصول المجلة ثم يتسلمها الدكتور السكري ليعود بها
الى بنى سويف حيث تطبع هناك فى مطبعة العميرى ..
والقبض على الدكتور السكري تم فى مكان تسليم الاصول .. وهو
مقر احد النقابات بدائرة قسم الازبكية .. ونعتقد انه كان مقر « لجنة العمال
للتحرير القومى » وعنوانها ١ شارع الباب الشرقى بالازبكية ..

ومجلة « الضمير » مجلة قديمة اصدرها الدكتور السكري قبل سبع
سنوات من انفاقه مع محمود العسكري على اصدارها كلسان حال « للجنة
العمال للتحرير القومى » ويبدو ان الدكتور السكري كان قد تخلى عن المجلة
قبل ذلك لعدد من طلاب الجامعة ليصندروها باسمهم .
يقول طه سعد عثمان فى مذكراته « كان العدد الاول من مجلة
« الضمير » قد طبع فى مطبعة المكتب الدولى للطبع والنشر بالجيزة وهى
المطبعة التى كانت تطبع فيها عندما كان يصدرها بعض طلبة الجامعة » (١) .
وقد صدر من « الضمير » قبل ان يتولى ادارتها محمود العسكري حوالى
٢٧٢ عددا نقول حوالى لاننا لا نعرف بالضبط موعد صدور اول عدد تحت
اشراف العسكري ..

ومذكرات طه سعد عثمان تمدنا بالتواريخ التالية ..
● ٢٩ سبتمبر ١٩٤٥ موعد انعقاد المؤتمر العالمى للنقابات
بباريس .

● حوالى ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ عقد اجتماع فى منزل يوسف درويش
استمر ثلاثة ايام وفيه .. « اقر ما اتخذ الزميل محمود محمد العسكري من
استئجار مجلة « الضمير » الاسبوعية من صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور
عبد الكريم احمد السكري ، وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر
المذكر الى باريس مباشرة وفيه افتتاحية منه » .

● ٨ أكتوبر ١٩٤٥ تاريخ صدور برنامج لجنة العمال للتحرير
القومى ..

● وتشير المذكرات ايضا الى انه فى اثناء طبع العدد الثانى من
مجلة « الضمير » تم طبع برنامج لجنة العمال للتحرير القومى وبيانها فى
نفس المطبعة .

● وتقول المذكرات ايضا وفى « الساعة الخامسة من مساء الخميس
٥ أكتوبر ١٩٤٥ غادر الزميل محمود العسكري مطبعة المكتب الدولى للطبع
والنشر حاملا معه العدد الثانى لمجلة « الضمير » (٢) .

١ - الكاتب ، يوليو ١٩٧١ ص ١٨٦ .

٢ - الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

● وفي حديث صحفي أجرته مجلة « الضمير » مع محمد يوسف المدرك بعد عودته من باريس قال « تعلمون اني وصلت باريس في مساء ٢٧ سبتمبر » (١) .

ويشير طه سعد عثمان في مذكراته الى ان المدرك قد غادر الى باريس بالطائرة ..

وتحت أيدينا عدد من « الضمير » نعتقد انه العدد الرابع من المجموعة التي صدرت بإشراف العسكري وتاريخه « الاربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ » ولا مجال للشك في أي خطأ في تاريخ العدد فالاعداد بعده سلسلة بتاريخ صحيح فالعدد التالي تاريخه الاربعاء ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ .. وهكذا .

والاربعاء السابق هو ١٠ أكتوبر وهو ما نعتقد انه تاريخ صدور العدد الثالث والاربعاء الذي يسبقه تاريخه ٣ أكتوبر وهو ما نعتقد انه موعد صدور العدد الثاني ولا بأس من ان يكون قد تم طبعه مساء الخميس فهذه مسألة طبيعية في إطار مجلة « كالضمير » ..

نصحح اذن التواريخ التي أوردها طه سعد عثمان بفارق يوم واحد .. وهو فارق محتمل .. فالعدد الثاني تسلمه محمود العسكري من المطبعة مساء الخميس ٤ أكتوبر وليس ٥ أكتوبر ..

وبهذا يكون موعد صدور اول عدد من « الضمير » كمجلة يسارية بإشراف مجموعة تستهدف بناء حركة عمالية يقودها تنظيم ماركسي هو الاربعاء ٢٦ سبتمبر . وهو ما تؤكد مجلة « الضمير » ذاتها عندما قالت في عددها الصادر في ٢٤ يونيو ١٩٤٦ قائلة « يعرف قرار « الضمير » انها ظهرت في ثوبها الجديد في الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ معبرة عن آمال وأهداف الطبقة العاملة المصرية » .

ويكاد ذلك يتفق مع ما أشار اليه طه سعد عثمان في مذكراته عندما قال « وتقرر ان يصدر العدد الاول منها بعد سفر المدرك الى باريس مباشرة » ولا بأس ان يكون العدد قد تأخر يوما .. انتظارا لسفر المدرك وحتى لا يعوق صدوره سماح السلطات له بالسفر .

والمجموعة التي بين أيدينا لتجرى عليها الدراسة يمكن القول بانها ناقصة لكنها نادرة ..

فالغريب في الامر ان فهارس الدوريات في دار الكتب والوثائق المصرية لا تتضمن مجموعة أعداد « الضمير » .. ولسنا نتصور أي مبرر معقول لذلك .

لكننا أمكننا العثور على مجموعة تضم ثمانية أعداد من مجلة «الضمير» * .

تبتدىء بالعدد ٢٧٤ الصادر في الاربعاء ١٧ أكتوبر ١٩٤٥ وهو العدد الذي قلنا اننا نعتقد انه العدد الرابع وتنتهى بالعدد الاخير الصادر في ٨ يوليو ١٩٤٦ . ومن المتيقن انه العدد الاخير لانه في ١١ يوليو ١٩٤٦ القى ترخيص هذه المجلة ضمن حملة صدقي الارهابية الشهيرة .

ونلاحظ ان العدد ٢٧٤ قد طبع في مطبعة المكتب الثقافي الدولي بالجيزة ، لكن الاعداد اللاحقة كانت تطبع تقريبا كل عدد في مطبعة مختلفة وربما كان ذلك بسبب ضعف الامكانيات المادية ، حيث اعتاد اصحاب المطابع تأجيل بعض تكاليف الطبع لما بعد اصدار العدد ، ويحل موعد السداد بطبيعة الحال قبل طبع العدد التالي ومن هنا يكون اللجوء الى مطبعة اخرى تخلصا من دين يتعين سداده فورا ، وربما كان السبب مطاردة البوليس للمطابع وتحذيرها من طبع أمثال هذه المجلات ، المهم ان العدد ٢٧٥ مطبوع في مطبعة دار اللواء ، و ٢٧٦ في مطبعة الواجب وهكذا . .

وعندما قبض في اول يناير ١٩٤٦ على المدرك والعسكري وطه سعد عثمان ثم أفرج عنهم في مايو من نفس العام نلاحظ ان المجلة تعاود الصدور ولكنها تصدر هذه المرة من بنى سويف وكانت تطبع في مطبعة العميري ، التي تعرض اصحابها هم ايضا للقبض عليهم كما تشير مجلة «الضمير» . هاجم البوليس في بنى سويف تحت رئاسة رجال المباحث منزل رئيس تحرير هذه المجلة في الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثلاثاء ٢٥ الماضي واجرى تفتيشا دقيقا ولم يعثر على شيء . كما أجرى تفتيش منازل اصحاب مطبعة العميري ببنى سويف في نفس الوقت ، وبالرغم من انه لم يعثر في المنازل على شيء مطلقا فقد سيق اصحابها الى بندر البوليس حيث ظلوا حتى مطلع الشمس » (١) .

كذلك نلاحظ ان العدد ٢٧٥ الصادر في ٢٤ أكتوبر ١٩٤٥ وبرغم ان تاريخه لا يتضمن اي ايماء بتأخر صدوره يتضمن في صفحته السابعة اعتذارا يقول « تأسف مجلة «الضمير» عن تأخير ظهور هذا العدد في موعده وذلك لاسباب خارجية اطلاقا عن ارادتها . وتأمل الا توضع في سبيلها عقبات كالتى وضعت هذا الاسبوع » .

كذلك نلاحظ ان العدد التالي ورقمه ٢٧٦ قد صدر متأخرا اسبوعا كاملا ففي حين ان موعد صدوره كان الاربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ فانه قد صدر في الاربعاء التالي اي في ٧ نوفمبر دون اية اشارة الى تأخر صدوره . . اما العدد ٢٧٧ الصادر في ١٤ نوفمبر ١٩٤٥ فيتضمن خطأ مطبعيا في رقم العدد . . اذ يبقى ٢٧٦ . . وهو خطأ واضح .

* يتعين ملاحظة ان اولى الكاهن والمتاعيل الفلسطينيين عبد القادر يس حقه من الشكر .
لقد اتاح لي ترصة الحصول على هذه المجموعة .
١ - الضمير ، ٨ - ٧ - ١٩٤٦ .

والمجموعة التي بين أيدينا ينقصها العدد ٢٨٠ وموعد صدوره ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ وثمة دلائل تؤكد صدور هذا العدد في مواعده أهمها ما يشير إليه طه سعد عثمان في مذكراته من أن محمود أمين قد كتب « أول مقال نشر له في مجلة » الضمير ، بعنوان سلطان الضمير أجدى على المجتمع من سلطان القانون ونشرت بالعدد ٢٨٠ الصادر في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٥ « (١) . وعندما قبض على محرري المجلة في الفترة من ٢ يناير ١٩٤٦ وحتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ (٢) توقفت عن الصدور لفترة طويلة ولم تعاود الصدور الا في ٢٤ يونيو . .

وقد صدر من المجلة بهذه الكيفية ثلاثة اعداد اولها اشير اليه على انه « العدد التاسع من السنة الثامنة يوم الاثنين ٢٤ رجب - ٢٤ يونيو » . ونلاحظ ان الترقيم القديم المسلسل قد اختفى ، وان الاسم الوحيد الذي ظهر في هذه المجلة كان اسم الدكتور عبد الكريم السكري . . وفي رأس الصفحة الاولى اختفى اسم محمود السكري كمدير للادارة . . وان كان قد أبرز في نفس المكان ان الضمير هي « لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة - القاهرة - شارع الباب الشرقي - الازبكية » وفي الصفحة الاخيرة من نفس العدد اشارة الى ان جميع المراسلات والمقالات ترسل باسم محمود العسكري ، مكتب الطبقة العاملة للبحث والنشر - ١ - شارع الباب الشرقي » .

ونلاحظ انه لم يشر الى محمود العسكري كمدير للادارة - كذلك لم يذكر اسم طه سعد عثمان كسكرتير للتحرير ، واستمر الامر كذلك حتى العدد الاخير .

وهكذا فان مجلة « الضمير » كمثير يسارى قد صدرت في الاسبوع الاخير من سبتمبر ١٩٤٥ واستمرت حتى ١٩ ديسمبر ١٩٤٥ (وفقا للمجموعة التي بين أيدينا) صدر خلالها ثمانية اعداد . . ومن المؤكد أن المجلة قد توقفت عقب القبض على محرريها في ٢ يناير ١٩٤٦ واستمرت متوقفة حتى عاودت الصدور يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٦ لتصدر كل اثنين بدلا من كل اربعة .

والذي يقوى لدينا الاعتقاد بأن المجلة قد توقفت في ١٩ ديسمبر وأن مجموع ما صدر منها في هذه المرحلة هو ثمانية اعداد فقط . ان المجلة عندما عاودت الصدور وألغت الترقيم المسلسل اشارت الى ترقيم جديد هو « العدد التاسع من السنة الثامنة » .

وعلى أية حال فلم يصدر من المجلة بعد ذلك الا ثلاثة اعداد آخرها هو العدد « الحادى عشر من السنة الثامنة بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ » . ولدينا في المجموعة التي تحت أيدينا عدان من الاعداد الثلاثة هما

١ - الكاتب ، يناير ١٩٧٢ ، ص ١٣٩ .

٢ - الكاتب ، فبراير ١٩٧٢ ، ص ٣٩ .

العدد التاسع والعدد الحادى عشر .
وهكذا فان دراستنا للمجلة « الضمير » كلسان حال للجنة العمال
للتحرير القومى ... الهيئة السياسية للطبقة العاملة سوف تتناول كل الاعداد
التي صدرت منها بهذه الصفة باستثناء عددين مفقودين من المجموعة هما:
العدد ٢٨٠ والصادر فى ١٢ ديسمبر ١٩٤٥ والعدد العاشر من السنة الثامنة
ويفترض ان تاريخه اول يوليو ١٩٤٦ . وباستثناء الاعداد الثلاثة
الاولى .

★ ★ ★

ثمة ملاحظة أخرى وهى أن الاعداد الثلاثة الاخيرة التى طبعت بمطبعة
العميرى مبنى سسويف كانت تختلف من حيث الشكل والتيبوضيب
والاكشيهات عن الاعداد السابقة . . . كذلك فانها اكثر بدائية فتاريخ
العدد التاسع يذكر اليوم والشهر دون ذكر السنة . . . كذلك كانت صفحات
العدد الاخير غير مرقمة .

وثمة تغير آخر لم يطرأ الا فى آخر عدد . . . وهو اضافة شمسار فى
رأس الصفحة الاولى يقول «الحق لا يقهر» . والحرية لا تقهر» . وثمة اضافة
أخرى هى بدء المجلة فى نشر شعارات حماسية . . . فى الصفحة السادسة
(وهى غير مرقمة) برواز يقول «الضمير مجلة الجهاد الشريف لتدعيم وسائل
العدالة الاجتماعية والتحرير القومى» . مجلة النضال المشروع المنظم للتأييد
حقوق الطبقة العاملة وحب العمل» .
. . . ثم ألقى ترخيص لمجلة . . . وتوقفت عن الصدور .

★ ★ ★

وقد كان القبض على محررى «الضمير» فى يناير ١٩٤٦ مثارا لموجة
استياء وسط صفوف العمال . . . وتفسير وثائق عديدة الى ذلك .
فى الخطاب الدورى رقم ٣ لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى تدعو
اللجنة التحضيرية للنقابات الى الاحتفال بعيد اول مايو وتدعوهم أيضا الى
ان يتذكروا « أن زمامكم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكري . . .
وطه عثمان مودعون منذ أكثر من ثلاثة أشهر تحت كلمة الحبس الاحتياطى
لأنهم دافعوا عن قضية الحركة النقابية والعمالية . . . » (١)
كذلك لجأت اللجنة التحضيرية الى تنظيم حملة عالمية وطالبت الاتحاد
العالمى للنقابات بالتدخل للمطالبة بالإفراج عن العمال الثلاثة المعتقلين .

١ - نص خطاب مؤرخ ٢٨ أبريل ١٩٤٦ - ورد بمذكرات طه سعد عثمان - مجلة

الكتاب - فبراير ١٩٧٢ - ص ٤١ .

وبالفعل أرسل مصطفى العريس ممثل عمال الشرقين الأدنى والأوسط في اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العمالية برقية إلى اسماعيل صدقي رئيس الوزراء يقول فيها :

« منذ أكثر من ثلاثة أشهر ألقت السلطات المصرية القبض على بعض المناضلين النقابيين منهم محمد يوسف المدرك ومحمود محمد العسكري وطه سعد عثمان بسبب نشاطهم النقابي ودفاعهم عن مصالح العمال والشغيلة المصريين . وبالرغم من عدم وجود أي مسئولية عليهم تستدعي توقيدهم أو محاكمتهم فانهم مازالوا في السجن يسامون أنواع العذاب والشقاء . . احتج أشد الاحتجاج على المعاملة السيئة التي يعامل بها الموقوفين في السجن . . وأطلب الإفراج عنهم وإعادة الحرية اليهم ليعودوا إلى ميدان النضال إلى جانب الشعب المصري العزيز في سبيل حرية مصر وكرامتها . وفي سبيل استقلالها وبعاد الجيوش الأجنبية عنها » (١) .

كذلك أرسل إبراهيم بكري باسم عمال سوريا برقية احتجاج مماثلة .

وأضرب المعتقلون عن الطعام في ٥ مايو ١٩٤٦ . وأثار اضطرابهم موجة استياء في صفوف العمال . . وانتهى الأمر بالافراج عنهم في ٣٠ مايو ١٩٤٦ .

والذي يهمنا في ذلك كله ان هذه القضية كانت متعلقة بمجلة «الضمير» . . فقد أسميت «قضية مجلة الضمير» وقد حكم فيها ببراءة المدرك والعسكري وحبس طه سعد عثمان ثلاثة أشهر مع الشغل وتغريم الدكتور عبد الكريم العسكري عشرين جنيهًا (٢) وكانت التهمة كتابة مقالات في مجلة «الضمير» تحض على كراهية النظام القائم وطبقة الرأسماليين . ولم تكن هذه هي عملية الارهاب الوحيدة التي تعرض لها محررو مجلة «الضمير» .

فقد شاهدنا كيف أعيد القبض عليهم في ٢٥ يونيو ١٩٤٦ ومعهم هذه المرة الدكتور العسكري . كذلك قبض في نفس الوقت على أصحاب مطبعة العمري بينى سوييف التي كانت تطبع المجلة .

ويشير العدد الأخير من «الضمير» إلى مطاردة أخرى «استدعى حضرة الاستاذ محمد أمين حماد وكيل نيابة الصحافة والنشر الدكتور العسكري وحقق معه في نشرة (قرار مؤتمر العمال) ، وبعد التحقيق كلف أن يدفع كفالة قدرها عشرة جنيهات دفعها وأخل سبيله » (٣) .

وفي ذلك الحين كان محمود العسكري وطه سعد عثمان مسودعين في السجن هما وعدد آخر من النقابيين منهم حسين كاظم ومراد القليوبي وغيرهما

١ - المرجع السابق ج ٣ ص ٥١ .

٢ - الكاتب ، يوليو ١٩٧٢ ص ١٤٥ .

٣ - الضمير ، ٨ - ٧ - ١٩٤٦ .

ونشير (الضمير) الى أنهم قد قدموا معارضة في حبسهم في ٢٩ يونيو وتقرر رفض المعارضة واستمرار حبسهم أربعة عشر يوما (١) .

كذلك نود أن نشير الى ان مجلة «الضمير» كانت تعتمد الى حد كبير في توزيعها على العمال والنقابات . وقد أكد ذلك كثيرون من معاصريها الذين أتاحت لي فرصة الحديث اليهم . . ويؤكدوا أيضا أن معظم أعداد المجلة تتضمن الرجاء التالي في بروائ في الصفحة الاولى وترجو ادارة المجلة من جميع الزملاء الذين وصلت اليهم الأعداد السابقة مسواء اكانت لهم للتوزيع أو لنقاباتهم أن يبادروا بارسال ثمنها للادارة مع الشكر .

وأخيرا نود أن نشير الى ملاحظتين هامتين : الاولى ان «الضمير» بالرغم من انها تأسست مثلها مثل «الفجر الجديد» نتيجة لجهود مجموعة ماركسية (مكونة من ثلاثة أشخاص: صادق سعد - ريمون دوبك - يوسف درويش وانضم اليهم رابع هو أحمد رشدي صالح) الا أن المساهمين فيها ظلوا بعيدين تماما عن أية معلومات متعلقة بالنشاط السري أو عن النظرية الماركسية . فان أسلوب الامن الصارم والحلقى الشديد الحلقية قد أغلق الحلقة الرباعية على نفسها تماما ، وظلت رغم صلاتها عن طريق «الضمير» و «لجنة العمال للتحرير القومي» ، تخشى تماما الإشارة من قريب أو بعيد الى امكانيات توسيع الحلقة الرباعية وتحويلها الى تنظيم .

ولم يصبح متاحا أمام المدرك وطه . سعد عثمان والعسكري أن يعرفوا شيئا عن التنظيم السري الماركسي وأن ينضموا اليه الا بعد ضربة صدق في ١١ يوليو ١٩٤٦ التي أغلقت كل المنافذ العلنية والقانونية ، ولعل هذه الهزة كانت ضرورية لايقاف المجموعة الرباعية واجبارها على الانفتاح على رجالها ومفاتحتهم وضمهم الى الحلقة للتحويل الى تنظيم . ويؤكد ذلك كل من صادق سعد ويوسف درويش في مناقشات أجريتها معهما ويؤكد طه سعد عثمان في مذكراته التي نشرت في مجلة «الكاتب» . . والتي قال فيها « ولعل من المستغرب (رغم انه حقيقة) - اننى حتى خروجي من السجن في آخر مايو ١٩٤٦ لم تكن لي صلة تنظيمية » (٢) .

١ - المرجع السابق .

٢ - الكاتب ، أبريل ١٩٧٢ . ص ١٤٦ .

وكان لابد لهذا الموقف المتسم بالحرص والامان المبالغ فيهما والذي يصل الى حد الحلقية (اربعة اشخاص ظلوا كما هم اربعة اشخاص دون اية زيادة ولعدة سنوات اتسمت بالتفجر الثوري والمد الوطني والديمقراطي والماركسي العاوم) كان لابد لهذا الموقف من أن ينعكس بالضرورة على أسلوب تناول «الضمير» للمشكلات والقضايا فهي برغم كونها صحيفة يسارية - مافى ذلك شك - الا إنها كانت تكتفى بمسحة ديمقراطية ونقابيسية ذات طابع يسارى .. فى هذه الحدود فقط دون أى تطرق لقضايا تتعلق بالصراع الطبقي او بالعمل الماركسي .

والملاحظة الثانية هي انه فى وقت سابق على صدور «الضمير» .. وعلى تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومى » كانت الحركة المصرية للتحرير الوطنى وايسكرا تمارسان كلاهما نشاطا واسعا وسط الطبقة العاملة سواء فى منطقة شبرا الخيمة (حيث تركز نفوذ « لجنة العمال للتحرير القومى » - ومجلة «الضمير» اساسا) او فى التجمعات العمالية الاخرى .. وتأسس مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الاهلية الذى اصدر نشره غير دورية باسم « المؤتمر » والذي اوفد هو ايضا مندوبين الى مؤتمر الاتحاد العالمى للنقابات بباريس تم سارع اعضاؤه بالعمل على تأسيس مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى .

ومن هنا فان متابعة آراء ومواقف مجلة «الضمير» تعنى متابعة احادية الجانب ولجماعة محددة بذاتها ، هي بالضرورة جزء صغير من نشاط كان عارما ومنجتما فى ذلك الحين .

وفى هذا الصدد فاننا يجب ان نضع كثيرا من تقييمات طه سعد عثمان التى اورودها فى مذكراته ، وكذلك نشاط مجلة «الضمير» واتجاهاتها وآرائها فى الاطار الموضوعى الصحيح وهو انها كانت مجرد تقييمات وآراء واتجاهات لحلقة صغيرة .. مجرد موجة واحدة من تيار جارف محتدم .

والآن .. نستطيع ان نبدأ فى تقليب صفحات مجلة «الضمير» محاولين تتبع مواقفها وآرائها واتجاهاتها العامة .. ويمكن القول بان مجلة «الضمير» قد ركزت جهودها حول نقاط اربع اساسية :

- نشر الوعي السياسى بين العمال . وحتم على ضرورة تكوين منبر عمالى مستقل وعلنى يمثلهم ..
 - الدفاع عن الحريات النقابية والحريات الديمقراطية عامة ..
 - التوعية بضرورة التضامن العمالى العالمى .
 - التوعية بضرورة التضامن العربى .. والاهتمام بالمشكلة الفلسطينية بشكل خاص .
- وسوف نحاول ان نستعرض مواقفها تجاه هذه القضايا الاربعة ..

ولعل النقطة الاولى كانت حجر الزاوية فى سياسة « الضمير » ذلك ان المنطلق الاساسى لتأسيس لجنة العمال للتحرير القومى ، التى لم تكن « الضمير » سوى لسان حال لها هو كما قال طه سعد عثمان « فقدان الطبقة العاملة المصرية ثققتها فى التنظيمات السياسية القائمة وفى امكانية ان تعبر تلك التنظيمات عن مصالح العمال » . ويمضى طه عثمان قائلا « ان المد الثورى الوطنى كان يحتم وقتئذ تكوين تنظيم سياسى للطبقة العاملة المصرية لتخليص الطبقات الشعبية الاخرى من سيطرة الاحزاب » (١) .

وعلى نفس النغمة تعزف « الضمير » فى مقال بعنوان « الى الامام .. طبقة العمال فى ميدان السياسة » واذا كانت مجلة « الضمير » قد استخدمت أسلوبا يتسم بالمبالغة والتهويل بادئة المقال « قد ظهر فى افق السياسة المصرية برنامج « لجنة العمال للتحرير القومى » ، ذلك البرنامج الرائع الفذ الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة فى هذا البلد الا احصاها وهذبها واصلح من شأنها بما يتفق ومصالح الشعب الحقيقية ، ذلك البرنامج الذى اهتزت له قلوب الشعب المصرى الكادح فرحا وابتهاجا وتأييدا وارتعدت منه فرائص المستعمرين المستغلين خوفا وهلعا ، وكيف لا يخافون ولا يهلعون وقد وثبت العمال من رقدها ، وتيقظت من غفلتها وخرجت عن صمتها وأزاحت النقاب عن وجهها ونظرت بعيني رأسها الثاقبة فعرفت ما لها وما عليها كطبيعة لها كيائها وقوتها الهائلة فى ترجيح كفة العدالة الاجتماعية العالمية » . اذا كانت « الضمير » قد استخدمت هذا التهويل الساذج فان كاتب المقال وهو العامل « شاكر شلبي » قد حاول ان يصنع برنامجا اجتماعيا مبسطا معلنا « اننا لا نريد فقرا ولا جهلا ، ولا نريد عطلا ولا مرضا . ولا نريد استعمارا ولا استغلالا ، ولا نريد فرقة ولا تناحرا ولا نريد ظلما ولا عسفا ، ولا نريد جورا ولا استبدالا ، ولكننا نريد علما وعملا ، نريد حرية واستقلالاً ، نريد اخاء واتحادا ، نريد نزاهة وعدلا ، نريد خبزاً وكساء نريد جيشاً قويا عدة وعقادا ، نريد امنا وسلامة واطمئنانا » (٢) .

والعمال هم كتيبة طليعية فى المعركة الوطنية .. هكذا يؤكد محمود العسكري فى مقال بعنوان « وطنية العمال » العمال وطنيون قبل كل شئ لانهم يفهمون معنى الوطنية الحقيقية ولذلك تجددهم دائما فى طليعة الحركات التحريرية ، يبذلون جهودا جبارة فى سبيل حرية بلادهم واستقلالها من نير الاستعمار الاجنبى » .

ويمضى محمود العسكري قائلا « ان العمال أصــــــدق من غيرهم فى وطنيتهم ، لان الخطر المباشر والغير مباشر من ناحية الاستعمار واقع عليهم وحدهم ، فالاستعمار هو الذى يجوعهم والاستعمار هو الذى يسد فى وجوههم ابواب العلم والعرفان .. ان العمال اكثر من غيرهم استعدادا للتضحية لانهم يفهمون تماما ان الاستعمار وضعهم فى سجن الوطن وجردهم من جميع الحريات

١ - الكاتب ، يوليو ١٩٧١ .

٢ - الضمير ، ١٧ - ١٠ - ١٩٤٥ .

الانسانية وحرس عليهم جلاديهم لكي يضعفوا شوكة النضال في الطبقة العاملة
طلبة الشعب الكادح » .

لكن هذه الفكرة تقود صاحبها الى خطأ سياسى فادح لست أدري ان كان
قد فات على عامل مستجد - فى ذلك الحين - فى ميدان السياسة كمحمود
العسكرى ، كيف فات على سياسى منضرم مثل يوسف درويش وقد كان
المسؤول الاول والاخير عن المجلة - فالمقال يضى قائلا ..

« ان الطبقة العاملة دائما فى طليعة الحركات التحريرية ، بل عليها
وحدها تقع مسئولية تحرير ارض الوطن من المستعمر المستبد . ولذلك تجدها
فى ثورة ١٩١٩ كانت وحدها وبموازنة الطلبة الاحرار فى طليعة النضال
الوطنى .. »

ولست أعتقد انه كان صحيحا .. لا فى عام ١٩١٩ ولا فى عام ١٩٤٥
ان الطبقة العاملة كان يقع عليها وحدها مسئولية تحرير الوطن .
وانصافا للرجل فانا نلاحظ ان يختتم مقاله داعيا اصحاب الاعمال
الوطنيين « ان يضعوا ايديهم فى يد العمال ليحاربوا عدو الوطن ..
الاستعمار » (١) .

واذا كان العمال هم العدو رقم ١ للاستعمار فان « الاستعمار - عدو
العمال رقم ١ » هكذا يكتب « اسكندراني » وهو توقيع مستعمار نعتقد ان
صاحبه « لطفى عزوز » لانه كان هو وأخيه المحور الاساسى لنشاط هذه
المجموعة فى الاسكندرية وكانا يكتبان ايضا وفى نفس الوقت فى « الفجر
الجديد » احيانا باسم حقيقى واهيانا بتوقيع « اسكندراني » ايضا ..
يقول « اسكندراني » ان الاستعمار يسرق الشعب المصرى مرتين : الاولى
عند شرائه القطن وغيره من المحصولات بثمن بخس ، والثانية عندما يبيع
للمصريين منتجاته بسعر مرتفع ، والاستعمار يرتكب السرقة مرة ثالثة ايضا
يتآمر مع الرأسماليين واصحاب الاطيان المصريين ضد الشعب المصرى ، ولهذا
أصبح لا مفر للشعب المصرى من مكافحة الاستعمار البريطانى والاستغلال
الرأسمالى والطبقي معا اذا اراد ان ينهض ويتحرر من الويلات التى يعانىها .
وخاتمة المقال تقول « ان قضية العمال تتلخص فى كفاحهم ضد
الاستعمار والاستغلال وويلاتهم ، اى كفاحهم من اجل الحياة الحقة ، بل هى
قضية الشعب المصرى كله مركزة فى برنامج لجنة العمال للتحرير
القومى » (٢) .

ولعلنا نعود مرة اخرى لنلج بصيصا من المبالغة فى هذه الجملة
الاخيرة ..

وحول نفس القضية يكتب محمد يوسف المبرك مقالا فى ذكرى ١٣
نوفمبر بعنوان « ١٣ نوفمبر .. يوم الشعب .. ذكرى الثورة .. عيد
الجهاد » يقول فيه « لم يلبث الانجليز ان فطنوا لوجود طبقة المستغلين
فحاولوهم على الشعب ومالائهم على حساب العمال والفلاحين ليتقاسموا الغنائم
فيبقى الاستعمار ليحمى المستغلين ويبطش بالعمال من وراء استعمارهم ،

١ - الضيف ، ٧ - ١١ - ١٩٤٥ .

٢ - الضيف ، ٢٤ - ٦٠ - ١٩٤٥ .

ويسمح لهم بكل شيء في مقابل ان ينال كل شيء وهكذا يضيع على العمال كل شيء .

ثم يختتم المذكور قائلا : فهيا ايها الزملاء . . ايدوا برنامج لجنة العمال للتحرير القومي لتحقيق لمصر استقلالها الكامل . (١) .
وثمة مقال آخر يركز على ضرورة ان ينشط العمال من اجل مصالحهم الطبقية وأن يخلصوا أنفسهم وطبقتهم من برائن الاحزاب والطبقات الاستغلالية . .

والمقال بتوقيع محمد السيد يوسف الذي يدعو الشعب في عنف وصراحة الى الانفضاض حتى عن الوفد دون أن يذكر ذلك صراحة « أيها الشعب انتبه وفق من غفلتك ، وتطلع لمن وكلتهم على قضيتك ، أظهر بعضهم بعضا بأشنع صورة يأبأها الضمير الانساني . ظهوروا لنا بمظهر نهاشين سياسيين . شاكرين اليوم . ذمامين في الغد . كفى ! ان الشعب اليوم غيره في سنة ١٨٨٢ . كفى ! كفى ان الشعب اليوم رشيد نفسه وقد مسح توكيله ممن فضلوا الشهوات على المصلحة العامة » (٢) .

وتنشر « الضمير » رسالة وجهها يوسف المذكور باعتباره مسكرا عاما للجنة العمال للتحرير القومي الى أعضاء مجلس الامن الدولي وتقول الرسالة « ان شعب مصر الذي حارب الاستعمار وقام بثورة ١٩١٩ يطلب من الامم المتحدة وهو واثق بعزمها على توطيد السلام بتأكيد استقلال الشعوب ، أن تضع حدا للاستهتار بكرامته والانتقاص من سيادته . . ان شعب مصر يرى ان معاهدة ١٩٣٦ متناقضة تمام التناقض مع ميثاق الامم المتحدة ، بل انها مهدمة لمبادئه . . ان ميثاق الامم المتحدة ، يجبر انجلترا على جلاء جيوشها حالا عن مصر » (٣) .

والهام في هذه الرسالة هو ان « لجنة العمال للتحرير القومي » قد بدأت بذلك ممارسة دورها كتنظيم سياسي علني بالفعل . . مشاركة كل الاحزاب السياسية الاخرى التي بادرت في ذلك الحين بالتوجه الى مجلس الامن الدولي بعرائض وبيانات ورسائل .

وعلى أية حال فإن المذكور يلخص وجهة نظر المجموعة كلها تجاه الدور الذي كان يتعين على العمال كطبقة ان يلعبوه في ميدان السياسة قائلا : لقد تقدم الوعي في عمال مصر باطراد حتى بلغوا درجة تؤهلهم لقيادة الشعب الكادح ، وهم يسسرون قنما نحو تحقيق أهدافهم بخطوات ثابتة أكسبتهم تقديرا في الخارج والداخل وأصبح من المسلم به أن عمال مصر لا يقلون في الفهم والادراك عن عمال العالم الناضجين ، ولو انكر هذا ذرو الاغراض الهدامة من الرجعيين » (٤) .

وعندما القى القبض على محري « الضمير » . . وتوقفت المجلة عن

١ - الضمير ، ١٤ - ١١ - ١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ١٤ - ١١ - ١٩٤٥ .

٣ - المرجع السابق .

٤ - الضمير ، ٥ - ١٢ - ١٩٤٥ .

الصدور ثم عادت من جديد بعد فترة من الانحراج عنهم نشرت افتتاحية أكثر عنفاً وصراحة بعنوان « عدنا إلى ميدان النضال الحر الشريف » لنناهض الاستعمار أيا كان نوعه وفي أي بقعة من بقاع العالم ، لنحقق آمال الوطن ، لنحمي الإنسانية في أمن وسلام وسعادة » .

وفي هذه الافتتاحية تفتح « الضمير » النيران بعنف .. فالاستعمار « هو الذي يؤثر بطريق مباشر وغير مباشر على نظامنا الديمقراطي في الداخل فيقف حجر عثرة في سبيل نمو الأحزاب والهيئات والجماعات الديمقراطية والشعبية ويؤيد دائماً دكتاتورية الرأسمالية لكي لا يصل الشعب إلى حكم نفسه بنفسه لمصلحته ، بل يعمل الاستعمار دائماً على تأييد العناصر السياسية التي تربط بها مصلحة » .

« واليوم وقد عادت وظهرت « الضمير » إلى ميدان النضال حاملة مشعل النور إلى الطبقة العاملة والشعب المصري ، رافعة علم الجهاد المشروع مناهضة الاستعمار والاستغلال أيا كان نوعه وبأية صورة يظهر حتى تتحرر الإنسانية من الظلم والاستعباد ، ومن الجوع والحرمان لاتعرف لنا ولأمهاتنا لأن أقلام محروها تكتب للحق والعدل ومن أجل العدل والحق ظهرت » (١) .

ويحسم الأمر بشكل واضح في افتتاحية بعنوان « الشعب يرسم أهدافه وينظم صفوفه » وقعها « خيرى محمود » وهو اسم مستعار ليوسف درويش * نلاحظ فيها تركيزاً شديداً على الدور السياسى للعمال كطبقة ذات مصالح متميزة .. « لما أجريت الانتخابات النيابية في السنة الماضية كان العمال هم وحدهم الذين شرحوا أهداف الشعب وبدأوا في تنظيم الصفوف لهذا الغرض . فتقدم مرشحوا العمال في الاسكندرية وشبرا الخيمة مستندين على الكتل العمالية ولجانها الانتخابية ومستندين على برنامج أعدته تلك اللجان يربط قضية الاستقلال بقضية التحرر من الجوع والحرمان . فطالبوا بالجلد وباستقلال وادى النيل الكامل وطالبوه برفع مستوى العمال والفلاحين وصغار المنتجين وصغار الموظفين » .

ويركز خيرى محمود (يوسف درويش) على أهمية المنبر السياسى المستقل للطبقة العاملة « أن العمال لم يقبلوا تدخل السلطات والمتسيدين في نشاطهم النقابى فحاربوا كل محاولة لوضعهم تحت لواء هيئة من الهيئات السياسية التي لا تكون منهم وتحت مراقبتهم المتواصلة .. فالطبقة العاملة ترفض أن يقودها غيرها في معركة التحرير القومى ولا تثق إلا في نفسها لقيادة تلك المعركة . وهى إذ تتقدم لتحمل تلك المسئولية تعرف قدرتها ، طاقتها ، تعرف أنها هى وحدها التى يمكن بصراحتها وشجاعتها أن تنقذ أهل الريف من البؤس والمريض والفاقة . وتعرف كيف تربط العمال بالطبقة والمثقفين الأحرار » .

ويلخص الكاتب الوضع في إيجاز دقيق التعبير « حركتان تتقابلان ،

١ - الضمير ، ٢٤ - ٦ - ١٩٤٦ .

* أكد لي يوسف درويش ذلك في مناقشة أجريتها معه في ١ - ١١ - ١٩٧٣ .

حركة العمال غير واثقة الا في قيادتها .. وحركة الطلبة غير واثقة في القيادة القديمة ، (١) .

فاذا انتقلنا الى القضية الاخرى التي التزمت « الضمير » بالدفاع عنها . وهي الحقسوق والحريات الديمقراطية للعمال وللشعب عموما ، نجد أن « الضمير » قد كتبت عديدا من المقالات .. وتحت عنوان « الغاء الاحكام العرفية المؤقتة » لوضع احكام عرفية دائمة » كتب طه سعد عثمان يقول « أخيرا تمخضت الحكومة فأعلنت ، الغاء الاحكام العرفية من اليوم السابع من شهر أكتوبر ١٩٤٥ ، ويا ليت الحكومة لم تعلن ! ويا ليت الاحكام العرفية ما ألغيت على هذا النحو الشاذ المؤلم ! فقد ألغت الحكومة أوامر عسكرية مؤقتة وضعت في ظروف استثنائية واستبدلتها بقوانين دائمة ، فأصبحنا في عرف الحقيقة في احكام عرفية مستمرة » .

وختام المقال عتيف « أيها الشعب .. لقد سلبت حريتك ، وأصبحت في احكام عرفية دائمة وعليك وحدك أن تستخلص تلك الحرية التي ضحيت من أجلها بقوتك وبدماء أبنائك البررة الشهداء ! ان هذا لبده عهد جديد قد القى على الشعب تبعيات جديدة توجب عليه أن يتحمل عبء التحرير من الاستعمار والتخلص من الاستغلال والحصول على الحرية الكاملة التي تكفل للانسان المعيشة الهائلة ، فهل أيها الشعب ولا تهن : فلا بد ان يأتي اليوم الذي تصبح فيه مصدر السلطات » (٢) .

ولقد سعت « الضمير » الى ترسيخ مفهوم جديد للديمقراطية .. فان تمثيل العمال تمثيلا صحيحا في مختلف الهيئات هو السبيل لذلك .. وتحت عنوان « الآن يرتفع الصوت وتتجلى معاني الديمقراطية الصحيحة » تنشر « الضمير » المنشور رقم ١ للاتحاد النقابي بدمياط والذي يعلن فيه ترشيح مرشحين عماليين في انتخابات المجلس البلدى (٣) . لكن « الضمير » تبالغ في امكانيات الحريات السياسية في ظل المجتمع البرجوازي ، وتركز بصورة غير صحيحة على ما يمكن أن يحققه دخول عامل أو عمال في البرلمان البرجوازي .

وفي مقال بعنوان « السياسة حق للشعب » لا وقف على أفراد ، كتب طه سعد عثمان « ولأول مرة نزل العمال ومعلمو الاثزامي الى الانتخابات في الدورة الماضية ، ورغم ان اعداء الديمقراطية استطاعوا بمالهم وسلطانهم واحتيالهم ان يحولوا دون دخول واحد من مرشحي الشعب جميعهم الى البرلمان . فان ذلك كان كسبها ديمقراطيا عظيما اذ علم الشعب أن في استطاعته دخول البرلمان للاشراف على شئون الامة وتوجيه سياستها بعد أن أذاع المفرضون ومستغلوا الشعب ان الاغنياء وحدهم المستحقون للنسيابة

١ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ١٧ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٣ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ .

عن الامة « (١) » .

وتحت « الضمير » العمال على قيد اسمائهم في جدول الناخبين قائلة :
« ان المنتخب الذى يصوت لثائب هو الذى يعطى لهذا النائب الحق فى
ان يكون وزيرا او رقيبا على الوزير الذى يسير امور البلاد .. لكى تكون
شيئا فى هذه الامة سارع بقيد اسمك فى جدول الانتخاب » (٢) .

والحديث عن الديمقراطية يرتبط ايضا بالمشكلات الاجتماعية ، فهو
يرتبط بالتعليم « تهدف سياسة التعليم فى مصر اليوم الى البعد كل البعد عن
الديمقراطية الحقيقية فهي ترمى وتعمل قبل كل شئ الى ابعاد ومنع الطبقات
الشعبية من ان تنهل من مغارف العلم والعرفان .. هي تريد وتعمل دائما
على فصل برنامج التعليم ليجلس اولاد السادة فى مكان لا يجلس فيه
عبيدهم . أبناء العمال وأبناء الفلاحين » .

ويختتم محمد ابراهيم مقاله عن « سياسة التعليم والطبقات الشعبية »
قائلا « ان الشعب محروم من التعليم . ويرفض كل سياسة يضعها مستغلوه
وقاهروه الغرض منها ابقاءه فى مجاهل الظلم والهوان ، هو يريد سياسة
ديمقراطية تعليمية يضعها بنفسه تكون اقرب اليه .. هذا هو ما يطلبه الشعب

ويلج فى المطالبة به » (٣) .

والديمقراطية ترتبط ايضا بالاصلاح الزراعى ، فتنتقل « الضمير » عن
مجلة « الغد » الفلسطينية مقالا بعنوان « الاصلاح الزراعى وديمقراطية الحياة
الاجتماعية » ويأتى فى ختام هذا المقال « .. وهذا الاصلاح الزراعى فى
بعض البلاد الاوربية هو احد نتائج الحرب العالمية الثانية ، التى بها سبحت
الشعوب المحبة للحرية الفاشيست المستعبدين . وهو شرط ضرورى لنمو
وتوطيد الديمقراطية فى هذه البلدان وهو عامل رئيسى لضمان حرية الشعوب
والسلام بين الشعوب » (٤) .

اما فى مجال التوعية بضرورة الوحدة العمالية سواء على النطاق المحلى
او العالمى فيمكن القول بأنها كانت مهمة دائمة ومستمرة تلمحها فى كل عدد
من أعداد المجلة .

الحاج مستمر على ضرورة الوحدة .. التوحيد فى نقابات وتوحد النقابات
فى اتحاد عام .. وتركيز دائم على أهمية هذه الخطوة باعتبارها سلاحا
عماليا ماضيا .. وكان ذلك شيئا طبيعيا ومتوقعا من مجلة عمالية .. لكن
الجديد فى « الضمير » كان تركيزها على أهمية الوحدة العمالية العالمية ..
ومن هنا كان الاهتمام - المبالغ فيه أحيانا - برحلة المدرك الى باريس لحضور
مؤتمر النقابات العالمى وعودته .

فالرحيل والعودة وحفلات استقباله عند عودته والوفود التى ذهبت
لاستقباله بالاسبىكندرية استغرقت كثيرا من صفحات معظم أعداد
« الضمير » .

١ - الضمير ، ٢٨ - ١١ - ١٩٤٥ . ٢ - الضمير ، ٥ - ١٢ - ١٩٤٥ .
٣ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ . ٤ - الضمير ، ١٩ - ١٢ - ١٩٤٥ .

وكان الاهتمام بالانتماء الى الحركة العالمية مهما الى درجة أن محمود العسكري كتب مقالا بعنوان « ألفوا الاتحاد العام لنقابات العمال لتسير جنبا الى جنب مع عمال العالم » وفي هذا المقال قال العسكري ان مؤتمر اتحاد النقابات العالمي « هو أكبر مؤتمر شعبي عقد في العالم يجمع ممثلي شعوب العالم القوية والضعيفة ، الحرة والمستعمرة ، على قدم المساواة فأوجدوا في مؤتمرهم هذا حلفا قويا متينا بين شعوب العالم الكادحة البائسة الذين على يديهم وحدهم سيقرر مصير العالم ، وعلى يديهم وحدهم سترفرف راية السلام في أنحاء المعمورة » .

وفي ختام مقاله يبحث النقابيين المصريين على تأسيس الاتحاد العام قائلا « ألفوا الاتحاد العام يا قادة النقابات المخلصين .. ابعادوا الدخلاء ، وسدوا الثغرة لكي لا يتسللوا منها .. وحدوا النضال الاقتصادي والسياسي لكي نتحرر من الاستعمار والاستغلال ، من الحرمان والجوع » (١) .

وفي مقال بعنوان « توحيد الصفوف » يكتب محمد يوسف المدرك مهاجما العناصر المناهضة لوحدة العمال .. والرجعيين والانتهازيين الذين يحاولون تسليق هذه الوحدة ثم يصيغ في ختام مقاله « أفسحوا الطريق .. فقد أصبحت الطبقة العاملة المصرية جزءا من الطبقة العاملة العالمية ، والطبقة العاملة العالمية ترى من حقها ان تسير العالم الذي انقذته من براثن الفاشية . وهي بالذات ستصون العالم وجميع البلاد من آثار الرجعية المتعفنة والفاشية الكامنة في أي مظهر ومهما تلونت حتى ولو تلونت بالاصلاحية مدعية انها (اشتراكية) (٢) » .

وبالمناسبة فقد كانت المرة الاولى والوحيدة التي ورد فيها ذكر الاشتراكية في مجلة « الضمير » .

ويمكن القول ان « الضمير » قد لعبت دورا طليعيا هاما في إبراز وحدة الطليعة العاملة العربية والاهتمام بإبراز مظاهر التضامن بين العمال والنقابيين العرب .. وكثيرا ما فتحت صفحاتها لنقابيين عرب مثل ملخص عمرو وبولس فرج وهما من قادة النقابات الفلسطينية (٣) ومصطفى العريس من قادة العمال اللبنانيين .. كذلك فقد فتحت « الضمير » صفحاتها لنشر العديد من بيانات ونداءات عصبة التحرر الوطني في فلسطين (٤) .

ولعل « الضمير » كانت أول منبر عمالي يساري طالب بتأسيس اتحاد للعمال العرب ففي وصفها لحفل الاستقبال الذي أقامه عمال الاسكندرية للوفود العربية في مؤتمر باريس اكدت « الضمير » ان العمال الذين

١ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٢ - الضمير ، ١٩ - ١٢ - ١٩٤٥ .

٣ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ .

٤ - الضمير ، ٢٤ - ١٠ - ١٩٤٥ ، ٢٨ - ١١ - ١٩٤٥ .

حضرُوا الاحتفال قد طالبوا « بوجوب تأليف اتحاد عام لعمال الشرق العربى » (١) .

وفى وصفها لحفل نقابات عمال القاهرة لاستقبال الزميل المدرك عادت الى ابراز ان « الخطباء يطلبون تأليف الاتحاد المصرى للنقابات والاتحاد العربى للعمال العرب » (٢) .

لكن أبرز ما اهتمت به « الضمير » هو القضية الفلسطينية وقد استهل هذا الاهتمام خيرى محمود (يوسف درويش) فى مقال بعنوان « لن تمروا » جاء فيه :

« لن تمروا .. » هي الكلمة التي صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩١٦ يوم أن هجمت عليهم الفاشية العالمية بدباباتها واسلحتها وأموالها النازية والفاشية .. وهي الكلمة التي تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية فى وجه الصهيونية » .

ويمضى المقال قائلاً « ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة .. الاستعمار والاستغلال الجشع .. الفاشية أداة الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدخل والارهاب لتستمر فى استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية أداة الاستعمارية العالمية لجأت للشعوب العربية .. ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود فى البلاد التي ساد فيها حكم الارهاب .. فهي والفاشية مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً لا يحله الا النضال ضد أسباب الاضطهاد والتعسف والدفاع عن الحريات الديمقراطية » .

« ان الصهيونية لا تحل بالكرة مشكلة ستة عشر مليوناً من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف أديانها فى سبيل حريتها وديمقراطيتها » .

ويمضى المقال قائلاً « ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحادها وتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديمقراطية الأخرى ان توقف خطر الصهيونية الداهم » .

بل ان المقال يلوم جامعة الدول العربية على تهاونها فى مجابهة الخطر الصهيونى قائلاً « واذا كانت جامعة الدول العربية لم تتخذ الموقف الحازم القاطع الذى كان يتطلب منها فى هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة فى وفود العمال العرب فى مؤتمر نقابات العمال العالمى بباريس أمكنها باتفاقها أن تشعر عمال العالم بخطر الصهيونية على الانسانية .. وأمكنها أن تمنع دخول مندوب العمال الصهيونيين فى لجنة الاتحاد التنفيذية » (٣) .

ولم يكن هذا المقال سوى مجرد بداية ، فان معظم أعداد « الضمير » زاخرة بالهجوم على الصهيونية والدفاع عن حقوق الشعب العربى الفلسطينى .

وفى حديث مع ممثلى النقابات الفلسطينين فى مؤتمر باريس ملخص عمرو وبولس فرح أكد المندوبان « أن أبرز شيء ظهر فى هذا المؤتمر هو

١ - الضمير ، ١٧ - ١١ - ١٩٤٥ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - الضمير ، ١٧ - ١٠ - ١٩٤٥ .

ما أحرزته البلاد العربية والانسانية جمعاء ، بانتصار العمال العرب على الصهيونية » (١) .

وفي مقال كتبه محمود العسكري بعنوان « لا عنصرية بين العمال » نجد هجوما شديدا على الصهيونية باعتبارها « الخطر المباشر الذي يهدد الشعب الكادح في شقيقتنا فلسطين » بل وتهدد حياة الشعوب الكادحة في الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة ، بل وتهدد قصبة السلام العالمي . . لان الصهيونية هي الرأسمالية اليهودية الاستعمارية المتعفنه ، التي تضلل الشعب الاسرائيلي الكادح من عمال صناعيين وزراعيين لتستغلهم استغلالا بشعا في جوهرة مزرعها في مظهره . . تضع لهم السم في العسل باثارة النعرة العنصرية المضطهدة ، لتستغلهم هذا الاستغلال القذر ، وتعمى ابصارهم عن الحقيقة لمصلحة حفنة من الرأسماليين الصهيونيين المستبدين » (٢) .

وعديد من المقالات الاخرى ، بلاضافة الى عديد من بيانات عصابة التحرير الوطني في فلسطين والى حشد العديد من الاخبار عن النضال العربي ضد الصهيونية . . ففي صفحة اخبارية واحدة من احدى اعداد « الضمير » يمكننا ان نحصى ثمانية اخبار تشير الى نضالات مصرية وعربية ضد الحركة الصهيونية مثل « قرر زعماء سوريا ولبنان القضاء على الحركة الصهيونية السرية » و . . « أصدرت لجنة مكافحة الصهيونية في اتحاد الشباب العربي نشرة كشفت بها عن الاساليب التي ياتى بها اليهود لجعل فلسطين وطننا لهم ومزاحمة العرب فيها والحلول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب حفظا لحقوق العرب في وطنهم الشرعى » (٣) .

فاذا أضفنا الى ان هذا العدد ذاته يتضمن الحديث الذي أجسرى مع ممثلى عمال فلسطين ملخص عمرو وبولس فرح وايضا نص « بيان عصبية التحرير الوطني الى الشعب العربى الفلسطينى » يمكننا أن ندرك الى أى مدى كانت « الضمير » تولي هذه القضية اهتمامها .

والحقيقة ان اليسار المصرى عامة كان مبادرا بالكفاح ضد الخطر الصهيونى مبادرة مكنت يوسف درويش من أن يستحدث — فى مقال سبقته الإشارة اليه — جامعة الدول العربية كى تبذل جهدا حقيقيا فى مكافحة الخطر الصهيونى .

* * *

وواصلت « الضمير » مسيرتها . . ومع تصاعد حملة الارهاب أصبحت المصادرة — والحبس والتغريم نغمة مألوفة فى التعامل معها — ثم توقفت مع غيرها من الصحف التى ألغى الطابعية صلتها تراخيصها فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .

١ — الضمير ، ٢٤ — ١٠ — ١٩٤٥ .

٢ — الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ .

٣ — الضمير ، ١٤ — ١١ — ١٩٤٥ .

كانت حملة الارهاب العنيف التي شنها الطاغية صدقي في ١١ يوليو ١٩٤٦ قد فشلت برغم انها كانت أعنف حملة شنتها الرجعية المصرية الحاكمة ضد القوى الوطنية واليسارية . . فقد أغلقت كل النوادي التقدمية وأغلقت كل الصحف المعارضة ، الوفد المصري — البعث — الطلبة — أم درمان — الضمير — الفجر الجديد — الجبهة — اليراع . . وغلف ذلك كله في حملة دعائية عن القبض على أكبر قضية شيوعية .

لكن مصر ما لبثت ان استعادت أنفاسها سريعا ، وعادت تشن هجومها المضاد . . وأفرج القضاء عن المتهمين .

وخرجت « صوت الامة » لسان حال الوفد المصري بموضوع استغراق كل صفحتها الاولى كان عنوانه « خفايا قضية الشيوعية الكبرى . . قصص لم يسبق لها مثيل في التاريخ » اتهمت فيه صدقي بالتلفيق والتضليل والاحرام في معاملة المفاوض عليهم . . بل انها اتهمت حملته بأنها « حملة صليبية هتلرية » . . ولم يغت صدقي باشا أيضا ان يطبق عمليا ما تعلمه عن استاذة هتلر فكما كان هتلر يحارب خصومه الوطنيين الديمقراطيين تحت ستار محاربة الشيوعية والشيوعيين فقد فعل كذلك صدقي باشا بتجريد « حملة صليبية » على الكثيرين من الذين يسموهم لوطنيتهم وديمقراطيتهم فاتهمهم بالتآمر على قلب نظام الحياة الاجتماعية ، وتغيير المبادئ الدستورية الاساسية بالعنف . وجند رجال الحكومة وكبار المسئولين فيها للقيام بالحملة الصليبية الهتلرية « (١) .

. . كانت مصر تستعيد أنفاسها سريعا وتحركت الطبقة العاملة في اضرابات واسعة ، اضرب عمال شركة نسيج الفيوم بشبرا الخيمة واعتصموا بالمصنع واصطدم بهم البوليس واقتحم المصنع وطردوهم عنوة . . واضرب عمال شركة ياتا . . واضرب عمال شركة سبامى للنسيج . . وتصاعدت حركة الاضرابات العمالية « تصاعدا غير مسبوق » (٢) .

١ — صوت الامة ، ١٢ ، ١ — ١٩٤٧ .

٢ — طارق البشرى — مثال — مصر والثورة الاجتماعية ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — مجلة الكاتب

— يناير سنة ١٩٦٨ .

وكان أهم هذه الاضرابات اضراب عمال شركة المحلة الكبرى (١٠٠٠ ر.٢٣٩ عامل) واصطدمت جموع العمال المضربين بالبوليس وقسوات الجيش التي احتلت المدينة (١) .

... كانت مصر تستعيد أنفاسها ، وتشن هجوما مضادا باعتف وأشد مما تصور الرجعيون ، وفي هذا الخضم من الاحداث ، بل وتتويجا لها قرر تنظيم « الشرارة » (ايسكرا) ان يصدر « الجماهير » سلاحا في المعركة ، وتحديا لحملة ارباب القسويين ، وبديلا عن الاندية والمنابر العلنية ومختلف أوجه النشاط العلني التي صادرها صدقي ..

وقد تطلبت العلاقة بين « الجماهير » كمجلة علنية اسبوعية تصدر بشكل مباشر عن قيادة تنظيم « ايسكرا » وبين التنظيم نفسه نوعا من الترتيب الخاص ، حرصت قيادة « ايسكرا » على رسم خطوطه بشكل يكفل سيطرة كاملة من جانب التنظيم على المجلة وسياستها ويكفل في نفس الوقت امن التنظيم ، بحيث لا تصبح « الجماهير » مصيدة لأعضائه ..

وقد تكونت قيادة سياسة للجماهير مكونة من خمسة كوادر ايسكرا شهدي عطية الشافعي — عبد المعبود الجبيلي — سيدني سلامون — محمد سيد احمد — ايلي ميزان .

وكان شهدي مسئوليا للمجلة . وفي نفس الوقت استدعى عدد من كوادر « ايسكرا » للمشاركة في التحرير والتوزيع والاعمال الادارية الاخرى ..

فتولى « نقولا ورد » سكرتارية التحرير . بينما تولت مختلف مكاتب التنظيم الاشراف من خلال ممثلين لها على تحرير صفحات كل في اختصاصه ..

فدائرة الطلبة كانت نشرف على تحرير صفحة الطلبة والموضوعات الخاصة بالطلاب وتقوم بتحريرها من خلال ثلاثة مندوبين أساسيين (عبد المنعم الغزالي — جمال شلبي — سعد زهران) وكذلك دائرة العمال ودائرة النساء .

كذلك كانت خلايا التنظيم تقوم بتوزيع الجزء الاكبر من اعداد المجلة بينما يطرح جانب قليل من النسخ لدى بائعي الصحف .. وهكذا فان « ايسكرا » قد اقامت شبكة اتصال خاصة تقوم بتوصيل « الجماهير » الى القاعدة ومنها الى القاري .

وكان يشرف على عملية التوزيع في القاهرة ابراهيم المناسترلي وفي بحري عبد المنعم الغزالي .

وتغطية لابرار المجلة المختلفة تكونت مكاتب خاصة ، فقد تكون مثلا مكتب للشئون الخارجية يتولى دراسة قضايا السياسة الخارجية والاشراف

على تحرير المواد الخاصة بها في المجلة وضم هذا المكتب : محمد سيد أحمد -
أنور عبد الملك - روبرت ستون - إبراهيم المنسترلى - نقولا ورد .

وهكذا تكونت داخل « الجماهير » كمنبر علني شبكة من الأجهزة التنظيمية ذات الاختصاصات المختلفة . . . وكان لا بد من إيجاد شكل للربط بينها ومنع أي تدخل في اختصاصاتها ، وكذلك منع أية علاقات غير تنظيمية غير سليمة . . . وهكذا تكونت لجنة خاصة للتنسيق بين عمل هذه المجموعات المختلفة ومنع التدخل بينها ومنع العلاقات والاتصالات الجانبية وقد أسميت « لجنة تنظيم اللجان » وكان مسئولها سيدني سلامون .

ومن إبريل حتى مايو ظلت « الجماهير » مجلة لايسكرا ، وفي يونيو - يوليو ٤٧ تمت الوحدة بين الحركة المصرية للتحرير الوطني (ح . م) وبين تنظيم الشرارة (ايسكرا) وتأسست منظمة « الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني » (حدتو) وأصبحت « الجماهير » منبرا سياسيا لهذا التنظيم الجديد .

وبطبيعة الحال تغير المكتب السياسي المسئول عن المجلة بأن أبعد عنه اثنان أحدهما محمد سيد أحمد وأضيف إليه اثنان من ح . م هما كمال شعبان وعبد هب .

ويروي عبد هب قصة انضمامه «للجماهير» فيقول « الجماهير كانت أصلا مجلة ايسكرا قبل أن نتحد معهم ، وعندما اتحدنا في الحركة الديمقراطية كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسي والتنظيمي في جميع المستويات مسن ح . م ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيري من ايسكرا .

ونتيجة للوحدة صار ضمي إلى « الجماهير » كمسئول سياسي لكن شهدى عطية المسئول السياسي للمجلة أيام ايسكرا لم يقبل هذا الوضع . وبعد صراع اتفق على أن تشرف ل . م مباشرة على المجلة » (١) .

وثمة رواية أخرى مكمله لهذه الواقعة وهي أنه في أعقاب هذا الخلاف واستناد الإشراف السياسي إلى اللجنة المركزية . . . تولى كمال شعبان المسئولية التنظيمية في المجلة وتولى عبد هب مسئولية التوزيع *

وسرعان ما تغير شكل المجلة وأسلوب تحريرها ، وكان أهم تغيير هو حرص « الجماهير » على إبراز نفسها كمنبر علني لتنظيم شيوعي هو حدتو .

ولم يمر ذلك التغيير بسهولة ، فقد كان تعبيرا عن صراع مرير داخل القيادة الموحدة .

١ - راجع النص الكامل لحضر النقاش مع عبد هب في - د . راجعت السعيد .
اليسكرا المصري ١٩٢٥ - ١٩٢٠ ، المرجع السابق ص ٢٩٧ .
* إبراهيم المنسترلى .

مجموعة « ح . م » ترى انه يتعين فرض علنية العمل السياسى الحزبى من خلال تأكيد مشروعيتها رويدا رويدا ، وفرض هذه المشروعية خطوة خطوة .

بينما مجموعة « ايسكرا » ترى ان تستمر « الجماهير » منبر سياسى عام وان يظل النشاط الديمقراطى مستقلا تماما ومتباعدا عن العمل الحزبى وادا كان لا بد من اقامة خيوط بين العمل الحزبى السرى والعمل الديمقراطى العلنى فانه يتعين ان تكون خيوطا غير مرئية وأن تتم العلاقة فى سرية مطلقة .

وانتصر تيار « ح . م » . وبعد ان كانت « الجماهير » كمنبر لايسكرا لا يظهر فيها أى اسم علنى سسوى اسم محمود النبوى رئيس التحرير اما بقية الاسماء فكلها مستعارة لاحظنا ان العدد ١٦ الصادر فى ٢١ يوليو ١٩٤٧ يتضمن نص بيان صادر باسم « الحركة الديمقراطية للحرر الوطنى » وقد قالت « الجماهير » نبريرا لنشرها لبيان صادر عن تنظيم شيوعى سرى « جاءنا البيان التالى نقتطف منه ما يلى » وفى العدد التالى يظهر اول توقيع على المسئول السياسى عن المجلة « شهدى عطية الشساسافى » حيث كتب افتتاحية العدد بعنوان « اننا لا نريد اى استعمار انجليزىا كان ام امريكا » (١) .

ثم يوالى « شهدى » توقيع افتتاحية عندين تالين العدد ١٨ وعنوان افتتاحيته « الشعب يثن من الفلاء واقلية تتمتع بالفايلون والباكار » (٢) وافتتاحية العدد ١٩ « ايها الشعب عبر عن سخطك على الاستعمار » (٣) .

ونلاحظ ان نفس العدد يتضمن بيانا صادرا عن الحركة الديمقراطية للحرر الوطنى بعنوان « يا عمال الشحن بمينائى بور سعيد والسويس كافحوا فى سبيل اندونيسيا » .

وبعد ذلك اخذ «محمود النبوى» يوقع الافتتاحية من جديد حتى وقعت تغييرات اساسية فى « الجماهير » نتجت عن مشاكل تنظيمية داخل حدتو ، وذلك عندما تزعم «شهدى» وهو المسئول السياسى للمجلة ما أسمى «بالتكثل التورى» وانضم اليه انور عبد الملك وسعد زهران وحسين القمري وآخرون وتطلب الامر شل يد «التكثل» عن المنبر العلنى . . وهكذا كانت آخر افتتاحية كتبها شهدى بعنوان « كوليرا سياسية » (٤) وقد وقعها بالاسم الذى اعتسب التوقيع به فى الاعداد الاولى للجماهير وهو « حمدي » وتولى المسئولية السياسية عن « الجماهير » من بعده شخص آخر سترمز له بالاحرف « ع . ا » (فقد أعرب عن رغبته فى ألا يذكر اسمه) .

على اية حال فقد وقع هذا المسئول الجديد ما كتبه من افتتاحيات باسم

١ - الجماهير ، ٢٨ - ٧ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٤ - ٨ - ١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ١١ - ٨ - ١٩٤٧ .

٤ - الجماهير ، ٢٨ - ٩ - ١٩٤٧ .

« محمد عباس » وهو على وجه اليقين اسم مستعار ، وذلك حتى لا يظن بعض الباحثين ان كاتب هذه الافتتاحيات هو محمد عباس سيد أحمد الذي كان في البداية احد مسئولى الجماهير ، ثم ترك العمل فيها بعد الوحدة مع « ح . م . م » لكن المهم هو ان « ع ١٠ » هذا لم يكن جديدا عن الجماهير بل انه شارك فيها منذ بدايتها مسئولاً لمكتب العمال بها . *

وفي العدد الاول اعلنت « الجماهير » ان عنوان مقرها هو ١٦ شارع الملكة فريدة لكنها في العدد الثانى مباشرة تعلن ان عنوان مقرها ٣٣ شارع الملكة نازلى وهى شقة قدمها احد اعضاء التنظيم . واستمرت « الجماهير » بهذا المقر حتى لاحظنا فى العدد ١٢ بروازا يقول ، « مطلوب شقة للايجار فى حدود خمسة جنيهات » (١) .

وابتداء من العدد ١٥ استقرت « الجماهير » فى مقرها الجديد ٢٢ شارع الجامع الاسماعيلى . لكن الجديد والملفت للنظر هنا هو ان « الجماهير » بدأت تتخذ لنفسها مقارا ومكاتب فى الاقاليم .

فبعد الوحدة مع ح . م . م قدمت منطقة ح . م . م فى الاسكندرية مقرا ثابتا « للجماهير » ، يعلن عنه فى العدد ١٨ « مكتب الجماهير بالاسكندرية » افتتحت مجلة « الجماهير » مكتبها بالاسكندرية داعية اهالى الاسكندرية الى ارسال شكاواهم ومقترحاتهم اليه .

ثم ما لبثت « الجماهير » ان اعلنت عن افتتاح مقر جديد لها فى مدينة بور سعيد وذلك فى العدد ٢٢ « الى اهالى بور سعيد - ارسلوا طلباتكم ومقالاتكم الى وكيل مكتب « الجماهير » الاستاذ حسن محمد الغضبان - ادارة « الجماهير » ببور سعيد » (٢) .

وفى عدد تال تذكر « الجماهير » قراءها فى بور سعيد بأن « مكتب ادارة مجلة « الجماهير » - الاستاذ محمد حسن الغضبان بشارعى الحميدى والزقازيق قسم ثان تليفون ٢٢٢٦ » (٣) .

* يمكن القول بان معظم المعلومات السابقة مستعاة من مناقشات متعددة مع محمد سيد احمد - ابراهيم الناس - مبرور سعيده - سيد المنعم الخزالي . وقد توافقت رواياتهم للاحداث وكميت بعضها البعض ، وقد استقلت من هذه الروايات ما لم تجمع عليه الروايات المختلفة .

١ - الجماهير ، ٢٢ - ٦ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٦ - ٩ - ١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ١٤ - ٩ - ١٩٤٧ .

وفي مدن أخرى أيضاً .. « الجماهير في بسيون - تباع مجلة الجماهير بسجل الاستاذ جندي فهمي التاجر بجوار محطة بسيون » (١) .
وفي محاولة لمزيد من الالتصاق بالعمال تعلن « الجماهير » عن تكوين مكتب قانوني ، يقدم استشارات قانونية مجانية للمعمسـال ٠٠ لا تلبث « الجماهير » أن تمد نشاط هذا المكتب ليخدم مختلف الفئات مجاناً .
وتنشر « جاهدنا من الريف خطابات تتهمننا بالتحيز للعمال وحدهم واننا قد قصرنا المكتب القانوني عليهم دون بقية الطوائف . وما نحن نعلن ان مكتبنا القانوني مستعد ان يقدم خدماته لزملائنا من جميع الطوائف والاستشارات كل يوم بين الساعة الخامسة والسابعة مساء ما عدا يوم الجمعة » (٢) .

وفي عدد آخر .. « مكتب الجماهير » القانوني في خدمة الشعب .
الى العامل في مصنعه . الى الفلاح في حقله . الى الطالب في مدرسته .
الى جميع المواطنين الذين في حاجة الى مساعدة قانونية ان مكتب الجماهير القانوني في خدمتكم .. » (٣) .

ولم يكن ذلك كله الا تعبيراً عن تحول سياسي طرا على موقف « الجماهير » وهو تعبير عن نجاح تيار ح . م في فرض فكرته حول ضرورة التحول « بالجماهير » الى وجه علني للتنظيم السري في محاولة لفرض علنية او بالدقة مشروعية العمل الحزبي ذاته .. وقد تجلى هذا التحول في عديد من المظاهر ابتداء من نشر بيانات حددتو .. الى افتتاح مقار « للجماهير » في عدد من المدن تحولت نتيجة لاسلوب ح . م في العمل الى مقار للتنظيم نفسه .. لم تجلى ايضا في بدء ظهور الاسماء الحقيقية للكاتب .

وبعد ان كانت « الجماهير » لا تحمل اسما علنيا واحدا هو محمود النبوي رئيس التحرير بينما توقع باقي المقالات باسماء مستعارة فاننا نلاحظ ان كثيرا من الاسماء بدأت تبرز وخصوصا اسما كواد ح . م .

واذا اخذنا احد الاعداد كمثال نجد ان العدد ٢٥ يتضمن عديدا من الاسماء العلنية فنجد المقالات التالية « النوبيون يشردهم الاسـستعمار - فيكافحون لتحسين احوالهم - زكي مراد » « شاعر مداح يهاجم الشعب - ابو الحسن الغنيمي » « مأساة خلقية - حسن محمد الفضـسـبان » وذلك بالاضافة الى عدد من الاخبار والمقالات ، والشكاوى العمالية بتوقيع ابراهيم نصير - محمود النجار - محمود الصاوي - محمد محراث وكلها اسـسماء حقيقية لكواد نقابية (٤) .

وهكذا نلمح تحولا حقيقيا في مسلك « الجماهير » قد يختلف البعض في تقييمه وفي تقييم نتائجه ، لكننا نثبت هنا كواقعة تاريخية .. وهي ان

-
- ١ - الجماهير ، ٦ - ٩ - ١٩٤٧ .
 - ٢ - الجماهير ، ٢٨ - ٩ - ١٩٤٧ .
 - ٣ - الجماهير ، ٥ - ١٠ - ١٩٤٧ .
 - ٤ - الجماهير ، ٢٨ - ٩ - ١٩٤٧ .

وحدة « ح . م » مع « ايسكرا » قد أدت الى فرض مزيد من العلنية على منهج « الجماهير » . . . كذلك فانها قد حولت « الجماهير » لتصبح بالفعل منبرا يعلن عن نفسه كلسان حال لتنظيم شيوعي هو « حدثو » .

بل ان « الجماهير » قد بدأت تتصرف في بعض الاحيان وكأنها منبر حزبي بالفعل . . . ولعل خير مثال على ذلك هو محاولتها المشاركة في الحملة الدعائية التي نظمت للقضية المصرية في نيويورك والتي شارك فيها ممثلون لـ احزاب عديدة . . .

وقد حاولت « الجماهير » ايضاً رئيس تحريرها محمود النبوى . . . لكنه منع من السفر بعد ان سمح له بالصعود الى المركب . . . وتشر « الجماهير » الخبر بعنوان « الحكومة تحول بين « الجماهير » وعرضها القضية في النطاق الدولي فتمنع بالثوة رئيس التحرير من السفر الى الخارج » .

وتشير في هذا الخبر الى ان البوليس قد منع النبوى من السفر بالقوة بالرغم من استيفائه كل الاوراق والوثائق اللازمة وان البوليس ابلغه « ان اوامر وزارة الداخلية وادارة الامن العام بأن يمنعه من السفر بالقوة » .

وقدم محمود النبوى شكوى الى النيابة ورفع دعوى مستعجلة ضد وزارة الداخلية وأبرق بشكواه الى نقابة المحامين وناقاه الصحفيين ولجنة حقوق الانسان العالمية ورابطة المحامين في العالم والى الاتحاد العالمي للصحفيين « (١) » .

لكن « الجماهير » لم تياس وقررت ان توفد مندوباً مدعوماً بحملة جماهيرية فنشرت « مانشيت » . . . « الجماهير » تقرر ايضاً مندوب الى مجلس الامن « وعنوان الخبر « الجماهير تخرج للكفاح في النطاق الدولي » تم نقول « ظهر العدد الاول من « الجماهير » وعلى صفحته الاولى كتبنا ليست مجرد اسم يوضع في صدر صحيفة انما هي اعرق من هذا بكثير ، وهي صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثاقين الوطنيين تناضل استعماراً بغيضاً وتنشد استقلالاً كريماً . . . وصدر بعد العدد الاول خمسة عشر عدداً تنبىء كلها بصنق كفاحنا وصلابة نضالنا . . . واننا وان قصرنا دعايتنا وكفاحنا الوطني على النطاق الداخلي حتى الان الا ان الظروف التاريخية التي تمر بها قضية الوادي تحتم كذلك القيام بواجبنا نحو التحرر الوطني لسكان وادي النيل في النطاق الدولي ، اننا نذهب الى مجلس الامن لنقسم بواجبنا المقدس نحو القضية واضعين نصب اعيننا ان مصالح الوطن وأهدافه فوق كل اعتبار . . . لذلك قررت أسرة « الجماهير » رغم ما تعانيه من عسر مالي ايضاً الزميل محمد عبد المعبود الجبيلي مندوباً عنها الى نيويورك للقيام بالدعاية للقضية الوطنية اثناء عرضها على مجلس الامن ، وليسمع العالم صوت « الجماهير » مدوياً عالياً ، مطالباً بالجلء العاجل للتاجر الشاسل عن وادي النيل دون قيد او شرط ، دون معاهدة او تحالف ، . . . ونحن اذ

نقرر هذا نتجه الى الشعب المصرى قاتحين اكتتابا شعبيا عاما نسند به جزءا من تكاليف هذه المهمة الوطنية « (١) .

وفى نفس العدد تنشر « الجماهير » نص خطاب وجهه محمد عبد المعبود الجبيل الى « حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية » جاء فيه « لقد شرفتنى مجلة « الجماهير » الوطنية المناضلة ضد الاستعمار بانتدائى للقيام بالدعاية للقضية الوطنية فى النطاق الدولى اثناء عرض القضية على مجلس الامن . لذا فأننى اطلب من دولتكم بوصفكم رئيسا للوزراء ان تسهلوا لى اجراءات السفر الرسمية وأن تتدخلوا لدى وزارة المالية لتسهيل حصولى على الدولارات اللازمة نظير نقود مصرية حتى استطيع اداء واجبى الوطنى فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ كفاحنا الوطنى . ونظرا لان ادارة الامن العام قد أرسلت كشفا بأسماء عدد كبير من المعارضين الوطنيين الى بوليس الموانىء والمطارات ليمنعهم من السفر الى الخارج . . . ونظرا لانه بلغنى أن أسمى من بين هؤلاء الممنوعين من السفر فأننى اطلب من دولتكم بصفتمكم وزيرا للداخلية التدخل لوقف هذا العدوان على القانون والدستور . فحرمانى من السفر الى امريكا فى الظروف الحاضرة فضلا عن انه اعتداء على الحريات التى يكفلها لى الدستور ، فإنه اعتداء على حقى وواجبى المقدس فى الدعاية لقضية بلادى والدفاع عنها أمام الراى العام العالمى » .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة ، فاذا كانت « الجماهير » قد نجحت فى احراج الوزارة ووضعها فى مركز يشل يدها عن منع مندوبها من السفر . . فان هناك السفارة الامريكية التى رفضت منح مندوب « الجماهير » تأشيرة دخول الى الولايات المتحدة . . وتشن « الجماهير » حملة عنيفة على السفارة الامريكية قائلة « لم يكن الزميل عبد المعبود ليريد السفر الى امريكا حبا فيها وانما لان مجلس الامن — لسوء الحظ — موجود فى امريكا ، والسفارة الامريكية ليس من حقها مطلقا أن تمنع وطنيا مصرية من الدعاية للقضية الوطنية بالصورة التى تخدم مصر » . ان حرمان السفارة لمواطن مصرى فى الوقت الذى تمنع فيه الآخريين أمثال أحمد حسين ومصطفى مؤمن لدليل قاطع على أن امريكا تريد أن تكون الدعاية للقضية المصرية بالطريقة التى لا تفصح تابعها الاستعمار البريطانى . . نحن نقول لامريكا اليوم ، انظرى ما مصير هتلر — وهكذا سيكون مصير كل من يفرض على الشعب استبداده وتحكمه وسيادته ويحاول التدخل فى حرياتنا » (٢) .

وما يعنيننا هنا هو ان محاولة « الجماهير » ايفاد مندوب لها الى مجلس الامن قد خرجت بها — امام الجميع — عن ان تكون مجرد مجلة يسارية ، وأظهرتها كلسان حال لمنبر سياسى منظم يريد ان يقول كلمته امام الراى العام العالمى خلال عرض القضية أمام مجلس الامن مثلما حاولت بقية الاحزاب

١ — الجماهير ، ٢١ — ٧ — ١٩٤٧ .

٢ — الجماهير ، ٤ — ٨ — ١٩٤٧ .

السياسية الاخرى ان تفعل .

★ ★ ★

وقبل ان تصدر « الجماهير » نظمت ايسكرا حملة اكتتاب ناجحة في صفوف اعضاء التنظيم واصدقائه ويقال انه قد تم جمع مبلغ اربعة الاف جنيه * وهو مبلغ كبير بغير شك . وظلت « الجماهير » تداوم على جمع تبرعات من اصدقائها وقرائها . . . وكانت في دعوتها هذه تسلك منهجاً سياسياً وتمويلياً معاً بمعنى انها كانت تحقق هدفين الاول سياسى يتحقق من خلال حشد اكبر تأييد شعبي للجماهير . . . والثاني ويتمثل في جمع اموال كانت ضرورية بالفعل لاصدار الاعداد التالية .

وتزخر صفحات « الجماهير » بقوائم عديدة للمتبرعين اهم ما يلفت النظر فيها هو الاشكال التنظيمية الواسعة ذات الطابع الجبهوى تكونت حول « الجماهير » مثل « لجنة انصار الجماهير بالظاهر » وقد جمعت تبرعات قيمتها جنيهاً واحداً (١) .

« لفيف من عمال المحلة » و « طلبة كلية العلوم بالاسكندرية » (٢) و « من اهالى قرية ميت يعيش » (٣) . ولم يكن تكوين هذه الاشكال التنظيمية الواسعة « لمساندة » « الجماهير » عملاً تلقائياً ، بل كان نتيجة دعوة وجهت على صفحات « الجماهير » تحسنت عنوان « نداء . . للملايين ايها العمال والفلاحون والطلبة والمثقفون . . » جاء فيه « انتم الذين بعثتم «الجماهير» من صفوفكم ونضالكم في سبيل الخبز والحرية والاستقلال . . وللجماهير اعداء واعداء ، الاستعمار بامواله وجنده والرجعية بصفحاتها المأجورة ، وهى تتحالف اليوم على مجلتكم ، وتضع العراقيل في طريق نضالها . . نضالكم . . ونحن نهيب بكم ان تبرعوا بقروشكم للجماهير ، فكل قرش تدفعونه هو مسمار تدقونه في نعش الاستعمار والظلم والاضطهاد . . فلتنشثوا اسرا « للجماهير » اينما وجدت الجماهير في المصنع والقرية والمعهد والمدرسة ولتقم الاسرة بحملة التبرعات . ان « الجماهير » تنادى بكم وهى واثقة من تلبية النداء . والنصر للجماهير » (٤) . ورغم حملة التبرعات الناجحة فان « الجماهير » توجه نداء الى « الزملاء قراء هذه المجلة — لقد ايدتمونا ، ولكن مجلتكم غدت موضع اضطهاد وهى تتحمل اعباء مالية فوق طاقتها — لا يجب ان تدعوا المال ليكون عقبة في سبيل اخراج

★ عيد المئمة الفزالى .

- ١ — الجماهير ١٩٢٣ — ٥ — ١٩٢٧ .
- ٢ — الجماهير ١٩٢٣ — ٦ — ١٩٢٧ .
- ٣ — الجماهير ١٩٢٣ — ٨ — ١٩٢٧ .
- ٤ — الجماهير ١٩٢٣ — ٧ — ١٩٢٧ .

هذه المجلة فهي مجلتكم وليس لها من مورد غير اشتراكاتكم وتبرعاتكم .. ان كل قرش تبرعون هو عون للجماهير للدفاع عن حقوقكم عن حرياتكم العامة، للكفاح ضد الاستعمار » (١) .

وتتوالى قوائم التبرعات من جديد لكن يبدو انها لم تكن كافية وتوجه « الجماهير » من جديد نداء حارا يكتبه محمود النبوي بعنوان « لن يستطيعوا اخماد صوت « الجماهير » فهو يرتفع مدويا « جاء فيه « لقد ارتفع صوت مجلتكم عاليا منذ اللحظة الاولى يناصر الاستعمار العداء ولا مورد مالى لها الا اشتراكاتكم وتبرعاتكم . وها هو البوليس السياسى يحاربها ، وها هم الاخوان المسلمون يعاكسونها .. وها هم اصحاب كثير من الاعلانات يقاضونها . فهل تختفى مجلتكم تحت العيب المالى ؟ او هل تقلل من صفحاتها .. كلا .. كلا .. ان كل صفحة تنقص من « الجماهير » كسب للمستعمرين والمستغلين ، ان اختفاء « الجماهير » ضربة للحركة الوطنية وطعنة للديمقراطية واضرار شديد بالحركة العمالية .. اننا واثقون بكم .. معتمدون عليكم مطمئنون الى تأييدكم . ان بقاء « الجماهير » سلاحا ماضيا يدافع عن مصالحكم قسداً أصبح معركة .. فليكن شعاركم فى كفاحكم من اجل « الجماهير » .

اشتركوا « الجماهير » ..

اقرأوا « الجماهير » ..

اشتركوا فى « الجماهير » ..

تبرعوا « للجماهير » .

« فالجماهير » مجلتنا نحن العمال والفلاحين والطلبة والموظفين » (٢) .

وتنهال التبرعات من جديد .. لكن الازمة المالية تبقى ملازمة دوماً « للجماهير »

★ ★ ★

واذا كانت قوائم التبرعات المتتالية تعبر عن شعبية المجلة وارتباطها بقرائها فان ارقام التوزيع تقدم لنا ايضا صورة واضحة تشير الى ان « الجماهير » كانت بغير شك اوسع صحف اليسار انتشارا وانها حققت ارقاما فى التوزيع تفوق بمقاييس ذلك العصر كل التوقعات .

يقول عبده دهب : كانت « الجماهير » توزع ١٢٠٠٠ نسخة أسبوعياً ..

ويقول الغزالي كانت توزع عشرة آلاف نسخة ..

لكننا نستطيع ان نحصل على ارقام اكثر دقة .

١ - الجماهير ، ٢١ - ٤ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢٣ - ٨ - ١٩٤٧ .

« لقد طبعنا من العدد الاول ٢٠٠٠ نسخة وزعت جميعا ، ثم زاد الطبع بحيث تراوح بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ ، وقبل الوحدة مع ح . م كنا نطبع ١٠٠٠٠٠ ارتفعت بعد الوحدة عن ذلك » * *

وهكذا تتقارب التقديرات لترتفع الى ما هو اكثر من عشرة الاف نسخة وهو بمقاييس ذلك العصر توزيع ضخم بالنسبة لمجلة اسبوعية . .

ونود ان نشير هنا الى ان « الجماهير » كانت تعتمد في توزيعها أساسا على شبكة من الموزعين الحزبيين الذين لم يكتفوا بتطوعهم بعملية التوزيع كواجب سياسى يقتضى مداومة الاحتكاك بالشعب وانما كانوا - وفقا لتقليد ثابت - يسندون ثمن الاعداد مقدما فيحلون بذلك كثيرا من المشاكل المالية والادارية للمجلة .

ان ارقام توزيع « الجماهير » يجب ان تؤخذ ليس فقط كدليل لنجاح مجلة . . وانما - وفي الاساس - كدليل على جماهيرية منظمة .

وكانت « الجماهير » تصدر اسبوعية كل يوم اثنين وظلت منتظمة في الصدور حتى العدد ١٨ الذى صدر فى يوم الاثنين ٤ أغسطس ١٩٤٧ . ثم يصدر العدد ١٩ فى ١٩ أغسطس دون إشارة الى اليوم . اما العدد ٢٠ فيصدر بعد اثنى عشر يوما اى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ وهو يوم سبت . ويستمر صدور « الجماهير » يوم السبت لمدة ثلاثة اعداد فقط هي الاعداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

وهذا العدد الاخير صدر يوم السبت ٦ سبتمبر ١٩٤٧ لكن العدد الذى يليه اى العدد ٢٣ يصدر يوم الاحد ١٤ سبتمبر وتستمر « الجماهير » بعد ذلك فى الصدور كل يوم أحد .

ويفسر الذين ناقشتهم من الذين عملوا فى « الجماهير » ذلك تفسيراً فنياً بحثاً وهو ان « الجماهير » كانت تبحث عن يوم من ايام الاسبوع ليس فيه منافسة شديدة من مجلات اسبوعية أخرى تصدر فى نفس اليوم .

ولنا ملاحظة ايضا على العدد الاول من « الجماهير » فقد صدر خاليا من تاريخ صدوره وثمن العدد وعنوان ادارة المجلة .

ولقد تصورت فى بادىء الامر انه مجرد خطأ فنى ينم عن قلة خبرة

* ابراهيم المنسترلى .

اصحاب المجلة بالعمل الصحفي .
لكن البعض * أكد لي ان الامر كان متعمدا . وانه حتى مرحلة طبع
العدد الاول لم يكن قد تقرر بعد ما اذا كان سيوزع لدى بائعي الصحف ام
يكتفى بوزيعة بواسطة الاعضاء ومن ثم فان ذكر الثمن لم يكن ضروريا وكذلك
التاريخ . اما العنوان فقد تصور البعض الا يذكر لاعتبارات متعلقة بالامن .

لكن القيادة الحزبية تدخلت في آخر لحظة وحسمت الامر مقسرة ان
« الجماهير » مجلة علمية ويجب ان تصدر كأي مجلة علمية أخرى وأن يكون
لها ثمن محدد تباع به عن طريق الاعضاء وعن طريق المتعهدين والموزعين
العاديين وأن يكون لها مقر معلن عنه .

وهكذا جمعت نسخ العدد الاول وتنفيذا لقرار القيادة تم ختمها بخاتمين
الاول في الصفحة الاولى يحدد ان الثمن عشرة مليمات ، والثاني في صفحة
١١ يحدد ان عنوان مقر المجلة هو ١٦ شارع الملكة فريدة ويلاحظ ان هذا
العنوان قد تغير في العدد الثاني مباشرة ليصبح ٣٣ شارع الملكة نازلي .

اما تاريخ صدور العدد الاول فقد لاحظت انه قد كتب في اكثر من
نسخة أمكنني الاطلاع عليها بالقلم الحبر ٧ ابريل ١٩٤٧ .
ولقد اهتمت اهتماما خاصا بالاشارة الى هذه الملاحظات ليس فقط
لأنها جزء من الحدث التاريخي ، وإنما لأنها ذات دلالة سياسية فهي تعبر
عن تردد قيادة « اليسكرا » تجاه أسلوب وطريقة عمل « الجريدة »
كمثير علمي .

★ ★ ★

وكانت « الجماهير » كمادة الصحافة اليسارية المصرية تستخدم أسلوب
البراويز والشعارات الاثارية التي تنتشر في مختلف الصفحات .

وابتداء من العدد السابع بدأت في تخصيص مساحة أسفل الصفحة
الاخيرة لشعار « ان كل قرش تدفعونه في الجماهير مسمار تدقونه في نعش
الاستعمار » (١) .

وفي نفس المكان في العدد التالي « مجلة الجماهير » مجلس التحرير
الوطني . مجلة الكفاح ضد الاستعمار وأذنا به » (٢) . وفي الأعداد من ٩ الى
١٦ يثبت الشعار التالي في نفس المكان « الجماهير مجلة الملايين » . تعبر عن
الامم وآمالهم .

بل ان الابواب الثابتة في « الجماهير » كانت تتخذ لنفسها عناوين ذات
طابع اثاري . فباب العلوم عنوانه « ليست مهمة الفكر تفسير العالم

★ ابراهيم المناسقلى .

١ - الجماهير ، ١٢ - ٥ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ١٩ - ٥ - ١٩٤٧ .

فحسب ٠٠ وإنما مهمته هي تغييره الى عالم افضل « (١) .
والبياب المخصص لشكاوى الجماهير. بعنوان « الجماهير تشكو ٠٠
الجماهير تفضيح » وشعاره « تكلموا فان السكوت معناه الموت » (٢) .
أما صفحة العمال فان عنوانها « نحن نبني ٠٠ وهم يهدمون » .
وكان الكاريكاتير سلاحا هاما من أسلحة مجلة « الجماهير » ولعله من
حق « الجماهير » علينا ان نسجل لها انها كانت اول صحيفة يسارية تستخدم
الكاريكاتير هذا الاستخدام الواسع ، وبمضون سياسي يسارى ٠٠
لقد كانت « الجماهير » باكورة للكاريكاتير اليسارى ٠٠ ذلك الاتجاه
الذى ازدهر فيما بعد خالقا مدرسة متكاملة من فن الكاريكاتير اليسارى ٠٠
وكان رسام الكاريكاتير فى « الجماهير » هو الرسام طوغان وكان فى
ذلك الحين طالبا فى مدرسة التجارة المتوسطة حيث كان يعمل شـهـدى
الشافعى مدرسة .
وعن طريق شـهـدى عرف الطالب الفنان طريقة الى « الجماهير » ٠٠

وقد داوم طوغان على تقديم كل ما تحتاجه « الجماهير » من لوحة
كاريكاتير ثابتة فى صدر الصفحة الاولى وموضوعات كاريكاتيرية متكاملة فى
الصفحة الاخيرة والصفحات الداخلية بالاضافة الى رسم صور الشخصيات
فى عديد من الموضوعات ٠٠ داوم على ذلك بانتظام تام وبانتاج ثـمـير غزيرته
الدهشة طوال ثمانية عشر عددا ٠٠
وابتداء من العدد التاسع عشر الصادر فى ١١ أغسطس ١٩٤٧ تختفى
رسوم طوغان نهائيا ٠٠ وتمتنع « الجماهير » عن تقديم الكاريكاتير على
صفحاتها وتحل محل لوحة الصفحة الاولى ٠٠ صورة فوتوغرافية ٠٠

★ ★ ★

واذا كان من حق « الجماهير » علينا ان نبرز دورها فى استخدام
الكاريكاتير السياسى كعمل رائد فى صحافة اليسار ، فانه يتعين علينا ايضا
ان نشير الى انها كانت رائدة ايضا فى مجال التحقيق الصحفى «الريبورتاج»
« والريبورتاج » يظهر لأول مرة — بالنسبة للصحف اليسارية — فى
« الجماهير » .
وهو يظهر فيها عملاقا متعرسا يستحق الاعجاب بالفعل سواء من
ناحية الشكل ٠٠ والفن الصحفى او المضمون الطبقي .
فالريبورتاج السياسى كان وسيلة أساسية ، وربما كان الوسيلة الاولى
التي استخدمتها « الجماهير » للتعبير عن موقفها الطبقي المتميز من كثير من
المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ٠٠

١ — الجماهير ٣٠ ٢٠ — ٦ — ١٩٤٧ .

٢ — الجماهير ٣٣ ٢٣ — ٦ — ١٩٤٧ .

والنماذج كثيرة بغير حصر ، وكلها تستحق التأمل ، وتستحق الإعجاب شكلا ومضمونا .

وقد اعتادت « الجماهير » ان تخصص للريبورتاج صفحتي الوسط والدوبل باج ، اى صفحتي ٦ ، ٧ .

وابتداء من العدد الاول نجد ريبورتاجا بعنوان « استغلال ونضال في شبرا الخيمة » وهو ليس مجرد عمل صحفي اثارى وانما هو بالدقة دراسية تاريخية سياسية اقتصادية تبدأ من البداية . . . في عام ١٩٣٤ وفي طرف القاهرة الشمالى كان فلاحو شبرا الخيمة يتطلعون في دهشة الى اول مصنع للنسيج . . . وتمضى القصة قصة الاستغلال الرأسمالى للعمال . . . الاضرابات . . . العمل النقابى . . . خيانة الاخوان المسلمين . . . احتفالات اول مايو . . . أحداث عام ١٩٤٦ . . . اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . . . الهجسوم الرجعى العنيف على كوادى شبرا الخيمة . . . وفى الختام . . . حقا لقد احس عمال شبرا الخيمة بمرارة الفشل ولكنهم يعرفون ان الصراع فشل ونجاح ، واننا نتعلم من الفشل كما نجنى ثمرات الانتصار . هذه قصة لم تتم . . . لان قصة العمال قصة كفاح دائب لا ينقطع » (١) .

وفى العدد التالى ريبورتاج عن تجمع عمالى آخر « سلسلة من الخيانات والمناورات والمؤامرات . . . هذه هي قصة ترام القاهرة » . . . والقصة تبدأ ايضا من البداية عام ١٨٩٥ عندما سار اول ترام فى شوارع القاهرة . . . ويستمر الريبورتاج ليحكى كفاح العمال المستمر والمتصل . . . والختام يقول « ان مشكلة الترام وعمال الترام ليست مشكلة قائمة بذاتها ، وليست هي الفريدة فى بابها . انما هي مشكلة الشعب المصرى . . . شعب يضطهد نفسه الاستعمار والشركات الاحتكارية وأذناب الاستعمار وكبار المساهمين فى هذه الشركات من اجانب ومصريين . والمعركة دائمة بين الشعب وظالميه ولن تنته المعركة ضد الظلم حتى يزول » (٢) .

وتمضى الريبورتاجات الى مجال آخر « مساكن صالحة . . . مدارس لابنائنا . . . اعمال لماطليننا . . . ضمانا لحياتنا . . . هذا ما يريد سكان عشق الساقية وتلال زينهم » .

وتستخدم الكلمة والكاميرا معا بنجاح تام لابرار التناقض الصبارخ بين حى ارستقراطى هو « جاردن سيقى » وحى آخر شعبى يعيش فى بؤس ولا يفصلهما غير شارع واحد .

ولا تفوت اصحاب هذا الريبورتاج اللوحة الذكية فهم يختتمونه بوصف للملح الارستقراطى جاردن سيقى . . . « واستوقف انظارنا من بين القصور الشاهقة هناك ، قصر لامع ، تفوح منه رائحة الشواء ، وتغر أجوائه ازهار

١ - الجماهير ٧ - ٤ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ١٤ - ٤ - ١٩٤٧ .

وورود واصطفت حوله السيارات .. واذا بأمين يصيح بي .. دى سراية
البرنس عباس حليم .. زعيم العمال « (١) » .

وريبورتاج عن عيد اول مايو (٢) ، وآخر من الاسكندرية « شركة غزل
سويسرية تستبد بالعمال » احدى عشر ساعة عمل ونقابة صفراء والعمال
ماضون فى كفاحهم « (٣) » .. ثم ريبورتاج تلعب فيه الكاميرا دورا هاما عن
الفلاحين « ٨٠ بالمائة من الشعب المصرى فلاحون لا يعرفون غير الفقر والمرض
والجهل » وفى هذا الريبورتاج تقدم « الجماهير » برنامجا فلاحيا « انسا
نطالب بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة .. وزيادة الاراضى المنزرعة وادخال
آلات حديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحددين فى جمعيات
تعاونية » .. ثم نداء « يا فلاحى مصر .. اننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى
تقاسونه .. تكافح من اجل نقابات لكم .. من اجل وحدة بينكم وبين العمال
لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنايه » (٤) .

والامثلة عديدة بغير حصر « عمال وفلاحون بالحوامدية .. واحتكاريون
بعمارة الايموبيليا » وفى هذا الريبورتاج تطالب الجماهير بحلف « مسن
العمال وأجراء الفلاحين وصغار المزارعين » وتؤكد ان استغلال « هذه
الشركة للشعب لن يوقفه الا نضال فى سبيل وضع مثل هذه الشركة فى
يد حكومة تديرها لصالح الشعب .. الشعب صاحب الحق الطبيعى والذى
يصنع كل شئ » (٥) .

ثم ريبورتاج عن « قناة السويس .. شعب يبنى وعمال يكئون ..
واستعمار يتآمر » .

ولعل من حق « الجماهير » علينا ان تذكر لها انها طاللت « بتأهيل »
أى « تأميم » شركة قناة السويس « فلتؤهل قناة السويس لتصبح حقا
لشعب الذى بناها ويعمل فيها ، فلن نقبل ان تظل اداة فى يد الاستعمار
يستخدمها لعداء الشعب المصرى واستغلاله ، كما يستخدمها ضد السلام
الدولى » (٦) .

ولا بد ان القارئ قد لاحظ من الهوامش اننى لا أنتقى وانما أمضى مع
الاعداد مسلسلة من العدد ١ ولا بد ان ذلك وحده يكفى دليلا على ان بقية
الاعداد وهى كثيرة تزر بريبورتاجات اخرى .. عديدة ، وتستحق
الاعجاب .

وتبقى بعد ذلك كلمة عن كتاب هذه الريبورتاجات ، وفى البداية
لاحظت ان التوقيع على معظمها واحد هو « حسين حامد » وبدأت البحث
عنه ، لكننى لاحظت انه يصعب على أى صحفى أن يتابع كل اسبوع كتابه

١ - الجماهير ، ٢١ - ٤ - ١٩٤٧ .

٢ - الجماهير ، ٢٨ - ٤ - ١٩٤٧ .

٣ - الجماهير ، ٥ - ٥ - ١٩٤٧ .

٤ - الجماهير ، ١٩ - ٥ - ١٩٤٧ .

٥ - الجماهير ، ٢٦ - ٥ - ١٩٤٧ .

٦ - الجماهير ، ٥ - ٥ - ١٩٤٧ .

ريپورتاج يمثل هذا المستوى العالى من الدراسة والتعمق فى فهم أبعاد المشاكل مع التنوع الشديد فى المشاكل المعروضة ..
وقيل لى أيضا ان هذه الريپورتاجات كان تعد بواسطة المكاتب المتخصصة .. فمكتب العمال يعد الريپورتاجات بالعمال .. والفلاحين كذلك .. الخ كذلك كان هناك مكتب خاص للريپورتاجات بالجماهير يجمع المواد التى ترد من المكاتب المتخصصة ثم يقوم ببحت ميدانى .. ثم يصاغ الريپورتاج .. كل ذلك فى عمل جماعى ينبثق فى الاساس من جماعية العمل الحزبى والهيئات الحزبية .

غير ان الكثيرين قد أكدوا لى ان « نقولا ورد » مسئول مكتب الريپورتاجات كان صاحب الجهد الاكبر فى اعدادها للنشر ..
« حسين حامد » .. اذن .. ليس شخصا بعينه ، لكنه رمز للكواكب الحزبية التى انتمست فى مشاكل الفلاحين والعمال والمثقفين .. وفى كل مجال من مجالات الحياة .. تتعايش .. وتتعلم .. وتقود .. ومن خلال ذلك كله تستخلص مشكلات الشعب .. وتصفوئها ريپورتاجات دافقة الحيوية .. راقرة بكل معانى الصراع الطبقي ومعالمه .

ومن الابواب الثابتة فى « الجماهير » « صفحة المرأة » وكما قلنا فان التوقعات كلها مستعارة « فاطمة محمد » « سعاد » « احسان » « اليس فهمى » وان كان تحرير الصفحة موكل الى مكتب منبثق عن « دائرة النساء » فى التنظيم .
وكانت صفحة المرأة فى الجماهير حريصة دوما على ابراز موقف مستقل تجاه قضية المرأة وتحريرها وحقوقها ..

وابتداء من العدد ١٥ خصصت صفحة كاملة بعنوان « المرأة نصف المجتمع » تناولت عددا من الموضوعات الهامة « حياة الاسرة المصرية أساسها الملل » وفيه تناقش مشاكل الزواج كحالة اجتماعية منبثقة من طبيعة المجتمع الرأسمالى . « ان مستوى المعيشة المنخفضة فى مصر وظروف المجتمع الذى نعيش فيه ، وصعوبة الحصول على الرزق تجعل من الزواج عملية بيع وشراء ، ومن الزوجة سلعة . فالزوج يتزوج ليصل الى مركز اجتماعى أو كسب مادي ما كان ليصل اليهما الا عن طريق هذه الزوجة أو تلك . فان فشل فى هذا الزواج تزوج ليجد خادمة رخيصة مريحة ترضى مطالبه الجسدية واليومية فى آن واحد . والمرأة تتزوج لتجد موردا مضمونا للحياة لا يهملها من شريكها الا جيبه لان الرجل لا يعييه سوى جيبه كما يقولون .. وزواج كهذا لا يتوفر فيه عادة التفاهم العقلى والروحى ... والمجتمع هو المسئول .. المجتمع الذى لا يوفر للرجل حياة مادية لاثقة تغنيه عن تسقط الكسب عن طريق الزواج ، المجتمع الذى

يقلل ميادين العمل أمام المرأة فيجعلها تعتمد على الرجل اعتماداً اقتصادياً كلياً . المجتمع الذي يجعل من كل علاقة بشرية علاقة مادية تقسم على الكسب ، ومن كل انسان سلعة تباع وتشترى » .
وفي نفس الصفحة موضوع عنوانه « نساء العام يكافحن من أجل السلام » . نداء من الام الروسية الى الام الامريكية » (١) .

وفي عدد آخر مقال بعنوان « الاخوان والمرأة » . لن نتجح الحسرة الوطنية دون نوال المرأة حقوقها السياسية ، فيه هجوم على مسلك الاخوان المسلمين تجاه قضية المرأة . . . والاخوان المسلمون يرجون من وراء ابقاء المرأة جاهلة عاجزة مستعبدة الى خلق جيل جديد من العبيد يرضى بالاستعمار والاستغلال ، وموضوع عن كفاح عاملات الجسوت ومدى الاستغلال الذي يتعرضن له وموضوع آخر عن المرأة العاملة وما تتعرض له من ارهاق مادي وبدني وعصبي في المنزل أو العمل . . . وعنوان الموضوع « مهات » . . . ويطلات » . وفي نهاية الموضوع تقدم « الجماهير » أو مكتبها النسائي برنامجاً يحدد مطالب المرأة العاملة .

« الجماهير » . . . تطالب برفع المستوى الاقتصادي للامهات العاملات ، تطالب بسن القوانين التي تحمي الامومة والطفولة ، تطالب بانشاء دور للحضانة ومطاعم شعبية رخيصة أو بالمجان ، تطالب بمنح الام الحامل اجازة مدفوعة شهر قبل الوضع وبعده » .

وفي مقابل ابراز الكفاح والعناء الذي تتعرض لهما المرأة العاملة تقدم الجماهير في نفس الصفحة نموذج آخر بعنوان « خواجاية » رفضت مونا عبود بنت المليونير الكبير أحمد عبود أن تنطق حرفاً واحداً بالعربية حين ألح عليها مندوب الاذاعة في لندن أن توجه كلمة بالعربية للمستمعين العرب ، وليس مسلك مونا عبود بمستغرب فهي وليدة الاستعمار الانجليزي وابوها المليونير عميله (٢) .

وتمضي « صفحة المرأة » لتواكب كفاح المرأة المصرية وخاصة كفاح العاملات المصريات « مع عاملات التليفون » . انشئت رابطة للدفاع عن مصالحهن . . . فالاتحاد قوة » (٣) .

وريبورتاج « عن مركز الطفل في بولاق - ارهاق لا مثيل له - ٣١ ساعة عمل متواصلة » (٤) بطلات أندونيسيا في ميدان الاستعمار ١٢٠ فتاة يعشن في خندق » (٥) .

١ - الجماهير ، ١٤/٧/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢١/٧/١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ٤/٨/١٩٤٧

٤ - الجماهير ، ١١/٨/١٩٤٧

٥ - الجماهير ، ٢٢/٨/١٩٤٧

وعندما انتشر وباء الكوليرا ، كانت « صفحة المرأة » تلعب دورها
كمنظم لحركة النساء في مكافحة الكوليرا « الكوليرا تشتد ، نحن مع الشعب
أيضا كان » (١) .

وفي بعض الاحيان تقدم صفحة المرأة ركنا عن « المرأة في السودان » (٢) .
.. وباختصار فان متابعة « صفحة المرأة نصف المجتمع » في مختلف
اعداد « الجماهير » يمكنه ان يقدم لنا فكرة عن مدى ارتباط « الجماهير »
بمشاكل النساء العاملات .
.. كما انها توضح لنا - بصورة او باخرى - نوعية النشاط الذي كانت
تمارسه « دائرة النساء » في تنظيم « حدثو » والبرامج والاهداف التي كانت
تتبنها ..

.. ثمة أبواب اخرى على نفس النمط .. « ركن الطلبة » « ما وراء القوانين »
وفيه تحاول « الجماهير » ان تقدم لقرائها وبشكل مبسط دراسات قانونية
تساعدهم على التمسك بحقوقهم أمام النيابة او البوليس لدى اى قبض او تحقيق
معه .. فهو يقدم دراسات عن « التحقيق » و « الاتهام » و « الحرية الشخصية »
.. الخ .
وبعد الوحدة مع « ح . م » بدأت تبرز اركان ثابتة عن « السودان »
و « النوبة »

وبالنسبة للشعر الثورى .. لم تكن « الجماهير » مجسرد منبر فتح
صفحاته أمام الشعراء الثوريين ليصوغوا الام شمعهم ملتهبة ، وانما كانت وبحق
المجال الذي تبلورت فيه مدرسة الشعر الثورى المعاصر .. وعلى صفحاتها قدم
الشعراء اليساريون قصائد رددتها جماهير الشعب في مظاهرات صاخبة ،
وردتها الرجعية في رعب قاتل ..

وتبدأ « الجماهير » رحلتها مع الشعر الثورى بقصيدة تقول :

« نحن فى السجن وللسجن ظلام وغيموم
.....

نحن فى السجن وتحت الشمس انصار الظلام
هم أرادوا أن يظل الشعب عبدا يستضام
فأردنا ان يعيش الشعب حرا لا يضام
ولهذا فلنا السجن جزاء وانتقام

١ - الجماهير ، ١٢/١٠/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١١/٨/١٩٤٧

ولهم تنصب رايات وأعراس تقام
.....

يا رفاقي نحن في السجن جنود في كفاح
نحن لن يرهبنا السجن ولن نلقى السلاح
.....

ولنا النصر وللنصر مساء أو صباح
حينما نقذف للسجن بأعداء الكفاح (١)

وقد نشرت القصيدة بغير توقيع لكن المعروف انها لكamal عبد الحليم ..
واذا اردنا نموذجاً آخر فهناك قصيدة « العذالات والمواثيق » لمحمود توفيق :

حكموا فلتحكم الارض لنا
يوم تروى بالدماء القسائية
قد أقاموها حصونا وقلاعاً
فلنحطمها كفاحاً وصراعاً
يا شعوب الارض هذا يومنا
فانهضى قد مزق الوحش القناعاً (٢)

فاذا كنا بحاجة الى نموذج آخر فهناك القصيدة الشهيرة التي رثى بها
Kamal عبد الحليم الرفيق فهد وغيره من شهداء الحزب الشيوعي العراقي ..

هاتوا الحبال من الاشواك واجتمعوا
لدى الحبال وهاتوا من تشبائونا

وجمعوا الجيش في زاهي الثياب ولا
تنسوا القضاء فقسد كانوا مطيعيناً

قد أبصر الشعب من بين الدموع ومن
بين الحبال دخیلات ملصونا
ناقسم الشعب ان يلقى بشبانقه
الى الحبال لكي يحمي الملايينا (٣)

كذلك قدمت « الجماهير » نماذج ناجحة من الشعر العامي بتوقيم « ابن الدهماء »

١ - الجماهير ، ٢٨/٤/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٣٠/٦/١٩٤٧

٣ - الجماهير ، ١٤/٧/١٩٤٧

وقد تمت قصصاً قصيرة كان معظمها بتوقيع « مخلص إبراهيم » (إبراهيم عبد الحليم) وقصصاً مترجمة لأعلام الأدب الاشتراكي ومنها « ابن الثورة » نيقولا استروفسكي (١) البهلوان لانطون نشيكوف (٢) ضموا الصنفون للكاتب الأمريكي كارل اوفورد (٣) والتأثر الصغير للكاتب التشيكي جان اردا . . . وقصص أخرى لمكسيم جوركي وهوارد فاست . . الخ .

وهناك دراسات ممتازة للمدرسة الاشتراكية في الأدب . . منها محاولة جادة لتلخيص أفكار « ميخائيل كاليين » عن الفن . وفي هذه الدراسة يقول كاليين « على الفنان في بلادنا أن يتجه نحو الشعب حتى يصبح عظيماً . . » وهو يدعو الفنان إلى أن « يكون صادقاً لا من الناحية الفنية وحدها ، بل وأن يبحث عن حل للمشاكل الاجتماعية هادفاً نحو مثل اجتماعي أعلى ولحيياة إنسانية أفضل » ويلخص كاليين أفكاره في عبارة موجزة « الفن هو الحقيقة اعتقادنا أول محاولات ماركسية جادة في هذا الصدد . .

وثمة دراسات أخرى عن السينما المصرية ونقد لبعض افلامها يمثل في اعتقادنا أول محاولات ماركسية جادة في هذا الصدد . .

وفي هذه اللمسات الأولية تعرضنا لأشياء كثيرة ، وأسماء عديدة لكن اسما هاما لم يسلط عليه الضوء بعد . . رغم أنه الاسم الوحيد الذي لازم كل أعداد « الجماهير » . . محمود النبوي المحامي . . صاحب الامتياز ورئيس التحرير المسئول . والنبوي لم يكن مجرد شخص حصل على رخصة لإصدار المجلة ، صحيح أن اختياره من قبل « ايسكرا » للحصول على الترخيص قد راعى أنه ابن واحد من كبار حكام مصر في ذلك الحين ، وأن هذا سوف يكفل له الحصول على الترخيص ويكفل لمحاولته الحماية . .

لكن ذلك كله لا ينفي أن «محمود النبوي» كان واحداً من كـوادر «ايسكرا» ثم «حدثو» وأنه كان يمارس دوراً سياسياً هاماً في المجلة . .

كما أنه وبعد فترة من الوقت كان واحداً من اللجنة السياسية «الحزبية» المشرفة على « الجماهير » .

ولقد تصورت أن هذه الملاحظة ضرورية حتى لا يخطئ البعض فيتصور أن الرجل كان مجرد صاحب رخصة . . لمجلة . .

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٩

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/١٠/١٢

٤ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/١١

والآن .. وبعد كل هذه المقدمات يبقى الامر محيرا .. ماذا نعترض وماذا نبرز .. من كل هذه الأشياء الهامة ، بل والبالغة الاهمية .. سواء من الناحية التاريخية او من الناحية السياسية .. التي تتضمنها مجموعة أعداد « الجماهير » .

ان الاختيار صعب والمفاضلة اصعب .. لكننا سنحاول الإمساك بعدد قليل من الخيوط الاساسية ..

مدركين ان القارىء - لابد وأنه يشعر بان اية محاولة للاجتزاء هي بالضرورة محاولة فاصرة ... لكن الاستعراض الوافى لأعداد مجلة كهذه يحتاج وحده الى اكثر من كتاب .

ونقطة البدء هي افتتاحية العدد الاول التي حاولت فيها « الجماهير » ان تقدم نفسها كمئبر جديد .. « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع في صدر صحيفة ، انما هي أعرق من هذا بكثير ، هي صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين الملايين التي تموج بها ضفاف النيل ، تناضل استعمارا بغضبا وتنشد استقلالاً كريماً .. » و « الجماهير » تعلنها حرباً شعواء لا هوادة فيها ضد كل الوان الاستعمار سياسياً كان ام اقتصادياً ام ثقافياً ! ولن ترضى الملايين - و « الجماهير » معها - الا بجلاد ناجز عاجل ، جلاء عن الوادى من المنبح الى المصب . و « الجماهير » اذ تناضل المستعمرين لن تغفل عن الخونة والمتهاونين والمتردددين والخائفين ، أولئك الذين يختفون وراء مصريتهم ليكيدوا لمصر مع الكائدين . سنكشف عن هؤلاء جميعاً - سنظهرهم على حقيقتهم للجماهير .

و « الجماهير » اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثاً ، انما تسعى الى ديمقراطية صحيحة ، فكل انتقاص من حرية الرأى والصحافة والانتخاب انما هو تضيق اكيد للمستعمرين ... و « الجماهير » لا تؤمن باستقلال أجوف ، تظل فيه الملايين جائعة غارية جاهلة مريضة ، انما تريد استقلالاً يكفل لكل فرد الحق فى ان يعمل ، وفى ان يوجد له هذا العمل ، ويتمتع فيه كل فرد بمسكن وطعام وثقافة تليق بإنسان كريم ، ويوفر العلاج لمن مرض ، والطمانينة لمن هرم او تقدمت به السنون .. (١) .

وفى افتتاحية العدد الثانى هجوم شديد على حكومة الاقليات ودفاع عن الحرية والديمقراطية والعنوان يستمد نغمته من لهجة الصحافة المعارضة فى ذلك العصر « طبلوا .. وزمروا .. واقيموا الافراح ، وختنموا الافتتاحية

و افعلوا ما تريدون ودعوا مصر ، فانتم في واد والشعب في واد ، قولوا مسا نحبون للشعب لغة لا تفهمونها - لغة لا نفاق فيها ولا رياء ، لغة الكفاح من اجل الحرية الصحيحة والديمقراطية الشاملة والاستقلال الكامل » (١) .

فاذا انتقلنا الى العدد الثالث نجد الهجوم اكثر وضوحا ، والاعداء اكثر تحديدا انهم « محور ترومان - بيفن - النقراشي » . الوطن في خطر ، « فبينما كان الصراع محتدما ضد الاستعمار الانجليزى ، كان يتعين ايضا لفت الانتظار الى استعمار جديد يتسلل .. » ان الاستعمار الأمريكى يرى نفسه الوريث الوحيد للامبراطورية البريطانية والتقاليد الهترية فهو يسعى الى السيطرة على العالم .. مصر . وهو اليوم يكتفى باستعمار اقتصادى وسياسى ، وهو اليوم يتوسط لغرض معاهدة تحمى مصالحه ، ولن يستبعد فى الغد ان يبعث هو الآخر بجيوش احتلال » .

لكن محور ترومان - بيفن - النقراشي يعرف ان ثمة قوى تكسفه وتقومه ، ويعرف « ان الشعب لا يرضى ان يستبدل استعمارا باستعمار » . ولا ان يضيف استعمارا الى استعمار . انما يريد الحرية التامة لمصر والسودان » (٢) .

وهذه هي اول افتتاحية موقعة تنشرها « الجماهير » والتوقيع « حمدى » (شهدى عطية الشافعى) .

ولم يكن ذلك كله غير تمهيد اولى لمعركة تستعد لها « الجماهير » وتفجرها فى الافتتاحية التالية التى كتبها « محمود حمدى » وهو ايضا (شهدى الشافعى) . والعنوان صريح صارخ « يريد الشعب حزبا ... من نوع جديد » هنا نصل الى بيت القصيد ، الى جوهر المعركة التى قامت « الجماهير » لتخوضها .. حق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فى تأسيس حزب يمثل ارادتها ومصالحها ..

ولقد حرصت « الجماهير » على ان توجه هذه الدعوة على صفحات العدد الخاص الذى أصدرته بمناسبة اول مايو « اول مايو من كل عام .. يوم خلده التاريخ بحروف من نور و نار .. ليخلدن هذا اليوم .. وليكن يوم العمال .. يوم الشعوب .. يوم الكادحين ، وليكن رمزا خالدا لكفاح العمال ضد الاستعباد والاستغلال والاستعمار ، رمزا لنضالهم من اجل الحرية والسلام » . وبعد هذه المقدمة تأكيد « ان العمال ليدركون ان التاريخ قد عهد اليهم برسالة مقدسة .. ان يحرروا العالم من عبودية استمرت أجيالا وراء أجيال وان عليهم ان يشيدوا عالما لا يعرف البطالة والحرمان ، طالما لا يعرف الخوف والجوع والحروب . وهم يدركون انه دون ذلك .. عرق ودماء ، وفى سبيل ذلك .. جهاد ونضال ، ولكنهم لن يخسروا فى النضال شيئا .. سوى الاغلال » . ومن هذه المقدمة الثانية .. نصل الى درس ثالث « وقد جرب العمال

١ - الجماهير ، ١٤/٤/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢١/٤/١٩٤٧

العمال في الحرب العالمية الثانية . . . فما وجد اصلب منهم عودا ولا اكثر جلدا ولا اوضح رأيا ، ولا أقوى تنظيما ضد الطغاة والمستبدين ، ولهذا التف حول قيادتهم الفلاحون والطلبة والمثقفون في خلال الحرب وفي ايام السلام . . . ولهذا نجد اليوم في اكثر بلدان العالم احزابا عمالية مخلصــــــــــــــــة يتجمع حولها الملايين . . .

ثم تفتقل الافتتاحية الى . . . مصر « وهذا اول مايو في مصر . . . وفي مصر استعمار واستعباد ولكن في مصر عمالا قد ازدادوا عددا ووعيا . . . وقد تجاوزوا الملايون عدا . . . وهم عارفون ان المسئول الاول عما يقاسونه من جوع وحرمان وارهاق هو الاستعمار واذنابه . . . وهم لهذا يدركون ان حريتهم ومستقبلهم وعائلتهم بل ان كياناتهم ذاته مرتبط أشد الارتباط بنضالهم ضد الاستعمار وحلفاء الاستعمار ، فمعركة تحرير مصر والسودان هي معركتهم ، وقيادة الجموع من اجل الجلاء التام هي مهمتهم . . .

ثم هو يعلن قيام القيادة الجديدة . . . قيادة العمال « وقد تجلى هذا رائعا يوم الجلاء يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ فقد كان هذا اليوم ايدانا بفجر جديد، ايدانا بأن العمال المصريين سيتولون بأنفسهم قيادة النضال من اجل الحرية والاستقلال ، ولهذا فزع الاستعمار قزعا شديدا . . . ولكن الطلبة والفلاحين والمثقفين الاحرار رحبوا بها ، فهم يحسون بحاجتهم في هذه الأولة الحرجة الى قيادة صلبة لا تعرف تهادنا ، ولا ترضى بأدنى تحالف مع الاستعمار ، والعمال اعداء الداء للاستعمار فلا تربطهم به ثمة مصلحة وليس بينه وبينهم سوى بحر من الدماء ، وجموع الفلاحين تتطلع الى قيادة مخلصــــــــة تعمل للدفاع عن حريتهم وحقوقهم ، وترفع عنهم القيود والاغلال ولن تجد هذه الجموع سوى قيادة العمال . . . وفي يوم اول مايو من كل عام يحدد كافة عمال العالم برنامجهم للعام الجديد فليكن برنامج العمال المصريين هذا العام ضم صفوفهم بعد تطهيرها وتوحيد كلمتهم تحت قيادة حزب من نوع جديد ، حــــــزب يمثلهم أصديق تمثيل ، حزب يلتف حوله ملايين الفلاحين والطلبة والمثقفين ، حزب يقود الكفاح ، كفاحا لا يلين . . . ويسير بالملايين سيرا لا هوادة فيه نحو الحرية والديمقراطية والاستقلال ، (١) . . .

ولم تكن هذه الافتتاحية سوى بداية . . . لكن هذه البداية الطموحة قد أثارت كثيرا من الجدل والتحفظ ، والغريب . . . وربما الطبيعي . . . في الامر هو ان اول حملة نقد او هجوم على مقال شهدي قد جاءت من يسار حزب الوفد . . . على اعتبار ان الوفد هو الحزب المؤهل تاريخيا لقيــــــــــــــــادة الصراع الوطني والاجتماعي معا ، وان اي كفاح طبقي يجب ان ينصب من صفوف الوفد الى داخل الوفد نفسه لتحويله وتطويره الى حزب يتبنى مصالح الطبقات الكادحة . . . واذا كان بعض اليساريين من جماعة « الفجر الجديد » قد ساءروا اليسار الوفدي في موقفه هذا على أساس انها خطوة تكتيكية ضرورية ، فان شهدي

وتنظيمه كان ينظر للوفد نظرة أخرى تماما .. نظرة أساسها التحالف ولكن من أرضيات مختلفة .. تحالف مع النقد والصراع ..

وهكذا يجد شهدى نفسه مضطرا إلى أن يعود في العدد التالي إلى التأكيد « نعم ! يريد الشعب حزبا من نوع جديد » والبداية نقد للنقد « خرجت علينا زميلة وفدية صديقة بمقال وجه فيه كاتبه اتهامات خطيرة لمجلة « الجماهير » فزعم انها خاطئة في دعوتها إلى تكوين حزب من نوع جديد »

وهكذا وكان النقد « الوفدي » منصبا على أساس أن مثل هذا الحزب يفتقد إلى برنامج .. وإلى العناصر القيادية التي تمرست في المعارك كل يوم .. وأنه ليس لدعاة هذا الحزب أعمال جماهيرية توصيل تأثيرهم إلى مراكز عصبية شتى .. وردا على هذه الدعاوى قالت « الجماهير » « أننا ندرك الهدف واضحا محددا لا يعتريه ابهام ولا غموض » وتجدها فرصة لتقديم برنامجا مرحليا .. « الكفاح من أجل الجلاء التام عن وادي النيل دون قيد أو شرط ، دون مجلس دفاع مشترك ، أو تحالف عسكري .. والتحرر من كافة القيود الاقتصادية والسياسية التي تفرضها علينا الاستعمار .. وأنا لندرك أن المحافظة على المكاسب الدستورية والتوسع فيها ، والكفاح من أجل الحريات العامة : حرية الاضراب والتظاهر والاجتماع وحرية الرأي والعقيدة والصحافة والكلام .. وحرية العمال في إقامة نقابات حرة وإقامة اتحاد عام لهذه النقابات ، كفاح لا ينفصل في سبيل الاستقلال .. وأنا لندرك أن عزل الخونة من ميدان القيادة هو الشرط الأساسي في سبيل انطلاق الجموع ضد الاستعمار ، وأنا لنعرف جيدا أن الاستعمار لن تجدى معه مفاوضات أو مناورات ، أن الأمم لا تتحرر إلا بنضال مرير تقوم به الملايين وتقوده الطليعة الواعية من العمال ، وأنا لندرك أن الاستقلال يعني ويستهدف كذلك تحرر الشعب من الاغلال التي تكبل نهضة اقتصادية من احتكارات وملكيات كبيرة ، وإن التخلص من هذه الاغلال جزء لا يتجزأ من الكفاح ضد الاستعمار »

وتلخص « الجماهير » برنامجها في عبارة موجزة مركز « استقلال كامل وديمقراطية اقتصادية وسياسية واجتماعية كشيئين لا يتجزأ » لكن .. « الجماهير » تحرص فوق ذلك على التأكيد بأن « النهضة الاقتصادية وهذا الاستقلال لن يدعمه سوى قيام حكومة شعبية ديمقراطية على رأس البلاد ، تزداد درجة تمثيلها للكادحين على مر الأيام »

أما أنكار « الوفد اليساري » لوجود « عناصر قيادية » تصلح لتأسيس مثل هذا الحزب .. فإن الجماهير ترد عليه « أيريد الكاتب أن يقول أنه ليس هناك عناصر قيادية بعد كفاح دام عدة سنوات ؟ أن كان الكاتب لا يعترف لنا نحن نؤكد له أن هناك عناصر قيادية صلبة تتزايد وتنمو باستمرار وأطراد ، ثم أننا لنعجب ونتسامح .. كيف تتكون العناصر القيادية إلا في ميدان الكفاح ، فهي تقول « اعتادوا أن يحتفلوا بسعد كمال يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم وكيف تقوم لهذا الكفاح قائمة دون تنظيم ؟ وهل هناك ما هو أرقى من الحزب للتنظيم ولتوجيه الكفاح ؟ أيدعو الكاتب إلى الانتظار حتى يهبط

القادة من السماء ؟ أم يدعو إلى الصبر والاصطبار حتى تقوم الجماهير دون قيادة وأعية وطلية مدركة فاهمة في حزب جديد .

إلى هنا ونكاد نلمس أن الحوار لا يجري بين « الجماهير » و « زميلة وفدية صديقة » ولكنه يجري بالدقة بين « أيسكرا » و « وح » من جانب وبين جماعة « الفجر الجديد » من جانب آخر والتي كانت ترفض فكرة إعلان الحزب لنفس الأسباب التي وردت في هذه « الزميلة الوفدية » وهي نقص الكوادر ، عدم وجود برنامج ، ضعف إمكانيات الطبقة العاملة .. وبناء عليه فقد تمركزت هذه الجماعة بعد افلاق « الفجر الجديد » وتصورها لعدم نضوج فكرة إعلان قيام تنظيم شيوعي تمركزت — لفترة ما — في عدد من المجلات والصحف الوفدية .. محاولة النشاط وسط ما أسمى « بيسار الوفد » .

وتختتم « الجماهير » مقالها الصريح .. الفاضل بعتاب « ولنا عتاب على الزميلة الوفدية الصديقة فلنذكر دائما أننا لعد أيدينا في حرارة وقوة لنكافح مع المجاهدين ولتسير صفا مع المخلصين الراغبين في حرية بلادهم واستقلالها ، ولنذكر الزميلة أن كل تفرقة وخصام بين الوطنيين إنما هو عون للاستعمار وقوى الظلام » (١) .

لكن هذا الرد العنيف لم يبه المسألة ، فقد ظلت العلاقة بين التنظيم الشيوعي وحزب الوفد بحاجة إلى مزيد من الدراسة المتأنية ، خاصة وأن البعض كانوا يحاولون التوفيق بين الوفد وما يلتف حوله من جماهير في مختلف المجالات وبين الشيوعيين ، بحجة أن مجرد إعلان قيام تنظيم مستقل للطبقة العاملة هو تحد لقيادة الوفد . وتكتب « الجماهير » بمنسوان « أن التحالف بين العمال والوفد شرط أساسي لزوال النظام الحاضر — لتحقيق الديمقراطية — للقضاء على الفاشية — لتحقيق الجلاء عن وادي النيل » مقالا ضافيا في وسطه برواز يقول لقد سبق أن أوضحنا في العديدين الأضربين أهمية تكوين حزب سياسي مستقل للطبقة العاملة ، وأوضحنا دوره القيادي في ميدان الكفاح الوطني والنضال من أجل الحرية والديمقراطية . ولكن مع الأسف قد أساء البعض فهم موقف هذا الحزب من الوفد لذا رأينا أن نوضح هذه المسألة لما هم ذلك من أهمية بالغة لقضيتنا الوطنية .. وبعد مقدمة نظرية عن طبيعة التطورات التي طرأت على مصر والبلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ومنها أبعاد الوفد عن الحكم وفرض حكم الأقلية غير الدستوري .. تقول « الجماهير » « ويدرك الاستعمار ، كما يدرك أنصار النظام الحاضر في مصر أن إعطاء الفرصة للشعب ليعبر عن إرادته هم انتخابات حرة جديدة معناه إقامة حكومة ديمقراطية وخلق الظروف المناسبة لتقدم الحركة الوطنية والفعالية تقدما سريعا .. ويدركون من ناحية أخرى أن مزاول الحركة العمالية والطبقات الشعبية لحياتها السياسية والنقابية

تؤدي الى تمهيد السبيل للقضاء العاجل على النظام الحاضر ، لذا نرى أنساحة
الاستعمار والنظام الحاضر مسلطة بصفة أساسية ضد الوفد والحركة
العمالية . . ان الزوال للنظام الحاضر واجراء انتخابات حرة هو الهدف
المباشر الذي يربط الحركة العمالية والوفد في حلف جماهيري .

وهناك أيضا موقع آخر للتحالف وهو الدفاع عن الحقوق والحريات
الدستورية ذلك « ان التحالف بين الحركة العمالية وطلبتها الواعية وبين
الوفد أساسى لاستعادة حريات الشعب المسلمة والكفاح المشترك للعمال
والجماهير الوفدية في المدن والقرى ، هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التي
تخلق حرياتنا الديمقراطية » .

لكن مثل هذا التحالف يجب ان يقوم على اساس برنامج محدد . .
وتقترح « الجماهير » البرنامج وتقول « انه برنامج وطنى مشترك يقوم على
اساس حكومة ديمقراطية تعمل على تحقيق الجلاء التام فورا عن وادى النيل
دون اى تحالف مع الاستعمار - التوسع في الحريات الديمقراطية كجزء
لا يتجزأ من الاستقلال - تأهيل (تأميم) الصناعات الكبرى وتوزيع الملكيات
الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار » .

وعلى التحالف المنشود أن يقف بصلابة ضد التجمعات الفاشية (الاخوان
المسلمين في الاساس) ولذا فان توحيد صفوف الطبقة العاملة المصرية بقيادة
حزب سياسى مستقل جديد ودخوله في جبهة ديمقراطية مع الوفد - مستندة
الى كفاح الجماهير - هو الضمان الوحيد للقضاء على الفاشية عدوة الشعب
ربية الاستعمار » .

وتختتم « الجماهير » مقالها التاريخى « ان تكوين جبهة قوية من حزب
الطلبة العمالية والوفد ، انما يعكس ويعبر عن آماني الملايين من العمال
وإفلاحين ويقول وحدة الشعب في الكفاح من اجل الحرية والديمقراطية
والاستقلال » (١) .

واذا حاولنا تتبع العلاقة بين « الجماهير » وتنظيمها « حسدو » وبين
الوفد ، فائنا نجد تعليقا بعنوان « حول بيان الوفد » فيه تأييد للبيان الذي
أصدره الوفد معلنا انه سيقوم بتنظيم حملة دعائية للقضية الوطنية على نطاق
العالم . . وتحبى الجماهير في الوفد هذا الاتجاه » .

لكن « الجماهير » تقول وهي تؤيد الوفد وتهاجم معارضية اصحاب حكم
الاقلية لانهم يأخذون « على الوفد هذا الاتجاه الجديد فان الوطنيين يرون على
العكس انه لا بد من زيادته ولا بد من توضيح الخطوات العملية التي ينبغي
ان تتخذ . . لقد جاء بيان الوفد في اللحظة المناسبة ، وبقي ان يبدأ
العمل » (٢) .

وكانت بوادر التفاهم حول شكل العمل الموحد بين طلاب كل من
« ح . م » و « ايسكرا » وبين طلاب الوفد قد بدأت في عام ١٩٤٦ في صفوف
« اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » .

١ - الجماهير ، ١٢/٢/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١٦/٦/١٩٤٧

• • ولكن عام ١٩٤٧ قد شهد تحالفات أخرى بين الشيوعيين والوفسـد وخاصة في صفوف نقابة المحامين كما حدث مثلا في الجمعية العمومية العادية للنقابة التي انعقدت في ٢٧ يونيو ١٩٤٧ • للنظر فيما يجب اتخاذه من اجراءات سريعة وحاسمة لحفظ الضمانات التي كفلها القانون للمتهمين والمحامين • وكانت جلسة صاخبة تميزت بثورة المحامين لما يلاقونه هم والمتهمسون من العنف والارهاب في العهد الحاضر • وقد أبرزت « الجماهير » بشكل خاص دور د • عزيز فهمي • وامتدحت موقفه في هذا الصدد • وهو كما يعلم الجمع واحد من أقطاب الشباب الوفدي » (١) •

ومن الواضح ان ثمة علاقة خاصة كانت قد نشأت بين « الجماهير » و د • عزيز فهمي • وفي حديث أجرته « الجماهير » مع عزيز فهمي حرص على ان يوجه تحية حارة اليها قائلا « قد نختلف في بعض الآراء السياسية • ولكن لا أخفي إعجابي بحملات الجماهير في مكافحة الاستعمار وأعوانه في مصر • ودفاعها القوي عن الحريات العامة • كما أعلن إعجابي بدفاعها عن الصداقة الاجتماعية اى دعوتها الحارة لرفع مستوى الطبقات الشعبية » •

وفي نفس الحديث يصف « عزيز فهمي » قانون مكافحة الشيوعية بأنه « الاسلوب الثالث من أساليب الاستعمار • • فتحت ستار مكافحة الشيوعية يحاولون القضاء على كل معارضة وكبت كل صوت حر • وإخماد كل حركة وطنية • • واليك الدليل العمل • عندما طبق هذا التشريع الباطل هل اقتصر على اليساريين وحدهم ام امتد الى الشباب الوفدي وشباب الكتلة ؟ وعندما قام صدقي بحملته في ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ هل اقتصر الامر على اليساريين ام امتد الى الوفديين وغيرهم من المعارضين ؟ » (٢) •

• وعندما ألقى القبض على عدد من الصحفيين الوفديين حرصت « الجماهير » على تنظيم حملة للدفاع عنهم تحت عنوان « استنكار عام • • لاعتقال الصحفيين - القبض على الصحفيين خدمة للاستعمار • • » وتطالب « الجماهير » في حملتها هذه بحل نقابة الصحفيين لانها لم تدافع عن اعضائها المقبوض عليهم • • ويساندها في حملتها هذه • • ايضا عزيز فهمي (٣) •

بل ان « الجماهير » تحتفل « بذكرى سعد » ولكن على طريقتها الخاصة فهي تقول « اعتادوا ان يحتفلوا بسعد كما يحتفل كل الناس بذكرى موتاهم ويعدون •

مآثره بشكل بعيد عن واقع كفاحنا • وحتى خصومه وخصوم الوطن الذين طالما حاربوه حيا ارادوا ان يجعلوا منه صورة مقدسة أليقة • حتى ينسى الناس سبب التأثير الوطني والمكافح الديمقراطي ضد الاستعمار الاجنبي والاستبداد •

١ - الجماهير • ١٩٤٧/٧/٧

٢ - الجماهير • ١٩٤٧/٧/١٤

٣ - الجماهير • ١٩٤٧/٩/١٤

أن سعدة أبعد ما يكون من هذه الجثة المقدسة ، انه حتى بمواقفه ضد الاستعمار ، حتى بأقواله التي لا يعترف فيها بغير الامة سييدا ، حتى بإيمانه بالطبقات الكادحة .. هذا هو سعد كما يجب ان نراه .. لن نتكلم في ذكراه ولكن فلندعه يتكلم هو .. » (١) . ثم تورد « الجماهير » مجموعة من أقواله يدافع فيها عن حقوق الوطن ويفن حملات عنيفة ضد الاستعمار .

وعندما مات صبرى أبو علم تنعیه « الجماهير » قائلة « مات صبرى أبو علم .. فكان موته خسارة كبيرة للوفد والمعارضة .. مات صبرى أبو علم ولكن قضية الحريات التي دافع عنها في مجلس الشيوخ مازالت قائمة .. مات صبرى أبو علم ولكن عشرات الطلبة الوطنيين - الذين عودهم الدفاع عنهم - مازال يلقي بهم في غياهب السجن .. ان الشعب يذكر يا صبرى يوم هببت معه في ثورته الخالدة سنة ١٩١٩ . يوم دافعت عن حريات الصحافة المهددة . ويوم وقفت تطالب في مجلس الشيوخ بأن يصدر قرار بأن مصر والسودان وحدة لا تتجزأ ، وان مطالب البلاد هي الجلاء الناجم عن مصر والسودان من غير تحالف عسكري . ان الشعب يتعبك يا صبرى » (٢) .

ومع تطور واقع الكفاح الوطنى تدعو « الجماهير » الى تأسيس جبهة وطنية .. وتحت عنوان « لا بد من جبهة وطنية من نوع جديد - تحمل لواء الكفاح في سبيل الحرية والديمقراطية والاستقلال » يكتب محمود حمدي (شهدى الشافعى) مهاجما الجبهة الرجعية التي تحالفت في صفوفها احزاب « مصر الفتاة » والسعديين والدستوريين والشيخ البنا وحافظ رمضان وجبهة مصر ، ويؤكد انه من المستحيل « على احزاب الاقلية والفاشية وشبه الفاشية ان تخدم القضية الوطنية .. ان الدستوريين والسعديين تربطهم بالاستعمار مصالح مشتركة في الشركات والاسهم والسندات .. اما الاحزاب الاخرى الفاشية فهي قد تتحدث في خطب ملتبهة ضد الاستعمار ، ولكنها لا تتأخر عن الاستنجااد باستعمار أقوى ، لقد كانت بالامس تلجأ الى هتلر وموسوليني ، ونراها ترحب اليوم بترومان ومارشال في الوقت الذى تخطب فيه ود بيغن وآتلى » .

وفي مواجهة التجمع الرجعى تدعو «حدثو» الى جبهة وطنية من نسوع جديد .. « لا عبرة بجبهة وطنية الا اذا كانت تضم صفوف الشعب كله .. ان هذه الجبهة يجب ان تضم الوفد الذى رفض مبدأ التحالف العسكرى مع الانجليز ويطالب بالجلاء بدون قيد او شرط انه الساخط على كل خارج على الدستور .. ان هذه الجبهة يجب ان تضم الكتلة ايضا فهو حزب معسارض للمهد ويضطر تحت ضغط الجماهير ان يشهر حربا على معاهدة الذل .. انهما حزبان تتبعهما جماهير راغبة في الحرية والديمقراطية والاستقلال .. ولكن جبهة وطنية من هذين الحزبين لا تكفى .. نعم ان لهما جذور عميقة في الشعب لا يمكن نكرائها ولكن هناك الطليعة العمالية التي وقفت موقفا صلبا

١ - الجماهير ، ٢٣/٨/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢١/٤/١٩٤٧

عنيذا امام الاستعمار ايام الجلاء و ٢١ فبراير ٠٠٠ ولكن حتى هذا لا يكفي فلا بد ان تنضم الى هذه الجبهة كل المنظمات الشعبية من نقابات عمال مخصصة واتحادات للنقابات ، ومن اتحادات وجبهات للطلبة الوطنيين المخلصين ومن رابطات نسائية تجذب جماهير متزايدة من النساء الى الحركة الوطنية ، ومن روابط نقابات ذوى المهن الحرة كالاطباء والمحامين والمهندسين .
هذه هي قوات الجبهة ٠٠ فما هو برنامجها ٠٠ ان جبهة كهذه ستضع فى رأس برنامجها التحرر التام من الاستعمار ، والجلاء فورا عن وادى النيل دون قيد او شرط ٠٠ وستكافح هذه الجبهة لازالة العهد الحاضر المتحالف مع الاستعمار ، وتثبيت الحقوق الدستورية روحا ونصا والتوسع فى الحريات الشعبية ، حرية الرأى والاجتماع وحرية واسعة للنقابات - حريات شعبية هي الشرط الاساسى لتجمع الشعب كله عمال وفلاحين وطلبة ومثقفين - فى صفوف متراصة ضد العدو الاكبر - الاستعمار ، (١) .

وتحاول « الجماهير » ان تضع شعارها موضع التنفيذ فتتوجه الى فؤاد سراج الدين لتسأله عن رأيه فى عريضة النقراشى الى مجلس الامن ٠٠ ثم تتوجه الى مكرم عبيد زعيم حزب الكتلة لتسأله رأيه ايضا . ونلاحظ هنا ان مكرم عبيد يتخوف من مجرد الحديث الى « الجماهير » لانها مجلة يسارية محددا بذلك موقف قيادة حزبه من الدعوة لتأسيس الجبهة ، (٢) .

غير ان هذه الدعوة وبرغم معارضة القيادات التقليدية سرعان ما تتخذ طابعا عمليا فى صفوف الشباب فتنتشر « الجماهير » نداء بعنوان « اطلاق الحريات ٠٠ » يقول « وتعتبر الاحزاب والهيئات الموقعة على هذا ان اطلاق الحريات فى هذه المرحلة الحاسمة هو الضمان الوحيد لقطع الطريق على كل مناورة استعمارية ترمى الى غير الجلاء فورا عن مصر والسودان دون قيد او شرط ، ويوقع لنداء عن الشباب الوفري وجيه راضى - سيف الدين الغزالى عن رابطة الطلبة المصريين . سعد زهران - ميشيل كامل (حدثو) ، ومندوبون عن شباب حزب الكتلة وحزب العمال الاشتراكي ، والجبهة الاشتراكية (فتحي الرمل) ، وممثلي مؤتمر نقابات العمال العالمى (مراد القليوبى وهو عضو حدثو) وعن اللجنة التحضيرية للاتحاد النسائى (٣) .

ومع تطور الاحداث يتطور شعار « الجبهة الوطنية من نوع جديد » الى شعار « الجبهة الشعبية الوطنية » والفارق واضح فقوات الجبهة الشعبية الوطنية هي كما تقول « الجماهير » ، العمال والفلاحين والطلبة والموظفين ٠٠ جبهة تضم كل وطنى مخلص مهما كان لونه ومهما كان حزبه ، اى ان « الجماهير » وقد اصطلحت برفض القيادات التقليدية لحزبى الوفد والكتلة لاي تحالف مع الشيوعيين او حتى بعضها البعض تحاول ان تخلص مصر - توحيد

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣١

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣١

الصفوف الوطنية بدعوة القواعد الحزبية المخلصة الى « جبهة شعبية »
« وها نحن الديمقراطيون نرفع لواءنا » لواء الوحدة الوطنية ، لواء الجبهة الشعبية
ضد الاستعمار ، وها نحن الديمقراطيون نمد أيدينا في قوة وحرارة وإخلاص
الى كل وطني . . الى كل حزب وهيئة وطنية مستعدة ان تعلنها حربا شعواء على
المستعمرين . ان برنامجنا هو برنامج كل عدو للاستعمار . ان شعارنا هو
شعار كل وطني مخلص . الجلاء فورا عن وادي النيل - إلغاء معاهدة ١٩٣٦
- لا استئناف للمفاوضات بأي حال من الأحوال - لا معاهدة ولا تحالف مع
الاستعمار - اطلقوا الحريات - دعوا الشعب يشعلها لهيبا ونيرانا على
المستعمرين - لتحيا الجبهة الشعبية - لتحيا الوحدة الوطنية » (١) .

وفي نفس العدد خبر عن مظاهرة دعت اليها الجبهة الشعبية الوطنية
بعد انتهاء صلاة الجمعة بالازهر وتقول الجماهير انه رغم قسوات البوليس
الضخمة فقد تجمعت الوف من المتظاهرين تهتف « الشعب لا يريد محالفة »
« تسقط امريكا » « تحيا روسيا » . . وقد فرق البوليس المظاهرة بعد ان
أطلق الرصاص اربابا للوطنيين وقد أرسلت الجبهة الشعبية الوطنية برقية
احتجاج الى نائب رئيس الوزراء . ولم تكن هذه المظاهرة الا جزءا من
موجة اضرابية دعت اليها « الجبهة الشعبية » بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة
١٩٣٦ . . وقد استجابت جماهير غفيرة في الاسكندرية وشبرا الخيمة
وفي عديد من مدن القطر . المحلة الكبرى . دمياط . المنصورة لهذا النداء
حيث نشرت على صفحات « الجماهير » في اعداد متتالية أخبار مظاهراتها
الصاخبة وانباء تشكيل لجان وطنية شعبية تضم ممثلي مختلف الاحزاب
والقوى السياسية في هذه المدن .

وتنشر « الجماهير » نداء الى مواطني حي بولاق من الجبهة الوطنية
الشعبية ببولاق تدعوهم فيه الى تكوين « لجان وطنية في كل شياخة تكون
النواة التي يركز عليها نضالكم الرائع ضد الاستعمار واعوانه » (٢) .

لكن محاولة تتبع ذلك النشاط العام تقودنا بعيدا عن محاولتنا
الاساسية للتعرف على موقف « الجماهير » ومن ثم موقف منظمة حدثو مسن
الاحزاب السياسية المختلفة . .

ولقد تابعنا موقفها من الوفد . . وحزب الكتلة ، فماذا عن الاحزاب
الآخري ان موقفها من السعديين والدستوريين واضح ومعروف . . ومن ثم
يبقى امامنا للتأمل الموقف من احزاب ثلاثة الاخوان المسلمين ومصر الفتاة
والحزب الوطني . .

وعن الاخوان المسلمين فانا لسنا بحاجة الى تفصيل كثير لتأكيد موقف

١ - الجماهير ، ٢٠/٨/١٩٤٧
٢ - الجماهير - المرجع السابق

العداء الذي اتخذته « الجماهير » تجاههم فقد هاجمت منطلقاتهم السياسية باعتبارهم تجار دين ، فاشست ، عملاء للاستعمار .
وقد أكدت « الجماهير » ان تمة « جبهة موحدة من بين ٠٠ الى سن البناء » وكان ذلك في معرض دفاعها عن الوفد عندما شن عليه الاخوان هجوما عنيفا . وكان رد « الجماهير » اكثر عنفا فقد ذكرت « الفاشي القزم » بكسل جرائمه . . . وحين الف العمال والطلبة لجنتهم الوطنية ، هرعت ايها الفاشي الى صدقى تناهى على اللجنة الوطنية ولخدمة الاستعمار . . والشعب يذكر لك كيف حاولت الوقية بين المسلمين والاقباط وما تفريقك لطوائف . شعب يناهض استعمارا ، عدا سياسة استعمارية مرسومة .

وكان حسن البناء قد حاول الوقية بين النحاس ويسار حزبه ، وبين الوفد والشيوعيين فقال في بيانه الذى وجهه للنحاس باشا فى ٩-٥-١٩٤٧ « ان الوفد فى ايامه الاخيرة قد تخللت صفوفه طوائف وافواج من ذوى الآراء الخطرة والمبادئ الهدامة الذين لا يدينون بغير الشيوعية مذهبا ، ولا يؤمنون بغير موسكو قيادة وتوجيها » وترد « الجماهير » على « البناء » ردا عنيفا مذكرة اياه بأنه يردد نفس نغمة الرجعيين والاستعماريين مؤكدة ان البناء قد استعمار هجومه من « بين و تشرشل » (١) .

ثم تتبعته « الجماهير » نشاط الاخوان المسلمين فى كل مجال . . فى شبيرا الخيمة حيث عملوا علنا لتخريب الاضرابات العمالية ولتكوين نقابة صفراء لم تضم فى صفوفها سوى ٢٥٠ عاملا من عشرين الف عامل فى شبيرا الخيمة (٢) .

وتستخدم « الجماهير » الكاريكاتير فى هجومها على الاخوان . . « اعلان - مطلوب عضو لمكتب الارشاد العام للاخوان المسلمين تكون مؤهلاته كما يأتى : يفرق صفوف العمال - يثير الممارك بين الطلبة - يوقع بين المسلمين والاقباط - يكون صديقا حميما للاستعمار البريطانى » (٣) .

وهى تتبع قادة الاخوان . . « محمد سالم (عضو الاخوان) يستغل العمال . وتقول « الجماهير » ان محمد سالم يجبر العمال المشتغلين فى شركته على حضور محاضرات اخوانية وان من يتخلف عن حضور اى محاضرة يخضع منه اجر يوم ، وانه يوزع عليهم بالاكراه صحف الاخوان بعد ان يخضع لمنها من مرتباتهم (٤) .

وتمضى الحملة العنيفة من اول عدد حتى آخر عدد ، فقد كانت « الجماهير » تعتبر ان كشف جماعة « الاخوان المسلمين » واحدا من اهم واجباتها . .

١ - الجماهير ١٢/٥/١٩٤٧

٢ - الجماهير ١٤/٤/١٩٤٧

٣ - الجماهير ١٩/٥/١٩٤٧

٤ - الجماهير ٩/٦/١٩٤٧

اما « مصر الفتاة » وزعيمها « أحمد حسين » فقد كان نصيبها ايضا هجوما متصلا . . والحقيقة ان مسلك « مصر الفتاة » في هذه الحقبة كان مليئا بالاطغاء سواء في مسلكهم ضد القوى الوطنية والتقدمية - ابتداء من الوفد حتى الشيوعيين - او في تحالفهم مع الحكومات الرجعية التي كانت تخون القضية الوطنية خيانة سافرة . . او في محاولتهم تمجيد السيد الجديد « الاستعمار الامريكى » وعلى هذه الاوتار جميعا عزفت حملات الجماهير ضد « مصر الفتاة » .

وفي البداية تكتفى الجماهير بتسجيل السقطات التي ترومسان فيها أحمد حسين عندما « أرسل برقية مؤلفة من الف كلمة الى الرئيس ترومان هناء فيها بالقرار الصادر بمساعدة اليونان وتركيا ورحب باهتمام امريكا بالشرق الاوسط ثم قال ان السياسة الامريكية لمقاومة الشيوعية يجب ان تشمل مصر » .

وامعانا في اظهار احتقارها فان « الجماهير » تكتفى بايراد الخبر دون اى تعليق سوى العنوان « المصرى » . . « أحمد حسين يمد يده للاستعمار » وهي تنشر تحت الخبر خبرا آخر « من صالح حرب الى أحمد حسين » لقد جاهدت فابليت وكافحت فأسديت» ولا تعليق من « الجماهير » (١) .

وتحت عنوان « أحمد حسين صديق الاستعمار الانجلو امريكى » تسجل « الجماهير » عليه في مقال بتوقيع أ. ح انه كتب ان مصر لا تستطيع ان تأخذ شيئا من عرض قضيتها على الامم المتحدة « لاننا لا نأخذ منها الا ما تسمح به امريكا وانجلترا » فاذا شاءت مصر الفائدة الحقيقية فالسبيل الى ذلك ان تبحث الموقف مع امريكا منذ الان » (٢) .

ولا تجد « مصر الفتاة » ما ترد به على « الجماهير » الا قولها ان أ. ح اختصار لـ « انا حمار » وفي العدد التالى تلتقط « الجماهير » الخيط لتذكر « مصر الفتاة » ان أ. ح هي ايضا اختصار لـ « أحمد حسين » (٣) .

وبعد ذلك تتجرا « الجماهير » فترسل مندوبا ليحصل على حديث من « أحمد حسين » وتجري مشادات عنيفة وطريفة بين الاثنين ، لكن « الجماهير » تأخذ على زعيم مصر الفتاة انه قال « أنا أقر مبدأ التحالف مع بريطانيا بعد الجلاء » (٤) .

اما « الحزب الوطنى » فقد ركزت عليه « الجماهير » نيرانها . . بسبل واتهمته - هو ايضا - واتهمت قيادته « بالفاشية » . . لكن « الجماهير » لا تضع كل الحزب في كفة واحدة فهي تقول « شباب الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب الوطنى يكافح لتطهير الحزب من الفاشية » . وبعد مقدمة قصيرة عن دور الحزب فى الكفاح الوطنى تحت قيادة مصطفى كامل ومحمد

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٤/٢١

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٤ - الجماهير ، ١٩٤٧/٨/٤

فريد تقول «ولكن الحزب يروح الان تحت قيادة جديدة قيادة حافظ رمضان .. وسياسته منذ ان ولى رئاسة الحزب حرب على الاستقلال .. وعسـون للاستعمار والاحتكار فها هوذا يؤيد العهد الحاضر ويدافع عن سياسته ، ويشترك معه فى الحكم مخالفاً مبادئ محمد فريد .. ويتبارى حافظ رمضان فيضم كل العناصر الفاشية التى لا تخدم سوى الاستعمار ، فيعين فتحى رضوان عضو «مصر الفتاة» السابق سكرتيراً للشباب ، ويحاول تأليف لجنة قومية من الاخوان ومصر الفتاة وصالح حرب ..» وتطالب «الجماهير» شباب الحزب الوطنى بالضغط من أجل عقد جمعية عمومية للحزب «تغير سياسة الحزب الى سياسة وطنية حقة تعترف بكيان الشعب وقوة حقوقه» والتوقيع «ديمقراطى من الحزب الوطنى» (١) .

وعندما يوجه سعد الدين كامل عضو اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى نقداً للجماهير يدافع فيه عن فتحى رضوان تنشر الجماهير النقد ولكنها ترد عليها رداً أكثر عنفاً «نعم .. ان الحزب الوطنى يقوده فاشيون» وتسير الى مقالات نشرت فى «اللواء الجديد» تمتدح الحكم الفاشى فى اسبانيا واخرى تمجد جرونى الارهابى الصهيونى « اما عن فتحى رضوان فتتسول الجماهير ان ماضيه « فى مصر الفتاة وكتاباتة الكثيرة فى مجلتهم عن تحبيذ الهتلرية والموسولينية لشاهد قاطع على ميوله الفاشية» (٢) .
.. وهكذا وبعد جولة طويلة .. لكنها .. وبالقـطـع .. ليست كافية ، يمكننا ان نلخص اتجاهات «الجماهير» فى نقاط خمس ..

- التأكيد على ضرورة قيام حزب جديد يمثل طليعة الطبقة العاملة المصرية .. وان قيام هذا الحزب حتمية تاريخية .
- منهج التحالف والصراع مع الوفد وحزب الكتلة ..
- منهج الادانة للسعديين والدستوريين ..
- تركيز ما يسمى باتجاه الضربة الرئيسية الى احزاب « البرجوازية الصغيرة» التى وصفتها بأنها «فاشية او شبه فاشية» الاخوان المسلمين - مصر الفتاة - الحزب الوطنى ..

- الدعوة لجبهة وطنية .. فلما تقاعست قيادات الاحزاب الوطنية عن التحالف مع الشيوعيين بدأت الدعوة لتأسيس «جبهة وطنية شعبية» .

★ ★ ★

ولقد نظمت «الجماهير» موجات من الحملات السياسية نجحت نجاحاً

١ - الجماهير ، ٢٣/٦/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ١٤/٧/١٩٤٧

بأمرائها كانت تتلقى على الفور مساندة واسعة من قوى التنظيم الحزبي المستعدة فوراً للتحرك تلبية لاي نداء . . ومن جماهير غفيرة كانت على استعداد دائم للتحرك في ظل الشعارات التي يرفعها ، وتحت قيادته . .

والحملات عديدة لكننا سنكتفي بنماذج أربع ، اندونيسيا . . العراق . . اضراب المحلة الكبرى . . الكوليرا . .

ولقد تعدت هذا الاختيار لا لان هذه الحملات كانت اكثر الحملات نجاحاً وانما لانها تعبير عن اهتمامات «الجماهير» المتعددة الجوانب من مساندة لحركة التحرر الوطني العالمية (اندونيسيا) الى التضامن مع الشيوعيين العرب (العراق) الى مساندة كل تحرك طبقي (اضراب عمال المحلة الكبرى) . . او التصدي لحل مشاكل الجماهير والعمل في خدمتها (مقاومة الكوليرا) .

مؤكدنا قبل ان ابدأ انه ما من سبيل أمامي سوى الاجتزاء فالحديث المفصل يحتاج الى مجلدات . .

وعن اندونيسيا بدأت «الجماهير» حملتها بشرح متواصل لكفاح الشعب الاندونيسي في سبيل استقلاله وحرية . . وتحت عنوان «الشعب الاندونيسي يرفض الرضوخ للاستعمار» تروي «الجماهير» قصة الاستعمار الهولندي لاندونيسيا ونامر الاستعمارين الانجليزي والامريكي معه ضد مصالح الشعب الاندونيسي المناضل وتقول «لا يسعنا الا ان نسجل على الحكومات العربية موقفها السلبي من قضية الشعب الاندونيسي» . . وقد ضرب لنا الشعب الاندونيسي اوقع مثل لكفاح الشعوب وبين لنا ان الطريق الوحيد للحرية والاستقلال هو انتزاعها انتزاعاً ، فعل الوطنيين المصريين وقد تأكدوا ان قضية اندونيسيا هي قضيتهم ان يرفعوا صوتهم عالياً مؤيدين الشعب الاندونيسي في كفاحه» (١) . وموضوع آخر «ليقف شعب مصر وراء الشعب الاندونيسي المكافح» . . وفي هذا الموضوع تحرص الجماهير على ان تنقل عن البرافدا السوفيتية « ان الجنود الهولنديين يحاربون بملابس وعتاد أمريكيين ، فان اصبح الدولار المسلح تحرك الاستعمارين الهولنديين . . ولكن الشعب الاندونيسي مصمم على صد هذا العدوان . . وهو لا يقف وحده فعمال وشعوب العالم تقف من ورائه . . » وتحرص الجماهير ايضا على تبرز « ان الحزب الشيوعي الهولندي وجه نداء الى نقابات العمال وخاصة نقابة عمال الموانئ والارصفة بالاضراب عن شحن الجنود والعتاد الى اندونيسيا ، وهكذا اثبتت الطبقة العاملة في كل مكان انها طليعة النضال من اجل الحرية والديمقراطية» . واخيراً تؤكد الجماهير « ان كفاح الشعب الاندونيسي من اجل حرية واستقلاله هو جزء من كفاح الشعوب المستعمرة ضد مستعمرها . والكفاح ضد الاستعمار الهولندي هو في الواقع كفاح ضد الاستعمارين

البريطاني والامريكي» (١) .

انهم تبدأ المعركة الحقيقية عندما يذيع راديو الجمهورية الاندونيسية ليلة ٣١ يوليو ٤٧ نداء موجها الى عمال الشرق الاوسط وشبابه يهيب بهم ان يمنحوا مرور السفينة الهولندية «تولندام» التي تصل الى بور سعيد والسويس خلال سبعة ايام حاملة جنود الاستعمار وذخيرته في طريقها لحرب الشعب الاندونيسي . . . وتلتفت «الجماهير» الخيط وتشحن اوسع حملة جماهيرية لمنع هذه السفينة من المرور . . .

وتبدأ الحملة ببرقية الى رئيس الوزراء (ستمر السفينة الهولندية تولندام عبر قنال السويس حاملة ٢٠٠٠ جندي وعتادا حربيا لتوجيهها الى صدر الشعب الاندونيسي المجاهد في سبيل حريته واستقلاله . ومجله «الجماهير» نطالب الحكومة المصرية بمنح مرور هذه السفينة الهولندية الاستعمارية - محمود النبوي .

لكن الجماهير لا توجه نداءها فقط الى الحكومة . . . وانما توجهه اساسا الى «عمال وشباب مصر» «يا عمال مصر - يا شباب مصر . . . لو مرت هذه السفينة عبر لادبا . . . وكل ما فيها موجه للقضاء على الجمهورية الاندونيسية الحرة لبقى هذا العار عائقا بتاريخ نضالنا وايماننا بالحرية . . . على عمال مصر وشبابها وشعبها . . . علينا ان نهب جميعا لمنع هذه الجريمة . . . لنوقف هذه السفينة . . . لنعيد لها لاصحابها المستعمرين مشيعة باللعنات ، يا عمال مصر وشباب مصر يا عمال بور سعيد والسويس فلتجعلوا من موانئ السويس وبور سعيد قلاعا للحرية لا يمكن ان تمر منها سفينة تحمل الموت الى شعب شقيق مكافح»

وبرواز صغير فيه موجز لنداء وجهه الحزب الشيوعي الهندي الى عمال الموانئ يحثهم على مقاطعة هذه السفينة (٢) .
وتعقد رابطة الطلبة المصريين اجتماعا تقرر فيه تكوين لجنة للدفاع عن اندونيسيا وتطالب :

- ١ - منع الطائرات والبواخر الهولندية الذهاب الى اندونيسيا من الرسو في مطارائنا وموانينا .
- ٢ - مطالبة الحكومة المصرية بالاحتجاج على هذا العدوان الفاشم . . .
- ٣ - ان تقوم هذه اللجنة بفتح الاكتتابات الواسعة لمساعدة اخواننا الاندونيسيين واصدار كتيبات ونشرات وبيانات توضح للشعب المصري قضية زميله الاندونيسي المناضل» (٣) .
- وتطالب رابطة الطلبة المصريين في بيان لاحق . . . بمقاطعة السفينة تولندام (٤) .

١ - المرجع السابق

٢ - الجمهير ، ١٩٤٧/٨/٤

٣ - المرجع السابق

٤ - المرجع السابق

ولم يكن كل هذا التحرك غير جزء من حملة عامة خاضت والحركة الديمقراطية للتحرر الوطني» (حدثوا) غمارها وأصدرت خلالها بياناً بعنوان «يا عمال الشحن بمينائي بور سعيد والسويس كافحوا في سبيل اندونيسيا» وتؤكد «حدثوا» في هذا البيان ان هولندا الضعيفة لم تكن لتستطيع محاربة ٧٠ مليون اندونيسي دون تأييد الاستعمار الانجلو امريكي . وتختتم البيان « يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على الشعب الاندونيسي اوقفوا شحن السفن الهولندية والانجليزية المتجهة لمجارية الشعب الاندونيسي . انيتسوا انكم تؤيدون قضية الحرية » (١) .

وتنجح الحملة نجاحاً منقطع النظير . . وتخرج الالوف من عمال بور سعيد والسويس لتمنع السفينة «تولندام» من مجرد الاقتراب من الميناءين . . وتضطر الحكومة الى حشد قوات ضخمة من البوليس تصطدم بالاهالي في محاولة لافشال المقاطعة . . ان الجماهير تنتصر . . وتعود «تولندام» من حيث أتت . .

وتوجه «الجماهير» تحية «الى زملائنا اهالي بور سعيد . . اليكم يا اهالي السويس والاسماعيلية نحیی موقفكم الوطني . . في منع الباخسرة «تولندام» من الاقتراب من الميناء ، ان تصدى البوليس لكم اعتداء صارخ على شعوركم من قضية حرية الشعب الاندونيسي . ان هذا التصرف هو اعتداء صارخ على قضيتنا الوطنية » (٢) .

وترسل «الجماهير» احد مندوبيها ليعد تحقيقاً صحفياً عن مواجهة جماهير عمال بور سعيد لسفينة تولندام . . ورجال البوليس . صورة عشرات اللنشات والمراكب الصغيرة تملأ الميناء رافعة اعلام الجمهورية الاندونيسية . الوف من العمال والشباب يهتفون « يسقط الاستعمار الهولندي » ، «عاشت اندونيسيا حرة» .

وما ان ظهرت السفينة «تولندام» حتى احاطت بها اللنشات لتمنعها من التقدم الى الميناء ولتمنع ربطها الى الميناء . . وقامت معركة تمكنت فيها الجماهير من لقاء التموين المخصص للسفينة الى البحر . . ومنع ربطها ، وباتت السفينة تحرسها لنشات البوليس وتسندها خوفاً من غرقها لان العمال امتنعوا عن ربطها . . وفي الفجر عادت السفينة من حيث اتت تحرسها مدمرة بريطانية . . (٣)

ويكفي هذا النجاح تعبيراً عن نجاح الحملة التي نظمتها «الجماهير» . . ولنأت بعد ذلك الى الحملة الاخرى . . والتي نظمت دفاعاً عن

١ - الجماهير ، ١١/٨/١٩٤٧

٢ - المرجع السابق

٣ - الجماهير ، ٣٠/٨/١٩٤٧

« الشيوعيين في العراق » وتبدأ الحملة بمقال كتبه حمدي (شهيدى الشافعى) بعنوان « حملة صليبية .. في العراق » نيه عن حملة الارهاب التى شنوها النظام الرجعى بالعراق ضد كل القوى الوطنية .. « وكان نصيب الشيوعيين العراقيين من الارهاب كبيرا فقد شنت ضدهم حربا واسعة شاملة وانتهى المطاف بالقبض على يوسف سلمان سكرتير الحزب الشيوعى .. انها حملة صليبية خاسرة - جربها هتلر وموسوليني فكان مصيرهما الهزيمة الساحقة .. وكان النصر للشعوب » (١) .

وعندما يحكم بالاعدام على الرفيق فهد ورفاقه تشن « الجماهير » حملة عنيفة وتخرج بافتتاحية عنوانها « ينصبون المشائى للوطنيين » جاء فيها - « حكم رهيب .. لم يسبق قط لمحكمة فى الشرق العربى ان أصدرته . حكم بالاعدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مدى خمسة عشر عاما وبأحكام اخرى مختلفة على آخرين .. ، بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ اى جريمة ارتكبتها القوم .. »

وتحذر الجماهير القوى الوطنية فى العراق فاذا « كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى اشد المعارضين صلابة بحجة انهم شيوعيون فلن تلبث الضربة ان توجه فى الغد الى كافة احزاب المعارضة العراقية .. اننا نهيب بالضيم المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصرية والجامعة العربية والحكومة المصرية ان ترفع صوت الاستنكار يصك آذان المستبدين والطغاة .. انها ليست مسألة العراق ، انما هى مسألة الشرق العربى ومكانته امام الشعوب الاخرى ، مسألة الحريات المقدسة فليدو صوت الشعوب العربية صاخا : الغوا حكم الاعدام .. انقذوا هذه الرقاب .. امنعوا اقتراف الجريمة » (٢) .

وفى نفس الصفحة كاريكاتير يصور الرجعية العراقية والاستعمار البريطانى ينصبون مشنقة ويقولون « لكل دوره .. ولنبدأ بالشيوعيين » . وفى نفس العدد صفحة كاملة عنوانها « يا ايها الوطنيين فى مصر والشرق العربى . قفوا هجوم الاستعمار . طالبوا بزوال المشائى من العراق . أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » . وبداية الموضوع فقرة تقول ان الشرق الاوسط قد تحول كله بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقال .. ثم تنتقل « الجماهير » الى دراسة الوضع فى العراق وكيف تسلطت حكومة نورى السعيد على الحكم لتقود البلاد الى احضان الاستعمار ثم تتحدث عن أحكام الاعدام على الشيوعيين فتقول « اننا لنحس فى مصر معنى تشنق الوطنيين فلا يزال فى ذاكرة شعبنا حادثة دنشواى . ولا احسب ان جماهير شعبنا تخمض العين عن دنشواى العراق » (٣) .

وفى نفس العدد ايضا قصيدة « العذالات والمواثيق » لمحمود توفيق ..

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٩

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٣٠

٣ - المرجع السابق

وفي عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم «وتمدلون فياتي عدلكم عجباً» (١) .
وفي أعداد تالية تواصل «الجماهير» حملتها . وعندما يمر الامير
عبدالله الوصي على عرض العراق ونوري السعيد وكانا في طريقهما لانجلترا،
تستقبلهما «الجماهير» بمقال عنوانه «ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون المشانق
— يعلنون الاحكام العرفية — مفاوضات على غرار صدقي — ينفن» (٢) .

وتشير «الجماهير» بعد ذلك الى نجاح حملة الضغط العالمية والعربية
في اجبار الرجعية العراقية على تخفيف احكام الاعدام . . لكنها تصمم « اعفوا
عنهم ! لا يكفي ان تلغوا احكام الاعدام » (٣) .
والموضوعات عن العراق كثيرة جدا . . والحملة التي نظمتها «الجماهير»
كانت قوية بل وعاتية وكانت بصيرا صادقا عن الاحساس بالتضامن القومي
والاممي . . وكانت الاستجابة الجماهيرية للمشاركة في هذه الحملة واسعة
بغير حدود .

ولنأت الى الحملات الداخلية . . والنموذج الذي تقدمه حملة التضامن
مع الاضراب الكبير لعمال النسيج بالمحلة الكبرى . .

ولم تكن « الجماهير » غريبة عن هذا المجال فلقد تحدثت عنه طويلا . .
وافردت لكفاح عمال المحلة صفحات عديدة . . أهمها ذلك التحقيق الصحفي
الذي أعدته بعنوان « ٢٦٠٠٠ من عمال شركة مصر بالمحلة بين استبعاد
الاحتكاريين ونقابة من الجلادين » ويتضمن ذلك الريبورتاج دراسة مفصلة —
كمادة الجماهير — عن الظروف الاجتماعية والاقتصادية لعمال شركة مصر
بالمحلة . . وفي الختام توجه «الجماهير» النداء التالي « عليكم يا عمال المحلة
انتم والشعب كله ان تخلصوا انفسكم من سيطرة هذا النفر من الاحتكاريين
المغتصبين بأن تعملوا لتأهيل (تأميم) هذه الشركة الاحتكارية كي تدار لصالح
الشعب ولصالحكم انتم الذين بنيتموها ، وانتم الذين تعملون فيها ، لصالح
حفنة من الاحتكاريين » (٤) .

كذلك لم تكن «الجماهير» بعيدة عن تنظيم هذا الاضراب الكبير فكل
الدلائل تشير الى ان كوادر «حدثو» بالمحلة هي التي نظمت «لجان الاضراب
السرية» وكان رئيس هذه اللجان هو محمد حمزه عضو حدثو . وانفجرت
المعركة الاضرابية التي قلبت المدينة كلها الى ميدان قتال تصادم فيه ٢٦٠٠٠
عامل مع آلاف من جنود البوليس ثم آلاف أخرى من جنود الجيش المسلحين
بالدبابات والسيارات المصفحة . . ومن الملفت للنظر ان مطالب العمال المضربين
كانت تتفق الى حد التطابق مع المطالب التي كانت « الجماهير » تحددتها بالنسبة

١ - الجماهير ، ١٤/٧/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٢١/٧/١٩٤٧

٣ - المرجع السابق

٤ - الجماهير ٣/٦/١٩٤٧

للاوضاع في شركة المحلة .. حل النقابة الصفراء .. انتخاب نقابة جديدة ...
الغاء لائحة الجزاءات .. رفع الاجور بنسبة ٢٥ بالمائة .. عدم توفير
العمال .. (١) .
وكان الصدام داميا واستشهد من العمال اربعة ..

وترسل «الجماهير» برقية الى رئيس الوزراء بالنيابة «نستنكر بشدة
الاعتداءات الدامية التي وقعت على عمال المحلة .. كما نستنكر تعسف الشركة
بهم . ونطالب فورا بتدخل الحكومة لانصاف العمال» .

ثم تدعو «الجماهير» كل عمال النسيج للتضامن مع زملائهم .. وتحرك
الكوادر الحزبية العمالية لتضع حملة التضامن موضع التنفيذ على نطاق قومي
شامل لم يسبق لمصر ان شهدت له مثيلا .. وتحت شعار « يا عمال النسيج
اتحدوا» تنشر «الجماهير» انباء عن تضامن اتحادات عمال النسيج في شبرا
الخيمة والمحلة وكفر الدوار والاسكندرية مع العمال المضربين ..
.. وتلجأ «الجماهير» الى شعب المحلة فتتظم له استفتاء يعبر فيه عن
تضامنه مع العمال المضربين (٢) .

ويضرب ٢٠٠٠٠ من عمال النسيج في شبرا الخيمة تضامنا مع
عمال المحلة واستجابة لنداء «الجماهير» وتلقى «الجماهير» على هذا الاضراب
التضامني قائلة « لم تكن لتمر معركة عمال المحلة الكبرى دون ان يكون لها
صدى قوى بين عمال مصر كافة وعمال النسيج بشبرا الخيمة خاصة ..
اذ أعلنوا اضرابا عاما أغلقت بسببه جميع المصانع في شبرا الخيمة .. لقد
أحس اليوم عمال النسيج في كافة انحاء القطر بالوحدة القوية التي تربطهم
.. ان عمال النسيج ليسجلون بدمايتهم وحدتهم المقدسة في الكفاح من اجل
الدفاع عن حقوقهم » (٣) .

ثم تفتح «الجماهير» اكتبابا عاما لشهداء المحلة قائلة «لقد سقط اربعة
من عمال المحلة وهم يكافحون من اجل قوتهم وقوت اولادهم وعائلاتهم .. لقد
تركوا صغارا دون عائل .. فاكتبوا لهم .. ان اكتبابكم لرمز للتعاون والاخاء
بين المظلومين والكادحين جميعا في مصر» (٤) .

وتستمر «الجماهير» في نشر قوائم التبرعات لشهداء عمال المحلة
لفترة طويلة .. كذلك فقد نظمت «الجماهير» حملة على النطاق القومي
للتضامن مع عمال المحلة وتزخر صفحات الاعداد التالية ببيانات التأييد لعمال
المحلة من هيئات ونقابات وتجمعات عمالية عديدة « .. عمال وعاملات مصانع

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

٢ - المرجع السابق

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٦

٤ - المرجع السابق

الغزل والنسيج بالمطرية والزيتون ، نقابة عمال الامنيبوس المصرية ، اتحاد تجار البحر ببور سعيد ، اللجنة الوطنية بحى القلعة ، عمال مصنع سباهى بالدرب الاحمر .. الخ » .

كذلك تنشر «الجماهير» اقتراحا من جبهة عمال مدينة المنصورة باعتبار يوم ٢ سبتمبر يوم شهداء عمال المحلة .. عيدا لكفاح العمال المصريين ، (١) . ويتولى محامو مكتب الاستشارات القانونية بالجماهير وعلى رأسهم على الشلقاني الدفاع عن العمال المقبوض عليهم .. بينما ترسل «الجماهير» مندوبين عنها ليواصلوا تعبئة الجهود فى المحلة وفى القرى المحيطة بها حيث تتواجد مصادر الأيدى العاملة الاساسية .. ويتجول هؤلاء المندوبون لا ليعكسوا فقط رأى «جماهير العمال وانما ليسسهموا فى عملية التعبئة والتنظيم ..» (٢) .

ثم تتطور حملة التضامن مع عمال المحلة فتحقق نتائج باهرة حيث تنجح فى توحيد كل نقابات عمال النسيج فى اتحاد عام لعمال الغزل والنسيج .. يتكون من ممثلين لعمال النسيج بشبرا الخيمة والقاهرة والمحلة الكبرى ودمياط والاسكندرية ويصدر الاتحاد بيانا يعلن انه «ازاء الاضطهادات التى تعانيها الطبقة العاملة عامة وعمال النسيج والغزل خاصة ، ازاء السياسة الاستبدادية التى تتبعها الشركات التى لاغرض لها سوى الربح والربح فقط .. وازاء مشكلة المحلة .. اجتمع ممثلو عمال النسيج وقرروا تأسيس اتحادهم العام » .. ويطالب الاتحاد فى اول قرار له «بوجوب فتح مصانع المحلة فورا دون قيد او شرط واجابة مطالب العمال » ويحمل الاتحاد ادارة الشركة وجهات الاختصاص مسئولية ما يحدث اذا لم تجب مطالب العمال العادلة . فيا عمال الغزل والنسيج بالقطر اتحدوا .. ويحيا اتحاد الطبقة العاملة » (٣) .

وهكذا تصل الحملة الى قمتها .. محققة نتائج باهرة . وفى صيف عام ١٩٤٨ اجتاحت الكوليرا مصر .. وكان مصدرها منطقة الاحتلال الانجليزى بقناة السويس ، ومع بداية الكارثة المروعة كانت «الجماهير» فى المقدمة تعمل فى كل الجبهات .. تدين الاستعمار مصدر الوباء وتنشر الارشادات الطبية وتطالب بأوسع حملة جماهيرية منظمة لانقاذ مصر من الوباء ..

وتخرج الافتتاحية بعنوان « كولييرا سياسية » ويوقعها حمدي (شهادى الشافعى) وتقول « كولييرا تجتاح البلاد مصدرها فايد اى منطقة الاحتلال .. كولييرا اخرى لا تقل عنها خطورة مصدرها لاطوغلى بالقاهرة .. كولييرا سياسية تحاول ان تصرف الانظار عن الطريق الوحيد لنيل الاستقلال الا وهو اعداد الشعب تحت قيادة وطنية مخلصه .. اعدادا مسلحا ضد الفاشيين » . ويدعو حمدي الى تنظيم مقاومة وباء الكوليرا .. لكنه أيضا يدعو الى

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢١

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٩/٢٨

مقاومة الكوليرا السياسية وكوليرا التسويف وتحويل الانظار يجب حريها
وتطهيرها . فلنجد الشعب ليظهر البلاد .

وفي الصفحة الاولى وبدلا من البرواز الذي كانت تقدم فيه «الجماهير»
أهم خبر فيها تحت عنوان «قبل الطبع» يوجد برواز آخر بعنوان «الطبيب
يقول» تقدم فيه «الجماهير» ارشادات لمقاومة الكوليرا . . والمانشيت الرئيسى
«نحن ندعو الى تكوين كتائب ضد الكوليرا» . ثم نداء من الجماهير «ان
الجماهير لتدعو الى تكوين كتائب من كافة الزملاء من اصدقاء هذه المجلة
ومحبيها . . نظم نفسك فى كل حى وكل شياخة مع زملائك لتزود جيراك
بالتعليمات الصحية . . ستنظم المجلة توزيع منشورات تتضمن تعليمات
الوقاية الصحية الكافية . . يا اصدقاء «الجماهير» . . انزلوا الى الجماهير
انهم فى حاجة اليكم . . كونوا كتائب ضد الكوليرا . . كونوا كتائب الجماهير
ضد الوباء . . انقلدوا الوطن» (١) .

وتتلقف الكوادر الحزبية وقراء مجلة «الجماهير» واصدقائها هذه
الدعوة وبسرعة تنتشر لجان مقاومة الكوليرا «فى مختلف الاحياء . . وخاصة
الاحياء الشعبية . وتشاهد الاحياء الفقيرة - ربما لأول مرة - طالبات من
الجامعة وطلبة ومتقنين وعمال يقتحمون الحى فى حملات تنظيف وتوعية
وتحصين بالمصل الواقى . . واجتاحت مصر كلها موجة من النشاط العام كان
قوامها هؤلاء الشبان الذين ايقنوا ان مقاومة وباء الكوليرا «كفاح سياسى» وان
ترك الوباء يستشرى ليس فقط خطرا يهدد الارواح ولكنه خطر يعصف بالقضية
الوطنية التى كانت تنتظر حلا .

وفي العدد التالى تقدم «الجماهير» صورة فوتوغرافية لعدد من
الكادحين يتناولون طعامهم جلوسا على الارض «لقد قضت سياسة الاستعمار
والحكومة . . ان يعيش ابناء الشعب عرايا يأكلون الفتات الملوثة بالكوليرا . .»

والافتتاحية عنوانها «العلاج الوحيد . . الجلاء ورفع مستوى المعيشة»
وتقول . . «ان علاج الوبئة والفقر ليس فى الامصال الواقية والمسكنات
الوقتية بل فى طردنا للمستعمر ، ورفع مستوى معيشتنا . . فلنكافح ولنناضل
من اجل حريتنا واستقلالنا . . لترفع الاجور والمرتبات ، وتخفض الاسعار ،
ولتفرض الضرائب التصاعدية ، ولتخفض ايجارات الاراضى وترسم سياسة
اقتصادية ترمى الى تحريرنا من ربقة الاستعمار ولنتعاون مع الدول الصديقة
المستعدة لامدادنا بالمنتجات والآلات دون تدخل او استعباد . . هذا هو
الطريق واضح بين ، فاما استقلال ورخاء . . واما اوبئة ومجاعات» (٢) .

وتواصل «الجماهير» حملتها فتحذر فى افتتاحية اخرى «الكوليرا
تشتد . . والمجاعة تقترب» وتعلن «الجماهير» مسئولية الحكومة الرجعية
عن تزايد انتشار الوباء . . وتقول « . . يطالب اطباء بالنظافة وتطهير المنازل

١ - الجماهير ، ٢٨/٩/١٩٤٧

٢ - الجماهير ، ٥/١٠/١٩٤٧

بالفنيك والدود، وتفهل وزعت الحكومة هذه المواد على الطبقات الشعبية؟ هل خفضت الحكومة اسعار الصابون والغاز والمواد الاساسية لمكافحة الوباء ؟ وهل فرضت الحكومة على الاغنياء الامنيين من المرض ضريبة استثنائية ولتسمى «ضريبة الوباء» . . . وتذيع وزارة الصحة في نشراتها ان اغلوا كل شيء لتقتلوا الميكروب ؟ . . . في الوقت الذي تأمر فيه الحكومة بتخفيض مقررات الكيوسين الربع ، وفي الوقت الذي ما زالت فيه شركات البترول الانجليزية والامريكية تفرض الاسعار المرتفعة للغاز . . . وتمضي الجماهير مؤكدة « ان انتشار الوباء نتيجة حتمية لسياسة افقار الجماهير » .

ان الحكومة الرجعية تتراخى في مكافحة الكوليرا انها « لا تتحرك » . . . ومصحة على الاحتفاظ بمراكزها ولو افنت الآلاف بل الملايين . . . بينما تؤكد الافتتاحية ان آلافا من اصداق مجلة «الجماهير» قد تطوعوا لمكافحة الوباء وهم غير مطعمين ضد الوباء (١) .

وتسجل «الجماهير» باعتزاز «لقد لبي الشعب نداء «الجماهير» . . . فتألفت كتائب الكوليرا في الاحياء والاقاليم» . . . وتروي «الجماهير» في صفحة كاملة قصصا رائعة للشبان من اصداق الذين قادوا جماهير الشعب في معركة مكافحة الوباء . . . وكيف خرج طلبة وطالبات الجامعة يكنسون الشوارع ويوزعون المنظفات ويقومون بعملية «التطعيم» ضد المرض . . . والطالبات والعاملات يطرقن ابواب البيوت الفقيرة يتكلمن عن النظافة والسواء . . . والاستعمار . . . والرجعية ، وعن حقوق الشعب الكادح . . . وهكذا كانت «الجماهير» نموذجاً للمجلة اليسارية الحقبة التي تستند في حركتها على جموع الشعب . . .

كانت «الجماهير» المجلة . . . و «الجماهير» الشعب يمتزجان معا في سيمفونية نضالية رائعة . . .

★ ★ ★

ويبقى الكثير كي يقال . . .

لكننا سنحاول ان نمر سريعا على علامات رئيسية اخرى . . .

هناك مسألة اخرى هامة وهي الموقف من القضية الفلسطينية ولقد كانت «الجماهير» واحدة من اهم المنابر التي اهتمت بهذه القضية اهتماما كبيرا ومتصلا ومتعدد الزوايا «نحن نكافح من اجل فلسطين مستقلة ديمقراطية» هكذا تحدثت الجماهير الى لجنة التحقيق الانجلو امريكية وقالت «ان قضية فلسطين واضحة لا تحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير ، ان

الشعب الفلسطيني يريد ان يتخلص من استعماركم واستغلالكم وظلمكم وازهايكم . الشعب الفلسطيني يريد استقلاله وحرية . يريد ديمقراطية ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود . ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيوني اداة الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر . ان قضية فلسطين تتلخص في كلمتين كفاح من اجل الجلاء والديمقراطية (١) .

وبالكاريكاتير . . صورة للشعب الفلسطيني تحاول الصهيونية بمساعدة من ترومان وبيفين تكييله بالاغلال . . ثم عبارة تقول «هذا ما يريده الاستعمار الانجلو امريكي واذا نابه الصهيونيون بالشعب الفلسطيني ولكن الشعب مصمم على تحطيم القيود» (٢) .

وفي دراسة مستفيضة اعدتها «الجماهير» عن فلسطين بمناسبة مناقشة القضية الفلسطينية على الامم المتحدة . . تحدث عن جذور المشكلة وتقول «ان فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية صهيونية عدوانية ورجعية عربية . . وكلا الرجعتين حريصتان على ابقاء الاستعمار» .
وتمضي الدراسة لتستخلص عددا من الدروس الهامة منها «ان الصهيونية لا يمكن ان تعيش دون مستعمرين» (٣) .

وفي صفحتها النظرية المسماة «القاموس السياسي» تخصص «الجماهير» احدى دراساتها لتعريف «الصهيونية» وتحكي الدراسة قصة اضطهاد اليهود في اوربا ونشأة الحرية الصهيونية كحركة عنصرية وتقول «استخدم استعماريو العالم الرأسماليين اليهود في بث سموم النظرية الصهيونية العنصرية بينهم وتضليلهم بأنهم شعب لا يمكنه الاندماج في وسط الشعوب الاخرى وان حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم انما يكون بتكوين دولة يهودية في فلسطين» وتنبأ الدراسة في بعد نظر علمي يستحق الاعجاب بالسياسة التي سوف تنتهجها هذه الدولة الصهيونية عندما تقوم فتقول انها ستحول ارض فلسطين الى نقطة استراتيجية يستغلها الاستعمار في القضاء على الحركات التحريرية العربية وقلعة استعمارية ضد الشعوب، وتهيم الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الامول الانجليزية والامريكية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ونهب الثروات الطبيعية في البلاد العربية ولاسيما البترول والمعادن» .

ثم تتساءل الدراسة «ما هو الحل؟» وتجيب «مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة اقسام : ١ - مشكلة اليهود المعذبين في مختلف البلاد : هؤلاء عليهم

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٢

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

ان يشتركوا فى الكفاح مع شعوبهم من اجل تحقيق الديمقراطية ٢٠٠٠ -
مشكلة اليهود المشردين وهؤلاء يجب ان تكفل لهم سبل العودة الى اوطانهم
الاصلية . . ويجب ان يوضح ان فلسطين لا يمكن ان تحل القضية اليهودية .
وان كل محاولة لاطهار فلسطين كالحل للمشكلة اليهودية انما هو تعقيد
لكلا المشكلتين ٣٠ - مشكلة فلسطين : ان حلها ينحصر فى الكفاح المشترك
بين جماهير اليهود والعرب معا للتخلص من الاستعمار الانجلو امريكى وانشاء
دولة حرة ديمقراطية مستقلة» (١) .

وتنتقد « الجماهير » الحكومة الرجعية لانها « تحارب الحركات المعادية
لالصهيونية بينما تغمض عينيها عن الحركات الصهيونية التى تهذر مصالح
الوطن . . فى الوقت الذى نعرف فيه جميعا ان الصهيونية حركة ارحابية
عدوانية تقوم على مبادئ الارهاب والعدوان » (٢) .

كذلك تهتم « الجماهير » بهذه القضية من زاوية اخرى وهى بذل النشاط
وسط اليهود المصريين لعزلهم عن الحركة الصهيونية . وتعلن « الجماهير »
انه قد « تألفت اخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية » . وفى حديث
اجرته « الجماهير » مع « عزرا هرارى » سكرتير الرابطة يؤكد « ان اهداف
الرابطة هى مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين
القاطنين بمصر » . واجابة على سؤال « لماذا تكونت الرابطة فى هذه الايام بالذات؟ »
اجاب « لان الدعاية الصهيونية المسممة نشطت فى مصر اخيرا نشاطا كبيرا
مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتسميم الجو فى بلد كمصر عاش فيه
اليهود اجيالا متعاقبة على احسن ما يكون من الوثام مع زملائهم المصريين » .
وسؤال آخر عن زعماء الحركة الصهيونية فى مصر والجواب « ان معظمهم
من كبار الاثرياء واصحاب الاعمال » . ويقول ايضا ان « الصهيونية اداة
استعمارية تريد جذب جماهير اليهود لتحقيق اغراض الاستعمار بانشاء دولة
يهودية فى فلسطين تساعد على تثبيت اقدامه فى الشرق الاوسط » (٣) .

وتنشر « الجماهير » فى عدد تال « نداء من الرابطة الاسرائيلية لمكافحة
الصهيونية » قالت انه قد طبع فى صورة خطاب ووزعت منه آلاف النسخ على
يهود مصر جاء فيه « ايها الامهات . . نريد ان نحى اطفالكن من اكاذيب
الدعاية الصهيونية الخلافة التى ترمى الى ارسال اولادكن ليعيشوا فى فلسطين
وسط عداء اغلبية السكان وفى نظام كله استبداد واضطهاد . ايها اليهود .
ايها اليهوديات : تحاول الصهيونية الجرب بنا فى مغامرة خطيرة . . تساهم
الصهيونية فى جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها . تريد الصهيونية
عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى . الصهيونية عدوة اليهود . فلتنسقط

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٦/٢

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/١٩

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٥

الصهيونية • ولتحيا أخوة العرب واليهود • وليحيا الشعب المصري » (١) •
بقي أن نقول أن «عزرا هراري» مؤسس الرابطة وسكرتيرها كان واحدا
من كوادر «حدثو» •• وأن نقول أيضا أنه ما من عدد صدر من «الجماهير»
الا وتضمن موضوعا أو أكثر عن فلسطين ••
ومع الشعوب العربية الأخرى وقفت «الجماهير» تدافع عن حقوقها
وعن كل ما تخوضه من معارك •• ولم تكن وقفة «الجماهير» دفاعا عن الشيوعيين
والوطنيين العراقيين سوى نموذج تكرر كثيرا على صفحات «الجماهير» ••

وعندما أجريت الانتخابات النيابية في سوريا ورشح الرفيق خالد
بكداش نفسه كـ «الجماهير» تقول ومن بين عدد كبير من المرشحين
في دمشق تلقى خالد بكداش مرشح الحزب الشيوعي السوري وسكرتيره
تأييد الجماهير وثقتها التامة ، فقد عبرت استقبالات الشعب السوري له عن
مدى تأييدها للحزب الشيوعي وبرنامجه الذي أوضحه بكداش في خطاب
القاء في الصالحية بدمشق بقوله أن هذا البرنامج يعبر عن ماضي النضال
الوطني للشعب السوري وتمسكه باستقلاله ونظامه الجمهوري •• كما يعبر
عن طموح الشعب إلى السير في طريق الإصلاحات الديمقراطية •• وأكد أن
تحقيق مطالب العمال والفلاحين والمثقفين سيؤدي إلى ازدهار البلاد » (٢) •
كذلك أيدت «الجماهير» ترشيح مصطفى العريس في انتخابات برلمان
لبنان وقدمته لقراءتها قائلة «أنه نشأ وترعرع في صميم معركة التحرير
الوطني وعرفه العمال مناضلا عنيدا في سبيل الدفاع عن حقوقهم ورفع
مستوى حياتهم» (٣) •
•• وهكذا تمضي «الجماهير» لتسجل في كل فرصة تضامنها مع القوى
التقدمية العربية ومع الشعوب العربية في معاركها ••

★ ★ ★

وثمة أشياء أخرى هامة ••
الصفحة النظرية التي حفلت بآركان عديدة متنوعة القاموس السياسي
(حيث قدمت دراسات لشرح معنى الاستعمار وفائض القيمة •• العنصرية ••
الصهيونية •• الخ) «الفلسفة للكاآحين» (حيث قدمت «الجماهير» دراسات
مبسطة عن الفلسفة المادية وقوانين الجدل) •• التاريخ للملايين (حيث قدمت
تحليلا مسلسلا لتطور المجتمع •• الخ) ••
وكانت هذه المحاولات في اعتقادنا من أوائل الدراسات المبسطة للنظرية
الماركسية والتي روعي فيها - في الأساس - ربط النظرية ومشاكلها بالواقع

١ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

٢ - الجماهير ، ١٩٤٧/٧/٧

٣ - الجماهير ، ١٩٤٧/٥/٢٦

الحي وتطوراتها .. كذلك اهتمت «الجماهير» بتقديم دراسات عديدة عـسـن
الاضاع في الاتحاد السوفييتي والانجازات الهائلة التي تحققت هناك ،وقدمت
نماذج احصائية عديدة تبرز هذه الانجازات في مختلف المجالات .. وكان
نصيب الديمقراطيات الشعبية كبيرا ايضا من اهتمام «الجماهير» .

وباختصار ودون ادنى محاولة للادعاء بأننا قد أحطنا ولو بالجـوانب
الاساسية من الموضوع ، يمكن القول بأن «الجماهير» كانت مجلة تعنى ما
تقول عندما قالت في صدر افتتاحية عددها الاول «ليست «الجماهير مجرد اسم
يوضع في صدر صحيفة .. انما هي اعـمـق من هذا بكثير .. هي صوت
الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين» .

المراجع

١ - كتب

- د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - دار الفارابي - بيروت .
- د . رفعت السعيد - اليسار المصري - ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة - بيروت .
- د . رفعت السعيد - عصام الدين حفنى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي في مصر - دار الثقافة الجديدة - القاهرة .
- محمد طاهر العربى - هذا المجتمع الظالم - دار المستقبل - القاهرة .
- محمود حسنى العربى - ٨٩ شهرا في المنفى - القاهرة .
- محمود حسنى العربى - مقالات العربى - المطبعة الاميرية الكبرى - القاهرة .
- والتر لاكور - الاتحاد السوفييتى والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجارى - بيروت .

Joseph Stalin - Marxism and the national and colonial Question - London - 1947.

ب - وثائق

- ملف القضية رقم ٧٥٣ المنشية ، ٣٤٤ كلى ١٩٣١ جنايات الاسكندرية .
- مارسيل اسراييل (شيريزى) تقرير مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية مقدم للحزب الشيوعى الايطالى حول تاريخ الكاتب ونشاطه فترة حياته بمصر .
- مارسيل اسراييل (شيريزى) تقرير مكتوب بخط اليد باللغة العربية استكمل الكاتب - بناء على طلب المؤلف - تقريره السابق .
- نشرة دار الابحاث العلمية - نسخة منزوعة الغلاف بدون تاريخ .
- دراسة باللغة الروسية بقلم أ . الجبالى - بعنوان (بلا مخرج) مجلة ريفولوسيوني فوستك (الشرق الثورى) السوفييتية عدد ١ لعام ١٩٣٢ .
- الفن والحرية عددان من نشرة بالرونو صادرة عن جماعة الفن والحرية عام ١٩٣٩ .

ج - دوريات

عام ١٩٢٥	الاخبار
المجموعة الكاملة	ام درمان
أعوام ٢٢ - ١٩٢٥	الاهرام
المجموعة الكاملة	التطور
المجموعة الكاملة	الجمامير
عام ١٩٣١	الجهاد
أعوام ٣٨ - ١٩٤٤	حرية الشعوب
عام ١٩٢٨	الحياة الجديدة
عام ١٩٢٨	الرقيب
عام ١٩٢٢	الشبيبة
المجموعة الكاملة	شبرا
عام ١٩٢٨	الشعاع
عام ١٩٤٧	صوت الامة
عام ١٩٣٣	صندوق الدنيا
المجموعة الكاملة	الضمير
عامى ٢٩ - ١٩٣٥	المصور
أعوام ٦٨ - ١٩٧٢	الكاتب
عام ١٩٢٧	كوكب الشرق
عام ١٩٤٧	المصرى
عام ١٩٢٧	الهلال
عام ١٩٣٢	الوادى

د - مناقشات :

- ابراهيم المتاسترلى
- أنور كامل
- بول جاكوب دى كومب
- سعيد خيال
- صادق سعد
- عبد المنعم الغزالي
- عصام الدين حفتى ناصف
- عبد ذهب حسنين
- د * محمود القاضى
- محمد سيد أحمد
- يوسف درويش

الفهرس

٥	الصحافة اليسارية في مصر
٦	الاهساء
٧	٠٠ بدلا من المقدمة
١٧	الحساب
٢٢	روح العصر
٥٩	شبرا
٧٩	التطور
١٠٩	الفجر الجديد
١٤٩	الضمير
١٧٥	الجماهير
٢٢٦	المراجع

كتب للمؤلف

- الاساس الاجتماعى للثورة العربية • طبعتان
- تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر • نقد
- عصام الدين حنفى ناصف • نقد
- نقولا الحداد • نقد
- ثلاثة لبنانيين فى القاهرة •
- تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ ثلاث طبعات
- اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ طبعتان
- تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠
- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية
- اوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية • نقد
- تأملات فى الناصرية طبعتان
- سعد زغلول بين اليمين واليسار
- مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل •

رقم الإبداع بدار الكتب ٥٥٠٦ / ١٩٧٧
الترقيم الدولي ١ - ٢٣ - ٧٠٤٧ - ٩٧٧

هَذَا الْكِتَابُ

من خلال تعريفه بالصحافة اليسارية في مصر يعرض هذا الكتاب تاريخ الحركة اليسارية والمنظمات الماركسية المصرية ويعرف المؤلف عمله بقوله :

ولم تكن هذه الدراسة مجرد بحث عن مجموعات هذه الصحف وتقليب لصفحاتها وتحديد أهم ما تردد فيها من اتجاهات فكرية وسياسية ، لكن الأمر كان في الأساس بحثا تاريخيا عن « الحدث الداخلي » ، عن القصة التي تكن خلف صدور كل جريدة والتي لم تنشر — وما كان لها أن تنشر — على صفحات الجريدة ذاتها . كيف تأسست ؟ من كان صاحب المبادرة ؟ ولماذا ؟ من الذي مولها ؟ ولماذا ؟ الصراعات الداخلية وبواطنها ، الأسماء الحقيقية التي توارت في أغلب الحالات خلف أسماء مستعارة .. الخ وباختصار كان الأمر بحثا عن تاريخ المجلة وليس مجرد استعراض لما دون فيها من مقالات دراسات ، وأن كانت الدراسة التاريخية ذاتها — تتطلب بالضرورة تسليط الضوء على المواقف السياسية والفكرية التي رددتها الصحيفة .. ومقارنتها بموقف التنظيم أو المجموعة التي تصدرها .. وربط ذلك كله بالإطار التاريخي لحركة اليسار المصري ككل .



To: www.al-mostafa.com